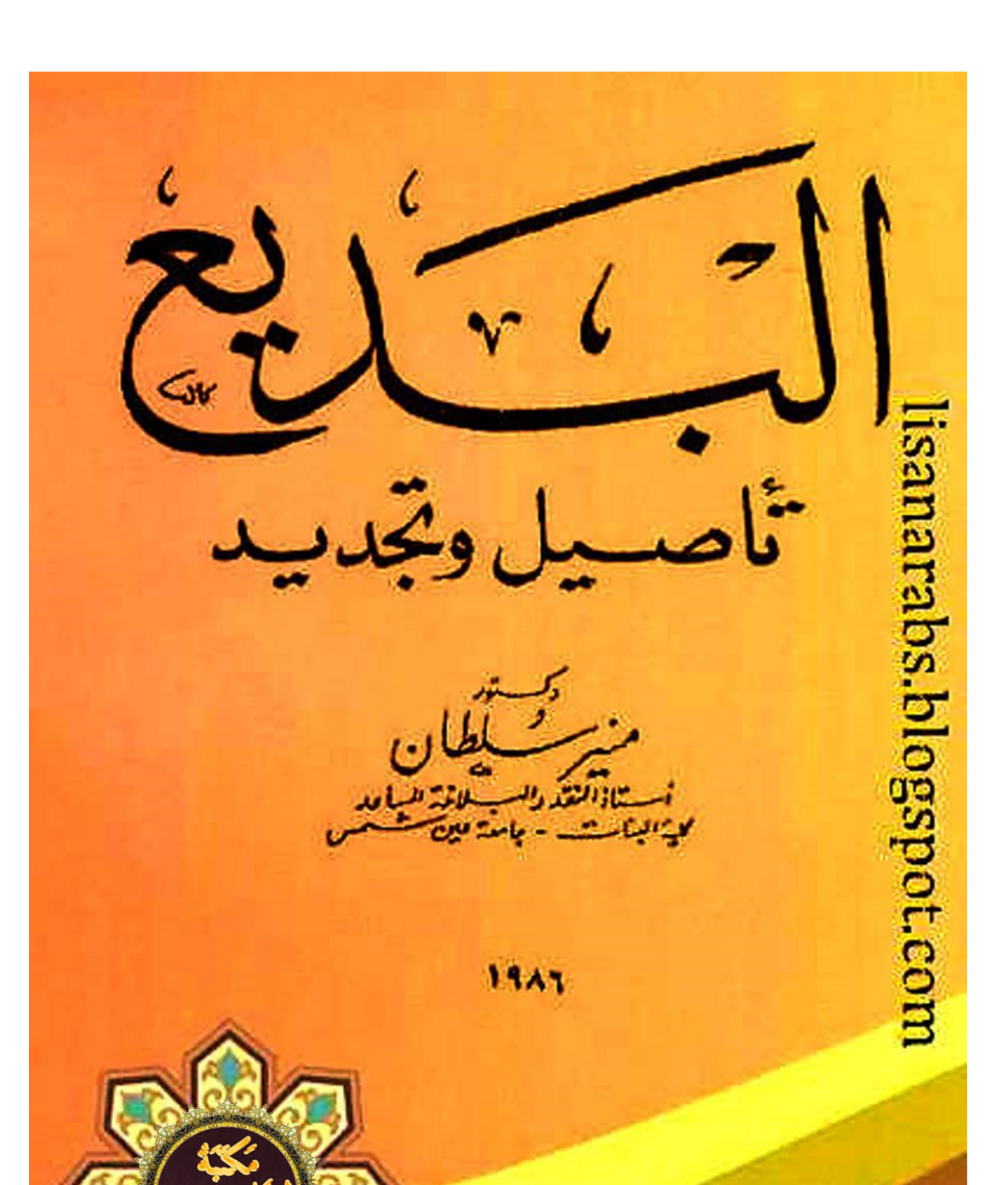
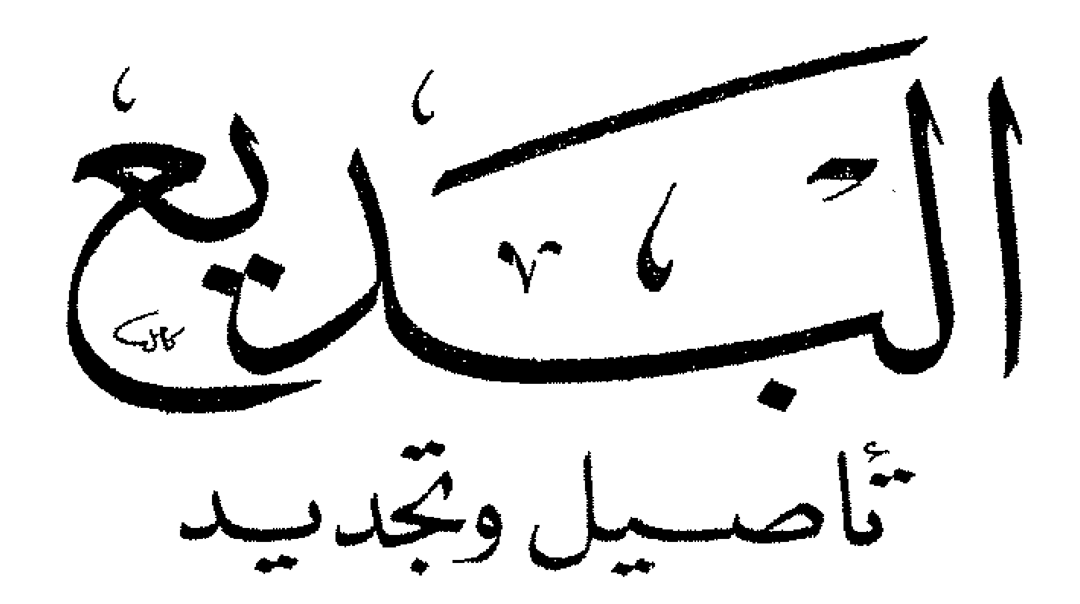

البديع
تأصيل وتجديد
دكتور
منير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
كلية البنات - جامعة عين شمس
١٩٨٦
الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com



مكتبة
لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com


مكتبة
لسان العرب



البديع

تأصيل وتجديد

دكتور
منير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٩٨٦



الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

بســـم الله الرحمن الرحيم

« ... الحمدُ لله الذى هدانا لهذا ، وما كُنّا
لنَهْتَدِىَ لَوْلا أن هدانا الله ...»

(الأعراف ـــ ٤٣)



مكتبة
لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

الإهــــداء

إلى شباب الباحثين البلاغيين ...

وإلى البلاغيين الثِّقات المُخَضْرَمِين ...

هذه محاولة لإعادة النظر فى « البديع » ...

إن صَحَّتْ ...

وَفَّرت الجَهْد ، وأنارت الطريق ، وجددت الدّماء ... ليَرْتَفِعَ البناء ، ويَنْطَلِقَ العبير ، وتَعُودَ البلاغَةُ بلاغَةً ، بجمالها وجلالها وعطائها ...

منير سلطان

٦٨ شارع السيد محمد كريم ـــ الإسكندرية



الفهرست العام

تمهيد

البديع والإيقاع

أولا : البديع :

انقسمت حياة مصطلح « البديع » إلى قسمين ظاهرين ، أحدهما حياته الطبيعية النابضة ، والأخرى حياته السطحية العقيمة ، واستمرت حياته النابضة سبعة قرون ، ثم سيطرت الفكرة العقيمة عليه فجعلته جثة هامدة .

ومن واقع معنى « البديع » في القرآن الكريم ، كما وردت في الآية الكريمة « بديع السموات والأرض » (البقرة — ١٧) و (الأنعام — ١٠١) بمعنى المُنشيء على غير مثال سابق ، والمُبْدِيء بلا حذو يحتذيه ، والخالق قبل المخلوقات : فَهِمَ البلاغيون كلمة « بديع » ، في لسان العرب « أبدع الشيء يُبْدعه وابتدعه : أنشأه وبدأه ، وبدع الركية : استنطبها وأحدثها ، وَرَكِيٌّ بديع : حديثة الحَفْر ، والبديع والبِدع : الشيء الذي يكون أولا ، وفي التنزيل « قل ما كنت بدْعاً من الرسل » (الأحقافُ — ٩) ، أي ما كنت أول من أُرسل ، فقبلي رُسُل كثير ...، وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال ... الخ »[1] .

فالبديع : الجديد ، والغريب ، والبارع ، والعجيب ، ومن هنا فَهِم البلاغيون القدماء مصطلح البديع ، على أنه درجة خاصة من التميُّز يظفر بها الفنان المطبوع ، لذا نراهم يُوَسِّعُون دائرته تارة ويجعلونها مرادفة للبلاغة ، وأخرى يضيقونها ويجعلونها خاصة بالتفرد في فنون بعينها ، وهم في تحديدهم لهذه الفنون كأنهم يقولون ، إن هذه ... هي المنوطة بالإبداع والاختراع ، وهي مجاله ، وعدا ذلك لا يحتاج إلى نفس الجهد ، وإلى نفس التفرد ، وسنعرض هنا لجهودهم في هذا المضمار ، مدركين تماما أن الجمود الذي لحق « البديع » بعد ذلك لم يأت فجأة ، ولم يكن وليد التدهور الذوقي والحضاري والأدبي فقط ، إنما كانت له جذوره

(١) لسان العرب — مادة « بَدَعَ » ١/٢٣٠ ط دار المعارف .

التى زرعها البلاغيون المتقدمون بلا قصد ، فأُخذت عنهم بقصد ، وجُففت حتى ذوت ، وصار البديع كما يحدده السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) « وجوهٌ مخصوصةٌ كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام »(١) وكما وصفه بدر الدين بن مالك (٦٨٦ هـ) فى قالبه الأخير « معرفة توابع الفصاحة »(٢) ، وما قصة البديع سوى قصة البلاغة بأسرها ، قصة الذوق العربى والفن العربى والفطرة العربية فى أوجها وفى ضمورها .

وسنقسم حديثنا هنا عن مصطلح « البديع » إلى قسمين أو مرحلتين ، المرحلة الفنيه ومرحلة الجمود .

أولا : المرحلة الفنية :

حيث كان البديع ، بمعنى الابتداع المتميز ، والاختراع المتفرد ، وكان مرادفا لمعنى البلاغة بمفهومها الواسع .

والبداية كانت أدبية ، على يد الرواة ، فهم الذين أطلقوا صفة « البديع » أى الجميل الرائع من الصياغة الحلوة على بيت الأشهب بن رُمَيْلة :

يقول الجاحظ فى بيت الأشهب :

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذى يُتَّقَى بِه ... وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لا تَنُوءِ بِسَاعِدِ

« هم ساعد الدهر » إنما هو مثل ، وهذا ما تسميه الرواة « البديع »(٣) .

وطفق الجاحظ يبحث عن بداية هذا البديع الرائق فى شعر الشعراء ، فوجد أن العتابى (ت ٢٠٨ هـ) كان يحذو حذو بشار (ت ٢٦٧ هـ) فى البديع(٤) وأن الراعى (ت ٩٠ هـ) كان كثير البديع ، وبشاراً كان حسن البديع ، أما العتابى (ت ٢٠٨ هـ) فيذهب شعره فى البديع(٥) وأن جميع من يتكلف البديع من الشعراء المولّدين كمنصور النَّمرى (ت ١٩٠ هـ) ومسلم بن الوليد

(١) المفتاح ١٧٩٠ .
(٢) بدر الدين بن مالك ـــ المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع ـــ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤١ هـ .
(٣) البيان ـــ ٥٥/٤ ط هارون الرابعة ـــ الخانجى .
(٤) البيان ـــ ٥١/١ .
(٥) البيان ـــ ٥٦/٤ .

(ت ٢٠٨ هـ) ، كان يسير على ألفاظ العتابى وحذوه ومثاله فى البديع »[١] .

وبين الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، وجدنا المبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) يصفان الأشعار الجيدة بأنها مبتدعة[٢] .

ثم يأتى ابن المعتز ، وكتابه « البديع » يعتبر من العلامات البارزة فى حياة البلاغة عامة ، والبديع بخاصة ، لأنه يَرُدُّ فيه على من ادَّعى أن الشعراء المبتدعين السابق ذكرهم ، هم الذين ابتكروا الصور البديعية التى أتوا بها فى شعرهم ، فإنه وُجد فى القرآن واللغة ، وأحاديث الرسول ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع[٣] ، والبديع عند ابن المعتز خمسة أنواع الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى[٤] .

ثم هو يوضح أنه لم يجعل البديع خمسة فنون عن جهل بمحاسن الكلام . ولا ضيق فى المعرفة « فمن أحب أن يقتدى ويقتصر بالبديع على الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ، أو لم يأب غير رأينا فله اختياره »[٥] .

ومحاسن الكلام فى الشعر ــ التى ذكرها ــ ثلاثة عشر ، هى الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذى يُراد به الجدّ ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والإفراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، وإعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، وحسن الابتداءات .

ونخرج من هذا النص ، بـ ...

(١) البيان ــ ١/٥١ .
(٢) انظر الكامل للمبرد ١/١٨٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ١/٩٢ ، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ .
(٣) البديع ــ ص ١ .
(٤) قال ابن أبى الإصبع ــ المذهب الكلامى عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية ، تقطع المعاند له فيه ، لأنه مأخوذ من علم الكلام ، الذى هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية « تحرير التحبير » ــ ١١٩ . تحقيق د. حفنى شرف .
(٥) البديع ــ ٥٧ و ٥٨

١ ـــ أن ثمة حركة تجديد تبلورت على صعيد الشعر العربي ، قسمت النقاد إلى مؤيد ومعارض .

٢ ـــ أن أصحاب المحافظة على التراث ، هالتهم الدعايات العريضة التي نالها أصحاب التجديد ، فأرادوا أن يرجعوا الأمور إلى نصابها ، ويبيّنوا أصولها . وهذا ما سنجده مثلاً عند الجرجاني علي بن عبد العزيز ، والآمدي في الموازنة .

٣ ـــ أن ابن المعتز رأى أن فنون البديع الخمسة هي المحك الذي يكشف عن أصالة الشاعر ، ولكنه ترك الباب مفتوحاً لتغير الأحوال والمفاهيم والبيئات . . .

٤ ـــ أن « محاسن الكلام » درجة أقل في نظره من فنون البديع ، أو هي الدرجة السائدة من الجودة ، التي لا تشهد بتميز أو ابتكار .

٥ ـــ أن السكاكي حين استعمل مصطلح « محسنات بديعية » لم يأت بجديد ، فقد سبقه إليه ابن المعتز .

وكانت دعوة ابن المعتز لغيره من النقاد والبلاغيين ، أن يضيفوا ما يرونه ، وَبَالًا على فن البديع ، اذ تبارى البلاغيون في التقسيم والتشقيق حتى بلغ الأمر عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) إلى مائتين وخمسة وتسعين بابا في البديع ، ويسير تيار التجديد بين التأييد والمعارضة ـــ والمؤيدون يعتبرونه ابتكاراً وبديعاً ، والمعارضون يسمونه « صنعة » وتجاوزاً . . .

فابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) يعتبر ما أتى به المجددون « عجيب ولطيف وإبداع للطيف سحرهم فيها ، وزخرفتهم لمعانيها »[1] ، والجرجاني ـــ علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) يوضح المسألة أكثر ، فيرى أن البديع بديعان ، أحدهما الذي يأتي عفواً ، ويعتمد على الذوق والسليقة الطيّعة ، وخصّ الشعراء الأقدمين به ، والآخر ويتصف بالصنعة والقصد (أي القصد إلى التقليد) والإفراط . وهو ما نراه في شعر المحدثين ، ذلك لأنهم ينهلون من معين القدماء الذين أتوا على كل بديع ،

(١) عيار الشعر ـــ ٤٦ ـــ تحقيق د. محمد زغلول سلام ـــ ط منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٥ م.

والمقلدون بعضهم محسن والآخر مسيء . بعضهم محمود ، والآخر مذموم ، بعضهم مقتصد والآخر مفرط ، فدرجة الاحسان فى التجديد هنا ، تأتى من المهارة فى الاحتذاء ، والإحسان فى الاقتداء ، والأبيات البديعة عنده هى « الأبيات الغريبة الحسنة المتميزة عن أخواتها فى الرشاقة واللطف »[1] .

ولا يبعد الآمدى عن فكرة الجرجانى فى البديع ، ولا فى ربط الجديد بالقديم ربطا تعسفيا .[2]

وحديث الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) عن البلاغة يعنى أنه فَهِمَ أن البديع أعلى درجات البلاغة ، فحين اعتبر البلاغة أحد وجوه الإعجاز ، التفت إلى فكرة التميّز ، تميّز الصنعة الإلهية عن الصنعة البشرية التى قسمها إلى درجتين فى الجودة ، يقول « وأما البلاغة ، فهى على ثلاث طبقات ، منها ما هو أعلى طبقة ، ومنها ما هو أدنى طبقة ، ومنها ما هو فى الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة ، فما كان فى أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن »[3] .

وفى « حلية المحاضرة » للحاتمى ، تتسع دائرة البديع ، فى فنون عديدة بعد أن يصفه بالتفرد ، يقول « فوجدت أرباب الكلام يعمدون إلى الإيجاز فى حالة الحاجة إلى الإيجاز،والإطالة والتوسع عند الحاجة إلى الإطالة والاتساع ، لِمَا انفردت به لغتهم دون اللغات من أصناف البديع كالتجنيس والتطبيق والاستعارة والإشارة والوحى والتشبيه والاستثناء والتبليغ والترديد والتصدير ...، إلى غير ذلك من أفانين البديع[4] .

وفى الصناعتين للعسكرى (ت ٣٩٥ هـ) باب خاص للبديع ، هو الباب التاسع ، بعد أن يتكلم عن الإيجاز والإطناب والتشبيه والسجع والازدواج ، ويجعل البديع فى خمسة وثلاثين فصلا منها « الاستعارة والمجاز والتطبيق والتجنيس والمقابلة

(١) الوساطة ــ ٢٠ وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى ــ الطبعة الثالثة ــ ط الحلبى .

(٢) الآمدى ــ ١٥١ تحقيق السيد أحمد صقر . ط دار المعارف ١٩٦١ م .

(٣) النكت ــ ٦٩ تحقيق د. محمد زغلول سلام ــ ط دار المعارف الثالثة .

(٤) حلية المحاضرة ــ ١٢٤/١ تحقيق د. جعفر الكتانى ــ العراق .

وصحة التقسيم وصحة التفسير والإشارة والإرداف والمماثلة والغلو والترشيح والتكميل ... الخ » .

يقول : « فهذه أنواع البديع التى ادَّعى من لا رواية له ، ولا دراية عنده ، أنَّ المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام إذا سَلِمَ من التكلف — وبَرِىءَ من العيوب ، كان فى غاية الحسن ونهاية الجودة »[1] .

ومع الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) نجد أصراراً على تسمية فنون البلاغة بالبديع ؛ لأنه ينادى بأن أصناف البديع التى توصل إليها الشعراء بما فيها من تفرد وتميز لا يمكن معرفة الإعجاز القرآنى بها ؛ لأن نظمه متفرد ، ولا يُقَارَن بها »[2] .

ويفصل ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) بين البديع والبلاغة التى يجمع لها تعريفات عديدة من كتب الجاحظ والرمانى وعبد الكريم النهشلى وغيرهم[3] ، ثم يعرفها بأنها « وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز ، مع حسن العبارة » ثم يفرد باباً بعنوان « المخترع والبديع » يقول فيه « المخترع من الشعر هو : ما لم يُسبَق إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره ، أو ما يقرب منه »[4] أما البديع : فضروب كثيرة ، وأنواع مختلفة ، وأنا أذكر منها ما وسعته القدرة ، وساعدت فيه الفكرة ، إن شاء الله تعالى — على أنّ ابن المعتز — وهو أول من جمع البديع ، وألف فيه كتابا — لم يَعُدُّه إلّا خمسة أبواب ، الاستعارة أولها ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الأعجاز على الصدور ، ثم المذهب الكلامى ، وعَدَّ ما سوى هذه الخمسة أنواع ، مَحَاسِنَ ، وأباح أن يُسَمِّيها من شاء بعد ذلك بديعا ، وخالفه مَنْ بعده فى أشياء منها يقع التنبيه عليها ، والاختيار فيها حيثما وقعت من هذا الكتاب إن شاء الله[5] .»

---

(١) الصناعتين — ٢٧٢ وما بعدها تحقيق البجاوى وأبى الفضل إبراهيم ط الحلبى .

(٢) الباقلانى — ٦٦ إلى ١١٢ تحقيق السيد أحمد صقر — ط دار المعارف ١١٦٣ م .

(٣) العمدة — ١/٢٥٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — ط دار الجيل بيروت — الرابعة ١٩٧٢ م

(٤) العمدة — ١/٢٦٢

(٥) العمدة — ١/٢٦٥

وهكذا أخذ البديع ، منذ دعوة ابن المعتز — يتحول إلى باب مفتوح للاجتهاد ، وانحدر الأمر إلى التعريفات والعقم ، وضاعت فكرة الإبداع والاختراع في خضم التنافس بين البلاغيين ، على سد النقص الذى توهموا أن ابن المعتز وقع فيه .

ويحاول ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) أن يخطو خطوة أعمق من سابقيه ، فهو فى كتابه يبحث عن خصائص الإبداع أو الفصاحة ، كما سماها ، وتعقب شروطها ، فى الكلمة وفى التركيب ، فى اللفظ وفى المعنى ، فلم يهتم بالوقوف عند تعريف للبديع أو للبلاغة ، أو للفصاحة بقدر ما اهتم بتحديد العناصر التى تؤدى إلى البديع أو البلاغة أو الفصاحة ، بالرغم من أنه أوحى لمن جاء بعده من السكاكى وتلاميذه ، بفكرة المحاسن اللفظية والمحاسن المعنوية ، وهذا ما سنجده عند ابن الأثير بعدهم .

وفى « الأسرار » للجرجانى (ت ٤٧١ هـ) نصٌّ يُغنينا عن الإفاضة فى الحديث ، تكلم عن التجنيس وكيف يصير بديعا « أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلّا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحةُ فالْتَوَت ∴ فيه الظُّنُونُ أَمَذْهَب أم مُذْهِب

واستحسنت تجنيس القائل « حتى نَجَا من جَوْفِه وما نجا »[1] ، وقول المُحْدَث :

نَاظِراه فيما جَنَى نَاظِراه ∴ أَوْ دَعَانى أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانى

الأمر[2] يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول ، وقويت فى الثانى ؟ ورأيتك لم يزدك « مَذْهَب » و « مُذْهِب » على أن أسمعك حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلّا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظ ، كأنه يخدعك عن الفائدة ، وقد أعطاكها ، ويوهمك كأنه لم

(١) نجا الأولى بمعنى أحدث ، والثانية بمعنى تخلص .
(٢) متعلق بقوله « أتراك استَضْعَفْت ... واستحسنت ...

يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّاها ، فبهذه السريرة صار التجنيس ـــ وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة ـــ من حُلَى الشعر ، ومذكوراً فى أقسام البديع[1] .

فالتجنيس صار بديعا لأنه يعطيك الفائدة التى خدعك عنها ، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّاها ، فليس البديع هو التجنيس ، بل العكس ، التجنيس قد يكون بديعا إذا كان متميزاً أصيلا ، وغير بديع إذا كان تافهاً ركيكاً .

ومن هنا كانت الاستعارة بديعا عند الجرجانى كما فعل الآمدى ، يقول الجرجانى « وقال الآمدى : ثم قد يأتى فى الشعر ثلاثة أنواع أخرى يكتسى المعنى العام بها بهاءً وحُسْناً ، حتى يخرج بعد عمومه إلى أن يصير مخصوصاً . ثم قال « وهذه الأنواع هى التى وقع عليها اسم البديع ، وهى الاستعارة والطباق والتجنيس ، فهذا نَصٌ مَوْضِع القوانين ، وعلى أن الاستعارة من أقسام البديع ، ولن يكون النقل[2] بديعا حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة ، كما بينت لك ، وإذا كان كذلك ، ثم جعل الاستعارة على الإطلاق بديعا ، فقد أعْلَمَكَ أنها اسم للضَّرب المخصوص من النقل دون كل نقل »[3] .

ولن يتهيأ هذا التَّمَيُّز ، ولن يكون هذا « البديع » إلّا إذا كان طَيِّعاً ، طلبه المعنى ولم يسع المعنى إليه ، ناداه النظمُ ولم يفتعل هو النظم . يقول « وعلى الجملة ، فإنك لا تجد تجنيسا مقبولًا ، ولا سجعا حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلًا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ... »[4] .

هذا هو البديع ... الذى سماه القاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)

(١) الأسرار ـــ ٤

(٢) الأسرار ـــ ٣٢٣ تحقيق محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٥٩ م ، القاهرة .

(٣) يقول الرمانى فى تعريفه للاستعارة « هى تعليق العبارة على غير ما وُضعت له فى أصل اللغة ، على جهة النقل للإبانة » « النكت » ـــ ٧٩ .

(٤) الأسرار ـــ ٧

بالفصاحة ، وسماه أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) بالبلاغة ، وسماه الجرجانى بالنظم .

ويطبق الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أفكار الجرجانى ، يقول فى قوله تعالى « وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين » (النمل —٢٢) وقوله « من سبأ بنبأ » من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ ، بشرط أن يجيء مطبوعا ، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة ، محسَّنَ وبَدَع لفظا ومعنى »[(1)] .

وهذا هو البديع ، بغض النظر عن أنه قد ضم فنوناً عديدة ، أو فنونا محدودة ، فالذى يهمنا هو « المقياس البديعى للفن أيًا كان اسمه .»

ويسمى ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) كتابه « البديع فى نقد الشعر » ، ويدرج تحته ما وصلت إليه يده من فنون بلاغية ، حتى أوصلها إلى مائتين وخمسة وتسعين باباً ، ولم يعرِّف البديع واكتفى بأن قال « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين ، المصنَّفة فى نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، فلهم فضيلة الابتداع ، ولى فضيلة الاتباع ، والذى وقفت عليه : كتاب « البديع » لابن المعتز ، وكتاب « الحالى » وكتاب « المحاضرة » للحاتمى ، وكتاب « الصناعتين » للعسكرى ، وكتاب « اللمع » للعجمى ، وكتاب « العمدة » لابن رشيق ، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه ، وذكرت منه أحسن مِثالاته ، ليكون كتابى مغنياً عن هذه الكتب ، لتضمنه أَحَسْنَ ما فيها[(2)] .

ويؤلف ابن أبى الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) كتابه « تحرير التحبير »[(3)] ثم يختصره فى كتابه « بديع القرآن »[(4)] ، وهو يحتوى مسميات للفنون متضاربة وأخرى متشابهة ... وأخذ الطريق فى الانحدار ، وبدأ التنافس بين العلماء فى إضافة مزيد

---

(١) الكشاف — ١٤٤/٣ ط دار المعرفة — بيروت ، وهذه التى سأعتمد عليها فى بحثى هنا .

(٢) البديع فى نقد الشعر — ص ٨ — تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، ود. حامد عبد المجيد ومراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى — وزارة الثقافة والإرشاد القومى ط الحلبى ١٩٦٠ م .

(٣) تحرير التحبير — تحقيق د. حفنى شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — القاهرة .

(٤) بديع القرآن — تحقيق د. حفنى شرف ط دار نهضة مصر — الثانية .

من المسميات تحت فن البديع ، بدون أن يتوقفوا ليسألوا أنفسهم : ما البديع ؟ وهل ما يصنعونه هذا يمت إلى البديع بصلة ؟!

وبالرغم من ذلك ، نقرر أنه قد أُتيح للبديع من خلال هذه الجهود الفنية مَنْ يتنبه إلى الذوق ويشيد به ، وإلى حسن النظم وإلى الجمال ، وإلى كثرة الشواهد الأدبية المختارة التى يبرز فيها بأحلى صُوَره . وبأمتعها ، قبل أن يتقدم به التدهور الفنى والذوق إلى العقم ، ويسلمه إلى مدرسة السكاكى ضحية سهلة من ضحاياها الكثيرة .

ونقرر أيضا ، أن البديع هو البلاغة فى أسمى درجاتها ، فالأسلوب المتميز المبتدع هو الذى يؤدى إلى البلاغة ، وهو الذى يعطيها البديع ، وبالتالى، تكون الفنون البلاغية كلها فنونا لتحقيق درجة الإبداع ، فالتشبيه والمجاز والكناية والطباق والفصل والوصل والقصر وغيرها وغيرها من فنونٍ ، إنما هى أوعية يحاول الفنان أن يصب فيها ابتكاره وإبداعه ونبوغه ، وقد ينجح وقد لا ، فليس هناك فنون بديعيه ، إنما هناك فنون تحاول أن تحقق البديع ، أن تحقق البلاغة فى أبدع صورها ، ومن ثمّ نُحِسُّ بمدى الخسارة التى لحقت الدرس البلاغى بالانحراف إلى ما يسمى بفنون البديع ، بمعنى تخصيص فنون بعينها تسمى « البديع » ، بينما المقصود من « الفنون البديعية » : الفنون التى نحاول من خلالها تحقيق الإبداع ، والابتكار والتميز والفن الجميل .

ثانيا : مرحلة الجمود :

هى ليست مرحلة ظهور الجمود ، بل هى مرحلة سيطرة الجمود ، لأن ظهوره أقدم بكثير من السكاكى وتلاميذه ، فكل فكرة جديدة تحتوى على بذرة نقص صَغُرت أم كَبُرتْ ، وتستطيع هذه البذرة أن تختفى فى ثنايا النجاح العريض للفكرة ذاتها ، وحينما تخفت الأضواء ، وتقل المواهب ، وتسقم الأذواق ، تبدأ بذرة الجمود فى الازدهار ، إلى أن تسيطر على الصعيد كله ، وتصير هى التجديد ، وهى الابتكار والنبوغ .

فالسكاكى المعتزلى (ت ٦٢٦ هـ) وجد أمامه الجرجانى الأشعرى (ت ٤٧١ هـ) الذى تأثر بالقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) المعتزلى ، الذى تأثر بالرمانى

المعتزلى (ت ٣٨٤ هـ) الذى لم يَخْفَ عنه ما كتبه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) المتفلسف ، وغيره ، فهى سلسلة مضطردة يُفْضى بعضها إلى بعض .

وإذا لاحظنا أن السكاكى قد قسم البديع إلى محسنات لفظية وأخرى معنوية ، فكثير من البلاغيين سبقه إلى هذا ، فقدامة يتحدث عن نعوت الجودة التى تتصل باللفظ ثم بالمعنى ثم بالوزن والقافية ، وما يندرج تحت ائتلاف اللفظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، المعنى مع الوزن ، فى أسلوب جاف ، وتقنين عقيم مُستَقى من الفكر اليونانى ، وقد سبقه أيضا — بطريقة فنية — ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) ، وبعده تكلم فيها العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، وابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) ...، السكاكى لم يأت من فراغ .

أقول : وبعد أن وضع السكاكى حداً لعلم المعانى ، وحَداً لعلم البيان ، قال « وإذا تقرر أن البلاغة بمرجعها وأن الفصاحة بنوعيها ، يكسو الكلام حُلّة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التَّحَسُّن ، فههنا وجوه مخصوصة ، كثيراً ما يُصَار إليها بقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهى قسمان ، قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ » . ومن المحسنات المعنوية « المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير والمزاوجة واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والتوجيه (التورية) والاعتراض ....، ومن المحسنات اللفظية « الجناس والسجع .... »[1] .

والسكاكى فى تقسيمه البلاغة إلى (علمى المعانى والبيان) أخذ قول الزمخشرى فى الكشاف (... ولا يغوص على شىء من تلك الحقائق (حقائق القرآن) ، إلّا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعانى وعلم البيان »[2] فجمع موضوعات من الدلائل للجرجانى ووصفها تحت « علم المعانى » ، وأخرى من الأسرار ووصفها تحت « علم البيان » ، ولم يقصد الجرجانى ولا الزمخشرى إلى ما ذهب إليه السكاكى ، فلفظ « علم » عند الزمخشرى يعنى « الإحاطة الشاملة » بما توصل إليه الجرجانى فى نظرية النظم ، وما توصل إليه الجاحظ في كتابه « البيان » ولكن السكاكى أبى إلّا أن يُفْسِدَ الأمر .

(١) المفتاح — ١٧٩ وما بعدها ، ط التقدم العلمية — ١٣٤٨ هـ .

(٢) الكشاف — ١٦/١ .

والسكاكى أيضا ، بعد أن استوفى الحديث فى هذين « العلمين » ، تحدث عن الوجوه التى يصار إليها لتحسين الكلام ، ووضع تحتها عدة فنون ، وهو بهذا نصَّ على ما يجب إدراجه تحت « البديع » ، بالإضافة إلى أنه عكس الموضوع ، فبدلًا من أن يكون « البديع » درجة من التميز يصل إليها الفنان عن طريق أى فن بلاغى ، صار « البديع » أن تستخدم الجناس والطباق والسجع والازدواج ...، ثم قسم السكاكى هذه الفنون إلى قسمين ، لفظى ومعنوى ، وبهذا تمت الرواية فصولا ، ومشكلة مصطلح « البديع » ليست القضية ، لأن التقسيم قد استقر ، والتصنيف قد استحكم ، والأذواق قد سقمت ، فصار الجمود تجديداً .

ويأتى بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) ويضع مصطلح « البديع » ويأتى القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) وشراح التلخيص ، وعلماء القرن الثامن ومن بعدهم ، ليسيروا على الدرب ، درب العقم والتعقيد ، والتلاعب بالألفاظ ، والتنافس فى « البديعيات »[1] وكلها جهود ضائعة .

حتى يأتى العصر الحديث ، والبلاغيون المحدثون ، فيحاولون أن يضعوا الأمور فى نصابها ، مرددين قوله تعالى « ... فأما الزبد فيذهب جُفَاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ... » (الرعد ـــ ١٧) والحمد لله رب العالمين .

---

(١) البديعية قصيدة تحتوى على كل الفنون التى أدرجت تحت « علم البديع » ، وهى فى الوقت ذاته فى المديح ، وبخاصة مدح الرسول ﷺ ، انظر فصل « حياة الصبغ البديعى الأدبية والعلمية فى البديعيات » من ٣٧٠ـــ٤٦٥ من كتاب « الصبغ البديعى » للدكتور أحمد إبراهيم موسى ، ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٩ م .

ب ــ الإيقاع

قلنا إن البديع هو درجة التميز والابتكار ، وأن الفنون البلاغية كلها بديعية إذا توافر لها الابتكار والتميز والإبداع ، والفنون البديعية التى جمعناها هنا اشتركت فى عامل « الإيقاع » . الأمر الذى لا يتوافر للتشبيه أو المجاز أو الفصل والوصل أو التقديم والتأخير ... أو غيرها من الفنون ، ولكى تكون بصفة « البديعية » يجب أن تقوم على الوفاء بالمعنى ، فهى ليست وجوها لتحسين الكلام ، إنما هى « الكلام » نفسه ، والمعنى هنا ، لا يعنى معانى الألفاظ المفردة ، بل يعنى « الموضوع » الذى يتحدث فيه الفنان ، و « الوفاء به » يعنى كيفية إبرازه وصياغته ، صياغة فنية شائقة .

أما الإيقاع فهو التناغم الذى يقيمه الفنان بينه وبين المخاطب عن طريق الموضوع ، هو الموسيقا المنبعثة من داخل الصياغة ، وهو ليس نغمات مكررة فقط ، بل هى تصوير لجو المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المتكلم والمخاطب والموضوع .

فحين تقول الخنساء

إنّ البُكَاءَ هُوَ الشِّفَاءُ ∴ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الجَوَانِحِ

أرادت أن تقيم جواً من الحزن الدفين ، يصل بينها وبين المخاطب ، عن طريق الإيقاع الممطوط الحزين ، وهى بهذا تكون قد وَفَت بالمعنى ، أى قدمته فى صورة دقيقة مصحوبا بالإيقاع المناسب .

فأصوات الحروف ، وتركيب المقاطع ، وتناغم الحركات مع السكنات ، والعلاقات الوطيدة بين مخارج الحروف ومعانيها وتناسقها فى مسافات مرسومة ، كل هذه أدوات لتهيئة الجو العام النفسى للإيقاع ، فالموضوع يوحى بالإيقاع ، والإيقاع يُبرز الموضوع ، والعلاقة بينهما عضوية لا تنفصم .

وثَمَّ فنون لا يظهر بهاؤها إلّا وهى مُوَقَّعة ، كالسجع والجناس والازدواج والمشاكلة ، وفنون أخرى لها من الطاقة أن تُبرز كل خفاياها بلا إيقاع ، وقد يتوافر

لها الإيقاع ويكون حينئذ إضافةً جديدة . كالطباق والتعليل والمبالغة والتورية ، وغيرها من الفنون التى لا تحتاج إلى الإيقاع لتبرز خفاياها ، ولكنه قد يظهر فيها .

هذا هو الإيقاع ، أن يستخدم الفنان قدرات أصوات الحروف ، ونغمات الألفاظ ، والتراكيب ، وينسق بينها ، بحيث تترجم ما يعتمل فى نفسه ، وتجذب المخاطب إلى محيطها ، ليذوب فى أجوائها ، ويظل فى جنباتها ، لا ينفك عقله مع نفسه مع روحه فى تجاوب متصل مع الفنان وعمله الفنى .

ومن جزئيات الإيقاع فى البيت الواحد ، ومع إيقاع البيت الآخر ، والأبيات معا ، تتكون النغمة العامة للعمل الفنى من حزن سائد أو فرح غامر ، أو قلق طاغ ، أو شوق محيِّر ... الخ .

أولا : مصطلحات الوفاء بالمعنى والإيقاع

أولا ــ السجع

١ ــ مصطلح « السجع » و « الفاصلة » .

٢ ــ تعقيب على جهود القدماء .

٣ ــ تعريف للسجع والفاصلة ، والفرق بينهما فى رأيى .

٤ ــ الفاصلة فى القرآن الكريم .

(أ) أبنية الفواصل فى القرآن الكريم .

(ب) خروج نظم الآية عن مقتضى الظاهر لتلاؤم الفواصل فى القرآن الكريم .

١ ـــ مصطلح « السجع » و « الفاصلة »

مصطلح « السجع » أقدم من مصطلح « الفاصلة » ، بدليل الحديث الشريف « أسجعا كسجع الكهان »[1] والمعروف أن العرب قالوا « سجع الكهان » ، ولم يقولوا « فواصل الكهان » .

لقد أدى اختلاف تخريج العلماء لهذا الحديث إلى اختلاف فى موقفهم من السجع والفواصل ، هل السجع هو الفواصل ؟ هل هما شيئان مختلفان ؟ هل فى القرآن سجع ؟ أم أن ما به فواصل منتهية بحروف متماثلة ؟؟

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) : « سجع الرَّجُل ، إذا نطق بكلام له فواصل كقوافى الشعر من غير وزن ، كما قيل : لصها بطل ، وتمرها دَقَل[2] ، إذا كثر الجيش بها جاعوا ، وإن قلّوا ضاعوا »[3] .

ويسمى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) السجع ، « فواصل » ، يقول : « جميع مالا يحذف فى الكلام ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف فى الفواصل والقوافى ،

---

(١) قصته : أن حمل بن مالك . كان قد تزوج بامرأتين ، يقال لأحدهما : مليكة بنت ساعدة ، وللأخرى : أم عفيفة بنت مسروح ، فتغايرتا ، كما هو الشأن بين الضرَّتين ـــ فضربت أمُّ عفيفة مليكةَ بمسطح بيتها [أى : الجرن يبسط فيه التمر ويجفف] أو بعمود فسطاطها [أى : بعمود خيمتها] وهى حامل ، فألقى جنينها ، ورفعت قضيتها إلى النبى ﷺ ، فقضى على عاقلة الضاربة [أى : على قرابتها من جهة الأب الذين يشتركون فى دفع الدية] بغرة عبد أو أمة [الغرة من القوم : أشرفهم وأجلهم قدراً] ، فقال أخوها العلاء : أنغرم مَنْ لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ؟ فمثل ذلك يُطَلّ » .

ـــ [جملة : « مثل ذلك يطل » ـــ تقريرية بمعنى : الذى فى عمر هذا الجنين لا يستحق أن نغرم من أجله دية ، فَدَمُه هدر ، ويجوز فيها أن تكون استفهامية إنكارية ، بمعنى : أنغرم ما نغرم لمثل هذا الجنين ؟ والعبرة بطريقة إلقاء الجملة فى حال وقوعها من العلاء نفسه] . انظر الباقلانى ـــ إعجاز القرآن ٧٤ من مقدمة المحقق ، وانظر فى الكتاب نفسه مروى بعدة روايات كلها تدور حول هذا المضمون .

(٢) الدقل : أردأ أنواع التمر .

(٣) الخليل بن أحمد ـــ العين ـــ ٢٤٤ تحقيق د. عبد الله درويش ـــ مطبعة العانى ـــ بغداد ـــ ١٩٦٧ م ، وانظر الشاهد فى البيان والتبيين للجاحظ ٢٨٥/١ ط. الخانجى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـــ الرابعة .

والفواصل قول الله تعالى « والليل إذا يَسْرِ » [الفجر ـــ ٤][1] و « ما كنا نَبْغِ » [الكهف ـــ ٦٤][2] و « يوم التناد » [غافر ـــ ٣٢][3] و « الكبير المتعالِ » [الرعد ـــ ٩][4] ، والأسماء أجدر أن تحذف ، وإذا كان الحذف فيها فى غير « الفواصل والقوافى »[5] ، ويقول كذلك « إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مَدَّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا »[6] .

والكلمة التى تنتهى بها الجملة « فاصلة » ، عند الفراء (ت ٢٠٨ هـ) ، وهى « رءوس الآيات »[7] وهى « آخر الآية »[8] و « آخر الحروف » و « أواخر الحروف »[9] ، ويلتفت الفراء إلى جانب الإيقاع الموسيقى فى « الفاصلة » ، فيقول فى قوله تعالى « ولمن خاف مقام رَبِّه جَنَّتَان » [الرحمن ـــ ٤٦] ، وإنما ثناهما هنا لأجل الفاصلة ، رعاية للتى قبلها والتى بعدها على هذا الوزن ، والقوافى تحتمل فى الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام »[10] ، وله فى «الإتقان» للسيوطى ، حول قوله تعالى « إِذْ انبعث أشقاها » [الشمس ١٢][11] قوله :

(١) والآيات قبلها : « والفَجْرِ وليالٍ عشر ، والشَّفْع والوَتْر ، والليل إذا يَسْرِ » من ١ـــ٤ .

(٢) وقبلها : « قال : أرأيت إذ أوَيْنَا إلى الصخرة ، فإنى نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكُرَه ، واتخذ سبيله فى البحر عَجَبا ، قال : ذلك ما كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّا على آثارهما قَصَصا » ٦٣ ، ٦٤ من سورة الكهف ، مع ملاحظة أن « نَبْغِ » ليس فاصلة .

(٣) وقبلها : « مثل دَأْب قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بَعْدِهم ، وما الله يريد ظُلْماً للعبادِ ، وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التنادِ » ٣١ ، ٣٢ من سورة غافر .

(٤) وقبلها : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدارٍ ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » ٨ ، ٩ من سورة الرعد .

(٥) الكتاب ـــ ١٨٤/٤ تحقيق أ. عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧ .

(٦) الكتاب ـــ ٢٨٩/٢ ط الأميرية .

(٧) الفراء ـــ معانى القرآن ـــ ١٧٦/٢ ، ط دار الكتب المصورة بيروت ـــ تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار ـــ ١٩٥٥ .

(٨) المصدر نفسه ـــ ١٦/١ و ٢٠٠ ـــ ٢٠١ .

(٩) المصدر نفسه ـــ ٢٠٠/١ ، ٢٠١

(١٠) الزركشى ـــ البرهان ـــ ٦٥/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وانظر معانى القرآن للفراء ـــ ١١٨/٣ .

(١١) وقبلها « قد خاب من دَسَّاها ، كذبت ثمود بطَغْواها، إذْ انبعث أشقاها » ١٠ إلى ١٢ من سورة الشمس .

فإنهما رجلان ، قُدَار وآخر معه ، ولم يقل أشقياها » للفاصلة »[1] ، ويردد الأخفش الأوسط « سعيد بن مسعدة » (ت ٢١٥ هـ) قول سيبويه فى إثبات ألف « ظنونا » و « السبيلا » فى قوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » [الأحزاب ـــ ١٠] ، وقوله تعالى « أضلونا السبيلا » [الأحزاب ـــ ٦٧] ، بأن : إثبات الألف لأنها رأس آية ، لأنّ قوما من العرب يجعلون أواخر القوافى إذا سكتوا عليها ، على مثل حالها إذا وصلوها ، وهم أهل الحجاز ، وجميع العرب إذا ترنموا فى القوافى أثبتوا فى أواخرها الياء والواو والألف »[2] .

وقد أحَسَّ ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) بخطورة ما يذهب إليه الفراء ، فحين تثنى لفظه « جنة » لغرض الإيقاع الموسيقى ، تصير الحقيقة فى جانب ، والإيقاع فى جانب آخر ، وصار المعنى تابعا للإيقاع ، ومن ثَمَّ ، تحول الإيقاع إلى هدف ، يقول ابن قتيبة : « وهذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله ـــ جل ثناؤه ـــ الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس الآية ، وإنما يجوز فى رءوس الآى ، أن يزيدها هَاءً للسكت ، كقوله « وما أدراك ما هِيَهْ » [القارعة ـــ ١٠] ، وألفا ، كقوله : « وتظنون بالله الظنونا » [الأحزاب ـــ ١٠] ، أو بحذف همزة من الحرف ، كقوله « أثاثا وَرِئْياً »[3] [مريم ـــ ٧٤] ، أو ياءً ، كقوله « والليل إذا يَسْرِ » [الفجر ـــ ٤] ، لتستوى رءوس الآى على مذاهب العرب فى الكلام إذا تَمَّ ، فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره ، لأن هذا لا يزيل معنى على جهته ، ولا يزيد ولا ينقص ،

---

(١) نقل السيوطى هذا الرأى عن كتاب « شمس الدين بن الصائغ « إحكام الآى فى أحكام الرأى » انظر الاتقان ـــ ٢٩٩/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ الطبعة الثالثة ـــ دار التراث بالقاهرة وانظر معترك الأقران للسيوطى ـــ ٦٣/١ تحقيق على محمد البجاوى ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

(٢) الأخفش ـــ معانى القرآن ـــ ٧٢/١ تحقيق د. فايز فارس ، ط الكويت ـــ ١٩٧٩ م ـــ الأولى ، وللأخفش حديث سيأتى إن شاء الله عن المبالغة فى قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مَثابةً للناس وأمْناً » [البقرة ـــ ١٢٥] انظر ص ٦٤ من البحث ، بالرغم من قول صاحب كتاب « لمحات بلاغية فى معانى القرآن للأخفش » أنه « لم يقع للأخفش فى كتابه «معانى القرآن » على إشارات لأى مما عُرف بعد ذلك بالبديع » !! ص ٩٦ ط النهضة المصرية ـــ ١٩٨٣ م ـــ الأولى .

(٣) الرِّئْىُ : المنظر والاشارة والهيئة ، « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة ص ٢٧٢ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ١٩٧٨ .

وأما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين ، فيجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى ، فمعاذ الله »(1) .

ويتابع الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) مَنْ سبقه مِنَ العلماء فى اعتبار أن السجع « فاصلة » ، نسب إليه السيوطى : « سَمَّى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سَمَّى العرب كلامهم ، على الجملة والتفصيل ،: سمى جملته « قرآنا » ، كما سموا « ديوانا » ، وبعضه « سورة » « كقصيدة » ، وبعضها « آية » « كالبيت » وآخرها « فاصلة » « كقافية »(2) ، ثم يضيف فى « البيان » ، أن للكلام المسجوع مَيْزة سُرْعَةِ الحفظ ، ونشاط الآذان لسماعه ، وصعوبة ضياعه ، وذلك فيما أورده عن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرُّقاشى : « قيل له : لِمَ تؤثر السجع على المنثور ، وتلزم نفسك القوافى وإقامة الوزن ؟ »(3) ، أجاب الرُّقاشى : « إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلّا سماع الشاهد ، لَقَلّ خِلَافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أَحَقُّ بالتقدير ، وبِقِلَّةِ التَّفلّتِ ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يُحفظ من المنثور عُشْرُهُ ، ولا ضاع من الموزون عُشْرُه »(4) .

أما كَرْهُ الأسجاع ، فكان لسبب « أنّ كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم ... كانوا يتكهّنون ، ويحكمون بالأسجاع ...، فوقع النهىُ فى ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم ، وفى صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم(5) كما يقول الجاحظ .

وبالرغم من ذلك ، فإن لحديث « أسجع كسجع الكهان ؟ » تعليلاً آخر عند الرقاشى ، يقول : « لو أن هذا المتكلم لم يُرِدْ إلّا الإقامة لهذا الوزن ، لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق ، فتشادق فى الكلام »(6) .

(1) ابن قتيبة — تفسير غريب القرآن ٤٤٠ ، ويقول السيوطى فى « الاتقان » ، بعد ذكر رأى ابن قتيبة هذا « وأما ابن الصائغ ، فإنه نقل عن الفراء ، أنه أراد « جنات » فأطلق الاثنين على الجمع».

(2) السيوطى — الإتقان ١/١٤٣ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(3) نلاحظ هنا ، أن السجع صار مقابلا للنثر ، أى صار بمعنى الكلام الموزون المقفّى .

(4) البيان — ١/٢٨٧ تحقيق عبد السلام هارون — الرابعة .

(5) نفسه — ١/٢٨٩ .

(6) نفسه — ١/٢٨٧ .

ويقرر الزجاج (ت ٣١١ هـ) أن أهل اللغة يسمون أواخر الآى فواصل ؛ ويسميها « رأس آية » متابعا الفراء والأخفش ـــ وأنهم كذلك يجيزون حذف الياءات من الفواصل ، كما يجيزونه فى قوافى الشعر »[١] .

وفى نعوت الوزن ، تكلم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) عن التصريع وهو « أن يُتوخّى فيه تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد فى التصريف ... » وضرب مثالًا للفظتين المسجوعتين فى تصريف واحد ، قول امرىء القيس الكندى .

مِخَشٌّ مِجَشٌّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معا .:. كتيس ظباء الحُلّبِ العَدَوانِ[٢]

وربما كان السجع ليس فى لفظة لفظة ، ولكن فى لفظتين بالوزن نفسه ، كقوله :

أَلصُّ الضُّروسِ ، حَنِيُّ الضُّلُوعِ تَبُوعٌ ، طَلُوبٌ ، نَشِيطٌ ، أَشِرْ[٣]

ومثل قول زهير بن أبى سلمى :

كَبْدَاءُ مُقْبِلَةً ، وَرْكَاءُ مُدْبِرةً قَوْدَاءُ ، فيها إِذَا مااسْتَعْرَضْتَهَا خَضَعُ[٤]

يقول قدامة : « فأتى بفَعْلاء مُفْعِلة ، تجنيساً للحروف بالأوزان » ، ثم يبين موطن الجمال فى « التصريع » أنه « يَحْسُن إذا اتفق له فى البيت موضع يليق به ، فإنه ليس فى كل موضع يَحْسُن ، ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضا إذا تواتر واتصل فى الأبيات كلها بمحمود »[٥] .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ـــ ٣٩١/١ تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى ـــ ط. بيروت وانظر ١٣٧/٢ منه.

(٢) المِجَشّ الجرىء الماضى ، المِجشّ: غليظ الصوت ، التيس : فحل الظباء ، الحُلّب : نبت ترعاه الظباء فتضمر عليه بطونها ، أو نبات تعتاده الظباء فيخرج منه ما يشبه اللبن إذا قطع ، وإنما سمى « الحُلّب » لتحلبه ، العدوان : الشديد العدو وهو من وصف التيس ، وقد شبه الفرس بفحل الظباء فى ضموره ونشاطه وسرعته ، وبالديوان : مكر مفر مقبل مدبر معا ـــ انظر هامش التحقيق . ص ٣٨ .

(٣) ألص الضروس : ملتصق الأسنان بعضها ببعض ، حنى الضُّلُوع : مشرف الضلوع ظاهرها ، تبوع للصيد : قوى عليه .

(٤) الكبداء : المرأة الضخمة الوَسَط البطيئة السير ، الوركاء : عظيمة الورك ، القوداء : الطويلة ، وقوله : « فيها اذاما استعرضتها خَضَعٌ » أى : إذا اعترضت طريقها أو رأيتها من عرضها ـــ رأيت فيها كبراً وخيلاء .

(٥) قدامة ـــ نقد الشعر ـــ ٣٨ وما بعدها ـــ تحقيق كمال مصطفى ط ١٩٦٢ م ـــ الخانجى .

وقد أطلق أبو الحسن على بن عيسى الرُّمَّانى (ت ٣٨٤ هـ) ، مصطلح « الفواصل » ، ورفض مصطلح « السجع » ، لأن « الفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب » ، وذلك أن الفواصل تابع للمعانى ، أما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ،... وقُبح ذلك وعَيْبه بيِّن لمن له أدنى فهم ، فمن ذلكم ما يحكى عن بعض الكهان : « الأرض والسماء ، والغراب الواقعة بنقعاء ، لقد نفر المجدُ إلى العُشَراء ... » فهذا أغث كلام يكون وأسخفه ، وقد بيّنا علته ، وهو تكَلُّف المعانى من أجله ، وجعلها تابعة له من غير أن يبالى المتكلم بها ، ما كانت » ،[1] « والفرق بين الفواصل والسجع ، أن الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع ، توجب حسن إفهام المعانى ، بينما السجع ليس فيه إلّا الأصوات المتشاكلة ، كما ليس فى سجع الحمامة إلّا الأصوات المتشاكلة »[2] .

والرمانى يعطى الجانب الإيقاعي حَقَّه من الدرس ، فيقسم الفواصل إلى قسمين « فواصل متجانسة الحرف الأخير » و « فواصل متقاربة الحرف الأخير » .

ومن الفواصل المتجانسة فى الحرف الأخير ، قوله تعالى « طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلّا تذكرة لمن يخشى» [طه ـــ ١ و ٢]، وكقوله «والطور ، وكتاب مسطور» [الطور ـــ ١ و ٢]، أما الفواصل ذاتُ تقارب المخارج فى الحرف الأخير ، كالميم والنون ، فى قوله « الرحمن الرحيم ، مالكِ يوم الدين » [الفاتحة ـــ ٢ و ٣] ، وكالدال والباء ، نحو قوله تعالى « ق ، والقرآن المجيد » ثم قال « هذا شيء عجيب » [ق ـــ ١ و ٢] ، ثم يبرز الرُّمَّانى فائدة الفواصل فى أنها ـــ تفيد بجوار المعنى وحسن الإيقاع « دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها فى الآى بالنظائر »[3] .

ويردد ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) فكرة عبد الصمد الرقاشى السابقة ، عن أثر السجع فى النفس ، وقدرته على اللُّصوق السريع بالذاكرة ، يقول « لو لم يكن

---

(١) الرمانى ـــ النكت فى إعجاز القرآن ـــ ٩٠ ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، ط دار المعارف ، والعُشَراء من النوق ونحوها : ما مضى على حملها عشرة أشهر .

(٢) نفسه والصفحة .

(٣) نفسه ص ٩١ .

المثل مسجوعا لم تأنس النفس إليه ، ولا أَنِقَتْ لِمُسْتَمِعِهِ ، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وُضِعَ له ، وجيء به من أجله »[1].

ولم يضع أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) حداً فاصلًا بين مفهوم « السجع » و « الفاصلة » و « الازدواج » ، فسمى « الازدواج » سجعا ، والسجع فواصل ، ولم يصرح أمام أية آية من الآيات التى استشهد بها ، أن ما بها سجع ، وإنما سماه فواصل[2] .

ويخلط ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) بين السجع والازدواج والفواصل ، يقول : « ومن المناسبة بين الألفاظ فى الصيغ ، والسجع والازدواج » ويحد السجع بأنه « تماثل الحروف فى مقاطع الفصول » ويوضح أن « بعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج فى الكلام ، وبعضهم يستحسنه ، ويقصده كثيراً ... » ، أما المذهب الصحيح عنده « فإن السجع محمود إذا وقع سهلًا متيسراً بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يُقْصَدْ فى نفسه ، ولا أَحْضَرَه إلّا صِدْقُ معناه دون موافقة لفظ ، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يُتَخَيَّلُ لأجله ، ووَرَدَ ليصير وصلة إليه »[3] وعن فواصل القرآن يقول : « إنهم سَمَّوْها فواصل ، ولم يسموها أسجاعاً ، وفرقوا ، فقالوا : إن السجع هو الذى يُقْصَد فى نفسه ، ثم يحمل المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعانى ، ولا تكون مقصودة فى أنفسها ، وقال على بن عيسى الرمانى ... » ثم يستعرض رأى الرمَّانى فى « النكت » ، ثم يذكر رأيه « فأما قول الرمَّانى — إن السجع عيب والفواصل بلاغة — على الإطلاق ، فغلط ، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود ، فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود متكلف — فذلك عيب ، والفواصل مثله ، وكما

---

(١) ابن جني — الخصائص — ١/٢١٦ تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثالثة المصورة .

(٢) أبو هلال العسكرى — الصناعتين — ٢٦٦ وما بعدها ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم — ط عيسى الحلبى ، الثانية ١٩٧١ م .

(٣) ابن سنان الخفاجي — سر الفصاحة — ١٦٣ وما بعدها ، تحقيق عبد المتعال الصعيدى ، ط صبيح — ١٩٦٩ م .

يَعْرِض التكلف فى السجع عند طلب تماثل الحروف ، كذلك يعرض فى الفواصل عند طلب تقارب الحروف ، وأظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا « ما تماثلت حروفه سَجْعا ، رَغْبَةٌ فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، فأما الحقيقة فما ذكرناه ، لأنه لا فرق بين مشاركةِ بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جَمِيعِه فى كونه عَرَضاً وصوتا وحروفا وكلاما وعربياً ومؤلفا ، وهذا مما لا يَخْفَى فيحتاج إلى زيادة فى البيان ، ولا فرق بين الفواصل التى تتماثل حروفها فى المقاطع وبين السجع »[1] .

ويرى الجرجانى ــ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ، أن السجع والجناس جزء هام من المعنى ، يقول بعد ضرب الأمثلة « قد تبين من هذه الجملة ، أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لم يَقُدْ المعنى نحو التجنيس والسجع ، **بل قاده المعنى إليها** ، وَعَبَّرَ به الفَرْقُ[2] عليهما ، حتى إنه لو رام تركهما على خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لَدَخَلَ من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه فى شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنس المستكره ، والسجع النافر »[3] .

ويطيل الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) الوقوف أمام أسرار الفواصل فى القرآن ، ليثبت أنها لم تأتِ حِلْية ولا زركشة ، يقول مثلا فى قوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا : إنما نحن مُصْلِحُون ، ألَا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ــ ألا إنهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمون » [البقرة ، ١١ــ١٣] ، فإن قلت : فَلِمَ فُصِلَتْ هذه الآية بـ « لا يعلمون » والتى قبلها بـ « لا يشعرون » ؟ قلت : لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسبَ النَاظرُ المعرفةَ ، وأما النفاق وما فيه من البغى

(١) نفسه ــ ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢) الفرق : الفصل بين شيئين ، ومن معانيه بالكسر ، المُوْجَةُ .

(٣) الجرجانى ــ أسرار البلاغة ــ ٩، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط السادسة ــ ١٩٦٠ م .

المؤدى إلى الفتنة والفساد فى الأرض ، فأمر دنيوى مبنى على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب فى جاهليتهم ، وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتجاذب والتحازب ، فهو كالمحسوس المشاهد ، ولأنه قد ذكر السَّفَهَ وهو جَهْل ، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له[1] .

ويلحظ الزمخشرى ، أن القرآن قد يَعْدِل عن لفظ إلى لفظ ، مراعاة لحق الفاصلة ، إذ أن الفواصل القرآنية فى سُوَرٍ كثيرة ، يتحد نغمها الصوتى ، فيكون لها من التأثير ما يبلغ مداه فى نفس قارئه ، يقول فى قوله تعالى « وَتَبَتَّلْ إليه تبتيلا » [المزمل — ٨] : وتبتل إليه أى : انقطع إليه ، فإن قلت : كيف قيل « تبتيلا » مكان « تَبَتُّلا » ؟ قلت : لأن معنى « تبتل » بَتِّلْ نَفْسَكَ ، فجىء به على معناه مراعاة لحق الفواصل »[2] ، ويقول فى قوله تعالى « ربنا إنَّا أطَعْنَا سادَتَنا وكُبَراءنا فأضَلُّونا السبيلا » [الأحزاب — ٦٧] ، وزيادة الألف لإطلاق الصوت ، جُعلت فواصل الآى كقوافى الشعر ، وفائدتها الوَقْف ، والدلالة على أن الكلام قد انقطع ، وأن ما بعده مستأنف »[3] .

وتأتى أهمية كتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ)[4] ، من أنه ألهم فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) الكثير مما قاله فى كتابه « نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز »[5] ، وكذلك الجزء الخاص بالمحسنات عند السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) فى كتابه « المفتاح »[6] ، وقد ذكر الوطواط أن الأسجاع ثلاثة أنواع ، الأسجاع المتوازية ، والأسجاع المُطَرَّفة والأسجاع المتوازنة ، ثم يلاحظ ملحوظة فى أثناء عرضه لهذه الأنواع ، « أنه لا يجوز تسمية

---

(١) الكشاف — ١٨٣/١ ط دار المعرفة — بيروت ، وهى التى اعتمدت عليها فى البحث — ويقصد بـ« أحسن طباقا له » أحسن ملاءمة ومشاكلةً .

(٢) نفسه — ١٧٧/٤ .

(٣) الكشاف — ٢٧٥/٣

(٤) هو بالفارسية ، ونقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربى — ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥ م .

(٥) طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر — ١٣١٧ هـ .

(٦) انظر ، د. أحمد مطلوب — البلاغة عند السكاكى — ٢٤٣ ط النهضة — بغداد ١٩٦٤ م ود. شوقى ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ٢٧٥ ط دار المعارف ١٩٦٥ م .

أواخر آيات القرآن « أسجاعا » بل يجب تسميتها « فواصل » ، كما قال عز وجل « كتابٌ فُصِّلَتْ آياته » [فُصِّلَتْ ـــ ٣][1] ، وهو يخلط بين السجع والفواصل والازدواج ، وثمة أثارة من العسكرى تسربت إلى عرضه للسجع ، ولكنها ليست فى نضارة الدرس العسكرى .

وبعد أن يفرغ السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) من الحديث عن البلاغة بعلميها « المعانى والبيان » ‎!!، يقسم الفصاحة إلى نوعين ، فصاحة لفظية وفصاحة معنوية ، يقول « وإن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسن ، فههنا وُجُوهٌ مخصوصة ، كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهى قسمان ، قسم يرجع إلى المعنّى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ...، ومن القسم الثانى : « الأسجاع » ، وهى فى النثر كما القوافى فى الشعر ، ومن جهاته الفواصل القرآنية ، والكلام على ذلك ظاهر ... »[2] .

ويختلف ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) عن السكاكى فى معالجته الأدبية الفنية للسجع ، إلّا أنه قد خلط بين السجع والفواصل والازدواج ، وهو يمثل الطريقة الأدبية فى المعالجة البلاغية ، تلك الطريقة التى تعتمد على التحليل الأدبى والإكثار من الشواهد ، والتى لا تلتفت كثيراً إلى تحديد المصطلحات والفصل بينها ، يقول الدكتور أحمد مطلوب فى إثبات عربية المصطلحات البلاغية « ... ومما يؤيد قولنا هو أننا نجد بعض كتب البلاغة فى عصر متأخر تنقص فيها المصطلحات المحددة ، كما فى كتابىْ « المثل السائر » و « الجامع الكبير » لابن الأثير ، وهذا يؤكد أن المصطلحات البلاغية فى إحدى مدارس البلاغة ، وهى المدرسة الأدبية[3] لم تحدد وتستقر حتى أواخر القرن السادس الهجرى ، وأوائل القرن

(١) حدائق السحر ـــ ١٠٥ وما بعدها .

(٢) المفتاح ـــ ١٧٩ وما بعدها ـــ ط التقدم العلمية ـــ ١٣٤٨ هـ .

(٣) من أبرزها ـــ فى رأيى ـــ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) وابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) والعسكرى (ت ٣٩٥ هـ) والخطابى (ت ٣٨٨ هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) وابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) وابن الزملكانى (ت ٦٥١ هـ) وابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) والتنوخى (أحد أعيان المائة السابعة) وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) وابن حمزة العلوى (ت ٧٢٩ هـ)... ومن حذا حذوهم .

السابع ، لكنها حددت فى المدرسة الكلامية[1] منذ عهد مبكر ، إلّا أنها بقيت غير جامعة مانعة حتى ظهر السكاكى ، فحددها التحديد النهائى[2] .

كنت أقول ، إن ابن الأثير قد خلط بين السجع والفواصل والازدواج[3] ، لكنه فى النوع الخامس من القسم الثانى من الصناعة اللفظية ، الذى سماه بـ « الموازنة » ، عاد وتعرض للفواصل، بعد أن عرف « الموازنة » بأن « تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن ، وأن يكون صدر البيت الشعرى وعَجُزُه متساويَىْ الألفاظ وزنا ، ... وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع فى المعادلة ، دون المماثلة ، لأن فى السجع اعتدالًا وزيادة على الاعتدال ، وهما تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد ، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ، ولا تماثل فى فواصلها ، فيقال إذاً ، كل سجع موازنة ، وليس كل موازنة سجعا ، وعلى هذا ، فالسجع أخص من الموازنة ، فمما جاء منها قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » [الصافات — ١١٧ ، ١١٨] ، ثم ضرب الأمثلة ...، وقال : وأمثال هذا فى القرآن كثير ، بل معظم آياته جارية على هذا المنهج ، حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور ، ولقد تصفحته ، فوجدته لا يكاد يخرج منه شىء عن السجع والموازنة »[4] .

---

(١) من أبرزها — فى رأيى — قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) واسحق ابن وهب (معاصر لقدامة) والرمانى (ت ٣٨٤ هـ) والقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) والجرجانى (ت ٤٧١ هـ) والزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) وحازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) وبدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) والخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) والسبكى (ت ٧٧٣ هـ) والتفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) وأبو محمد القاسم السجلماسى تلميذ حازم القرطاجنى (من نقاد القرن الثامن فى المغرب العربى) الشريف الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) السيوطى (ت ٩١١ هـ) ابن يعقوب المغربى (ت١١١١ هـ) ... ومن حذا حذوهم .

(٢) البلاغة عند السكاكى — ٢٩٧ ، ط النهضة بغداد — ١٩٦٤ م .

(٣) المثل السائر — ١٩٣/١ وما بعدها ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط الحلبى ١٩٣٩ م ، وانظر الجامع الكبير له ، فصل « السجع والازدواج » — ٢٥١ وما بعدها ، تحقيق د. مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد ط المجمع العلمى العراق — ١٩٥٦ م .

(٤) المثل السائر — ٢٧٨/١ الطبعة السابقة .

وإذا نحّينا المصطلحات جانبا ، وجدناه قد التفت إلى السجع وإلى الفواصل ، وربط بين الازدواج والتوازن .

وبعد ، فليس هناك من يستحق أن أقف عنده ، لأجد لديه إضافة تسترعى الانتباه ، أو تستدعى التنويه[1] .

(١) انظر على سبيل المثال ، بديع ابن منقذ باب «الترصيع» ص ١١٦ ، والتبيان لابن الزملكاني ، وبديع القرآن لابن أبي الإصبع ــ باب التسجيع ــ ١٠٨ ، وتحرير التحبير له ــ ٣٠٠ ، والإكسير في علم التفسير للطوفي (ت ٧١٦ هـ) باب السجع والازدواج ــ ٣١٠ تحقيق د. عبد القادر حسين ، والإيضاح للقزويني ــ ٥٤٧ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ــ ونجم الدين بن أحمد بن الأثير (ت ٨٣٧ هـ) في جوهر الكنز ــ ٢٠٤ باب الترصيع ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، ويحيى بن حمزة العلوي ــ الطراز ــ ١٨/٣ والسبكي في عروس الأفراح ٤٤٥/٤ ضمن شروح التلخيص ــ ط الحلبي ١٩٣٧ م ، والتفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) في شرح السعد ٤٤٥/٤ من شُرّاح التلخيص وابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠ هـ) في مواهب الفتاح ٤٤٥/٤ من شراح التلخيص ...

التعقيب

من خلال استعراضنا لجهود القدماء فى درس السجع والفواصل والازدواج ، نلحظ :

١ ـــ أن حديث « أسجعا كسجع الكهان ؟ » قد سيطر على الدرس البلاغى ، مما أدى إلى الخلط بين « السجع » و « الفواصل » ، وساعد على هذا الخلط الحرجُ من وصف ما فى القرآن « سجعا » .

٢ ـــ أن القدماء قد التفتوا إلى جانب « **الوفاء بالمعنى** » ، وكان من أسباب رفضهم للسجع ، لأن « الفواصل تابعة للمعانى ، أما الأسجاع فالمعانى تابعة لها » ـــ ويضع الجرجانى الصورة النهائية للفكرة ، « أن المتكلم لم يَقُدْ المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما » .

٣ ـــ وكان الفراء من السابقين إلى التنبيه على **أهمية** « **الإيقاع** » فى **الفواصل** ، ثم وجدنا قدامة يقف أمام الإيقاع الصوتى غير المسجوع ؛ ويعتبره سجعا ، كقول الشاعر :

أَلَصُّ الضُّرُوس ، حَنِيُّ الضُّلُوعِ .·. تَبُوعٌ ، طَلُوبٌ ، نَشِيطٌ ، أَشِرْ

وهذا أدخل فى الازدواج ، وقد يكون مستساغا فى اللغة اليونانية ، التى نقل عنها قدامة ، لكن لكل لغة روحها ومزاجها ـــ هذا بالإضافة إلى الإيقاع الصوتى النابع من تقارب المخارج فى الحرفِ الأخير ـــ والذى ذكره الرمانى ـــ كالميم والنون فى قوله تعالى « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » والدال والباء ... الخ .

٤ ـــ ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل **كان للجانب النفسى نصيب** ، إذ ينبه الجاحظ إلى سهولة حفظ السجع ، ويشير ابن جنى إلى الجانب الذوقى فى السجع ، فالنفس تأنس به ، والسمع يرضى عنه ، والذاكرة تتلقفه ، والميل يجنح إليه .

٥ ـــ ويتوقف أبو هلال العسكرى فى درسه المستفيض عن السجع والفواصل والازدواج ، ويشرح لنا المقصود بالازدواج ، ويضرب لنا الأمثال بصورة لم ألْقَها ـــ على ما أعلم ـــ فى المصادر السابقة له .

ولكن ...

١ ـــ اتسمت دراستهم **بالنظرة الجزئية ، والولوع بالمصطلحات ، وعدم الالتفات إلى تعميق الفكرة التى رصدوها بنظرة شاملة ،** تحيط بأشكالها ودوافعها وتطوراتها .

٢ ـــ لم يضموا ـــ مثلًا ـــ الفنون التى تتميز، بغلبة الجانب الإيقاعى كالسجع والفواصل والازدواج والمشاكلة وغيرها ، **ويربطوا ذلك** بنتائج علم اللغة **فى الصوتيات** ، وعلم القراءات **فى الوقف والابتداء** ، ونتائج علم النحو والصرف فى **الزيادة والنقصان، والإبدال والادغام** ، طلبا لسلامة الإيقاع .

٣ ـــ وبالرغم من فهمهم الواعى أن المعانى مُلازِمَةٌ للإيقاع ، مُلازَمَةَ وجود وانصهار ، إلّا أنهم لم يتوقفوا عند أثر المعنى فى الإيقاع ، ولا أثر الإيقاع فى المعنى ، ولا أثر السياق فى المعنى والإيقاع ، ولا أثرهما فى السياق ـــ وكذلك لم يتوقفوا عند شاعر بعينه ، أو سورة بعينها ، أو ناثر بعينه ، ليقدموا عن أى منهم دراسة تحليلية متكاملة ، إنما كانت الشواهد والمصطلحات والاعتماد على السابق من الدراسات مع ما تيسر من إضافة هنا أو هناك ، هى جُلّ بضاعتهم .

٣ — تعريف للسجع والفاصلة ، والفرق بينهما فى رأيى

السـجع :

اتفاق آخر حرفين فى كلمتين متتاليتين ، فلو قلنا « الهمس » ثم قلنا « اللمس » ، كنا قد أصدرنا صوتين متفقين فى آخر جزء منهما ، أى رددناه مرتين ، كما تصنع الحمامة حين « تُسَجِّعُ » ، فهى تردد مقاطع صوتية مرات متتالية .

أما الفاصلة :

فهى الكلمة التى ينتهى بها معنى الجملة ، ويحسن السكوت عندها ، فهٰذه الكلمة « فاصلة » ، لأنها تنبؤنا بأن معنى الجملة قد انتهى ، ولأنها تعطينا فرصة الوقوف لإراحة النَّفَس عند القراءة ، ولأنها تفصل بين معنيين إما فصلا تاماً وإما غير تام .

و « الفاصلة » أعم من السجع ، لأن الفاصلة تأتى مسجوعة ، وغير مسجوعة .

إذاً ، السجع :

وصف لإيقاع متردد فى كلمتين مفردتين غير داخلتين فى تركيب جملة ، وقد تحتوى الجملة فى سياقها على كلمتين متفقتين فى آخر حرف فيهما ولكنهما لا يؤذنان بانتهاء معنى ، ولا ينفصلان بين شطرين فى الكلام ولا يحسن الوقوف عندهما ، هاتان الكلمتان يعتبران « سجعا » .

أما الفاصلة :

فلا توجد إلّا فى تركيب ، لا توجد إلّا فى سياق ، لأن وجودها به ومن أجله .

ومثال للسجع داخل السياق ، قوله تعالى فى سورة [الانفطار — ١٣ و ١٤] « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم » ، فلا يحسن الوقوف عند « الأبرار » ولا عند « الفجار » ، لأنه لن يؤدى إلى معنى مفيد ، إذاً فالكلمتان

هنا مسجوعتان بالرغم من وجودهما فى سياق ، لأنهما لا يصلحان أن يكونا فاصلتين ، بينما نجد كلمة « نعيم » فاصلة ، وكلمة « جحيم » فاصلة ، وهما فاصلتان مسجوعتان موزونتان .

فالسجع : وصف لظاهرة صوتية « **إيقاعية** » ، والفاصلة : وصف للحد الذى يقف بين جملة انتهى معناها ، وأخرى ابتدأ معناها .

وسجع الكهان : ألفاظ استعملت لإيقاعاتها الصوتية بغض النظر عن حاجة المعنى لها أو نفوره منها ، فهو إيقاع بلا معنى ، وتكلف وتخليط ... وحين أقول « إيقاع صوتى » فلا أقصد « الإيقاع الموسيقى » ، لأن الإيقاع الصوتى وصف لتشكيل جهاز النطق لمخارج الحروف عن طريق مرور الهواء فى مناطقه ، أما الإيقاع الموسيقى ، فهو الأثر الصوتى النفسى الناتج عن امتزاج مقاطع صوتية بمعنى من المعانى من متكلم معين فى موضوع معين لمستمع معين . لذا ، يكون السجع إيقاع صوتى اذا كان فى كلمتين مفردتين « الهمس » ثم « اللمس » ، ويكون إيقاع موسيقى فى داخل سياق جملة أو جملتين متتاليتين . أما الفاصلة فهى قمة الإيقاع الموسيقى ، ذلك الايقاع الذى ابتدأ مع ابتداء أول حرف فى أول كلمة من أول الجملة ، ويظل هذا الإيقاع فى درجات من القوة والضعف ، حتى يصل إلى « الفاصلة » ، فهو إلى الفاصلة يكون ، والفاصلة فيها منه أثر لأنها منه وجدت ، وبه تكون .

ومن هنا أقول : **إن القرآن الكريم فيه سجع** ، فيه هذه الألفاظ المسجوعة الداخلة فى السياق والتى لا يحسن الوقوف عندها لعدم وفائها بالمعنى المطلوب .

وفيه فواصل ، فيه هذه الألفاظ المسجوعة وغير المسجوعة التى تؤذن بانتهاء المعنى ، وانتهاء النغمة أيضا ، لذا ، فهى رأس الآية .

وفيه ازدواج ، فيه هاتان الجملتان المتتاليتان الموزونتان .

ولست مع قدامة فى « السجع الصرفى » الذى يذهب إليه حين يرى بين « الضروس » و « الضلوع » سجعا ، فالوزن الصرفى غير الوزن الإيقاعى ، بينما أوافق الرمانى فى الإيقاع الصوتى بين الحرفين المتقاربين فى المخارج مثل « الرحيم » و

« الدين » وغيرهما ، لأن المعَوَّل هنا ، هو الإيقاع فى الأذن والنفس ، بغض النظر عن رسم الحرف فى الخط على الورق .

وقد تنبه العسكرى إلى الكلمتين المسجوعتين فى داخل السياق ، ووصفهما بأنهما « سجع » ، وليستا فاصلتين ، وذلك فى قول « البصير » الذى أورده ، يقول البصير : حتى عاد تعريضك تصريحا ، وتمريضك تصحيحا »[1] يقول العسكرى : فالتعريض والتمريض سجع ، والتصريح والتصحيح سجع آخر ، فهو سجع فى سجع ، ومثله فى القرآن ، قوله تعالى « إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم » [الغاشية ـــ ٢٦][2] .

والعلة فى اشتراط اتفاق آخر « صوت » فى الكلمة ، مع آخر « صوت » فى الكلمة التالية ، هو أنه آخر ما يقرع الأذن ، ويبقى فيها ، فإذا تكرر فى كلمة أخرى عاد إلى وجوده فى الأذن ، مذكراً بالكلمة الأولى . وكل طاقات الإيقاع الموسيقى لا تتجلى إلا فى التركيب ، فتظهر مع « الفاصلة » ، وتظهر مع الكلمتين المسجوعتين فى داخل سياق ، انظر إلى قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق » [القيامة ـــ ٢٩ و ٣٠] ، فحرف القاف فى « الساق » أعاد إلى الأذن والنفس ، صدى حرف القاف فى « الساق » ، وبالتالى عادت الكلمة « معنى ونغما » ، شكلا وموضوعا ، إلى المستمع .

« إن دقات الساعة المتوالية ، حين تبدأ أو تتكرر يعيها المستمع ، ولما كان تكرار الدقات يتبع نظاما معينا ، فإن السامع يتوقع أن تتكرر الدقات بالنظام نفسه باستمرار ، والدليل على ذلك أنه اذا توقفت الساعة عن العمل ، كان توقفها سببا فى لفت النظر إليها ، والبحث عن أسباب توقفها ؛ أى أن حدوث الأشياء بنظام مخالف لما نتوقع يحدث فى أنفسنا شيئاً من الدهشة والاضطراب ، وهذا هو عينه التعليل النفسانى لما يحدث ارتياحا عند الاستماع إلى الموسيقا الصوتية

---

(١) التعريض ضد التصريح ، وفى الاصطلاح « المعنى الحاصل عند اللفظ لا باللفظ نفسه » وإن شئت قل « هو إمالة الكلام إلى غرض يدل على الغرض المقصود » أى « توجيه الكلام إلى جانب يفهم منه المراد إشارة وتلويحا » وتمريض الكلام أى اللجوء به إلى التلميح والاشارة والإلغاز حتى لا يفهمه غير المراد به ، والتصحيح : أى التصريح بالمقصود بدون تمريض .

(٢) الصناعتين ـــ ٢٦٩ .

المنسجمة ، أو إلى الشعر الموزون ، أو النثر المسجوع ، أو الخاضع لنظام معين في توالي الكلمات ، وسرد العبارات » كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر[1] .

وليس هناك مسمى آخر للسجع ، لأنه صفة للمفردات تشبيها بأصل صوتي معروف في حياة العرب ، ألا وهو « سجع الحمام » ، وقطبا السجع في الصياغة العربية ـــ فيما أرى ـــ هما « سجع الكهان » هبوطا[2] و « سجع القرآن » صعوداً .

أما « سجع البلغاء » ، فقد يهبط إلى درجة « سجع الكهان » حين يكون اختيار الكلمتين المسجوعتين رديئا ، وقد يرقى سجعهم ويسمو فيقترب من « سجع القرآن » .

وليس هناك مسمى آخر للفاصلة ، لأنها استقرت باستقرار علم القراءات ، وبخاصة في مبحث « الوقف والابتداء » ، يقول الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) : « وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها »[3] ، ومن علم القراءات تسلل مصطلح « الفاصلة » إلى الدراسات البلاغية[4].

---

(١) حامد عبد القادر ـــ دراسات في علم النفس الأدبي ـــ ٨٦ ط القاهرة .

(٢) جاء في العقد الفريد : أن عامر بن طفيل العامري (ت ١١ هـ) وكان عضواً في الوفد الذي أرسله النعمان إلى كسرى ، عندما خطب بين يدي الملك سجع في قوله ، فقال له الملك : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ » العقد الفريد ـــ ٢/١٨ ط الأميرية ، ومعنى سؤاله أنه يستغرب أن يكون الخطيب متحدثا بأسلوب مسجوع يخص . الكهان دون غيرهم من الناس » انظر عبد السلام فوزي ـــ السجع وأطوار استعماله في أدب العرب ـــ ١٤ ـــ ط بغداد ١٩٦٦ م .

(٣) الزركشي ـــ البرهان ـــ ١/٥٤ .

(٤) د. منير سلطان ـــ الفصل والوصل في القرآن الكريم ـــ ١٨ وما بعدها ، ط دار المعارف ١٩٨٣ م .

الفاصلة فى القرآن الكريم

(أ) أبنية الفواصل

فى دراسة شائقة ، تفرغت لجوانب عديدة من أبنية الفاصلة ، يحدثنا الدكتور محمد الحسناوى عن « أبنية الفواصل فى القرآن الكريم »[1] .

فهناك الفاصلة التى تماثلت حروف رويها ، كقوله تعالى « والطُّورِ ، وكتابٍ مَسْطورٍ ، فى رَقٍّ منشور ، والبيتِ المعمورِ » [الطور ، ١ـــ٤] .

أو قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وِزْرك ، الذى أنْقَضَ ظهرك ، ورفعنا لك ذِكْرَك » [الانشراح ، ١ـــ٤] .

وثمة الفاصلة المتقاربة فى مخارج رَوِيِّها ، كقوله تعالى « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » [الفاتحة ـــ ٢ و ٣] .

ومن ناحية الوزن ، والمقصود به « الوزن العروضى » ، من حيث الحركة والسكون ، فهناك الفاصلة الموزونة المسجوعة ، كقوله تعالى « فيها سُرُرٌ مرفوعة ، وأكوابٌ موضُوعةٌ » [الغاشية ـــ ١٣ و ١٤] .

وتلك الموزونة غير المسجوعة ، كقوله تعالى « فالعاصفاتِ عَصْفاً ، والنَّاشراتِ نَشْراً ، فالفَارِقَاتِ فَرْقاً ، فالمُلْقِيَات ذِكْراً » [المراسلات ، ٢ـــ٥] .

وتَقْصُرُ الفقرة التى تنتهى بالفاصلة ، فتكون هى الفاصلة ، أو تكون الفاصلة هى الكلمة الثانية أو الثالثة ، أو أكثر من ذلك .

كقوله تعالى « ألم » [البقرة ـــ ١][2] و « حم » [المؤمن ـــ ١][3] و « طسم » [الشعراء ـــ ١][4] أو قوله « الرحمن » [الرحمن ـــ ١] و

(١) محمد الحسناوى ـــ الفاصلة فى القرآن ـــ انظر الفصل الثانى والثالث من الباب الثانى من ٤٥ـــ١٠٠ ، ط دار الأصيل ـــ سوريا .

(٢) وكذلك ، آل عمران ـــ ١ ، والعنكبوت ـــ ١ ، ولقمان ـــ ١ ، والسجدة ـــ ١ .

(٣) وكذلك ، فصلت ـــ ١ ، الزخرف ـــ ١ ، الدخان ـــ ١ ، الأحقاف ـــ ١ .

(٤) وكذا ، القصص ـــ ١ .

« الحاقة » [الحاقة ـــ ١] وقد تكون الفاصلة هى الكلمة الثانية من الفقرة ، كقوله تعالى « ونَمَارِقُ مصفُوفَةٌ ، وَزَرابِىُّ مَبْثُوثَةٌ »[1] [الغاشية ـــ ١٥ و ١٦] .

أو تكون هى الكلمة الثالثة ، كقوله تعالى « والنَّجْمِ إذا هَوَى ، ماضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوى[2] ، وما يَنْطِقُ عن الهَوى » [النجم ، ١ـــ٣] .

وقد تكون الفقرتان متساويتين طولًا ، كما فى قوله تعالى « إن الانسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً » [المعارج ، ١٩ـــ٢١] ، وهذا ما يسمى بـ « الازدواج » .

وقد لا تتساوى الفقرتان طولًا ، كما فى قوله تعالى « إنا سَنُلْقِى عليكَ قولًا ثقيلًا ، إنَّ نَاشِئَةَ الليلِ هى أَشَدُّ وَطْأً وأَقْوَمُ قِيلًا ، إن لكَ فى النهار سَبْحاً طَوِيلًا ، [المزمل ، ٥ـــ٧] .

وفى سورة « الرحمن » تكررت آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وكأنها الإيقاع الثابت « اللازمة » « القُفْل » الذى لا يتغير بتغير المعانى والأحداث ، يقول تعالى « والأَرْضَ وَضَعَها للأنام ، فيها فَاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذاتُ الأكمام ، والحَبُّ ذو العَصْفِ والرَّيْحان[3] ، **فبأى آلاى ربكما تكذبان** ، خَلَقَ الانسانَ من صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ ، وخَلَقَ الجَانَّ من مَارِجٍ[4] من نار ، **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ، رب المشرقين ورب المغربين ، **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » [الرحمن ، ١٠ـــ١٨] .

ونلحظ أن هذه الآية الكريمة قد احتلت أماكن غير ثابتة على مدى السورة كلها ، إذ وردت ثلاثين مرة ، بين ثمان وسبعين آية ، وذلك بحسب أهمية وحاجة

---

(١) النمارق ج : نُمْرُق وهى الوسادة الصغيرة يُتَّكَأُ عليها ، والزرابى ج زَرْبِيَّة : وهى وسادة تُبْسَطُ للجلوس عليها .

(٢) أى ما عَدَلَ الرسول الكريم عن الحق .

(٣) الحب ذو العَصْف : الحب كالحنطة والشعير ، وكل ما يُتَغَذَّى به ، والعصف : هو ورق النبات اليابس كالتبن ، والريحان : المشموم أو الرزق يقال خرجت أطلب ريحان الله .

(٤) المارج من نار : هو لهبها الخالص من الدخان .

الحدث الذى يسبقها ، فكلما كان الحدث أقدر على تصوير قدرة الله تعالى تأتى آية « فبأى آلاى ربكما تكذبان » ،استفهاماً يقصد به التعريض بسطحية عقول هؤلاء المكذبين ، الذى لا يرون ما تحتهم ، وما فوقهم ولا يفقهون حديثا ، وهذا الاستفهام لا يلتزم غرضا بلاغيا واحداً ، فقد يكون للتعريض ، أو للتعجب ، أو للانكار أو للوعيد ... إلخ ، على حسب موقعه من الفواصل ...، وهو سؤال واحد .

(ب) خروج نظم الآية عن مقتضى الظاهر بسبب الفاصلة فى القرآن الكريم

ذكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) فى « الإتقان » فى النوع « التاسع والخمسين »[1] فصلًا عن كتاب « إحكام الراى فى أحكام الآى » لشمس الدين ابن الصائغ (ت ٧٧٦ هـ)[2] عن « خروج نظم الآية عن المألوف بسبب الفاصلة ، وقد رصد ابن الصائغ أربعين خروجا عن مقتضى الظاهر ، نقتطف منها :

١ ـــ تقديم الفاضل على الأفضل ، نحو قوله « وَأَلْقِ ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى/فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالوا : آمنا برب هارون وموسى» [طه ـــ ٧٠ و ٧١] .

٢ ـــ حذف ياء المنقوص المُعَرَّف ، نحو « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما يغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شىء عنده بِمِقْدارٍ ،/ عالم الغيب والشهادة الكبيرة المُتَعَال » [الرعد ، ٨ و ٩].

٣ ـــ صرف مالا ينصرف ، نحو « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب

---

(١) انظر الاتقان ـــ ٢٩٦/٣ وما بعدها ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ الطبعة الثالثة ـــ ١٩٨٥ نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن على بن شمس الدين الحنفى ، من علماء مصر فى القرن الثامن ، اشتغل بالتأليف والتصنيف ـــ انظر فى ترجمته ـــ كشف الظنون ، والدرر الكامنة ٩٩/٣ ، وله من الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة « روض الأفهام فى أقسام الاستفهام » « نشر العبير فى إقامة الظاهر مقام الضمير » « المقدمة فى سر الألفاظ » « إحكام الراى فى أحكام الآى » ـــ انظر الاتقان ٢٠/١ و ٤٠/٣ و ٢٩٦ . وما بعدها . وانظر فى « خروج نظم الآى عن مقتضى الحال بسبب الفاصلة » وما دار بين أبى عمرو بن العلاء والمدنى ، الخصائص لابن جنى ـــ ٢٩٣/٣ ، وما ذكره ابن سيدة فى المحكم فى قوله تعالى « وما كنتُ مُتَّخِذ المُضِلِّينَ عَضُداً » موازنةً لما قبلها « بِئْسَ للظالمين بَدَلًا » [الكهف ـــ ٥٠ و ٥١] ، وقال ابن سيدة « أى أعضاداً » ، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآيات بالإفراد ، المحكم ـــ ٢٤١/١ ط بيروت . وانظر كذلك د. عبد الفتاح لاشين فى كتابه « الفاصلة القرآنية » ص ٢٢ وما بعدها ـــ ط دار المريخ بالرياض .

كانت قواريراً ،/ قواريرا من فضة قَدَّرُوهَا تقْدِيراً » [الإنسان ، ١٥ ، ١٦] .

٤ ــ إيراد أحد قِسْمَىْ الجملة غير مطابق للآخر ، نحو « أَحَسِبَ النَّاسُ ، أن يُتْرَكُوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنُون ، ولقد فَتَنَّا الذين من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صدقوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين » [العنكبوت ــ ٢ و ٣] . ولم يقل « الذين كذبوا » .

٥ ــ إيثار أغرب اللفظتين ، نحو « ضِيزَى » فى قوله « أفرأيتم اللَّاتَ والعُزَّى ومَنَاةَ الثالثة الأخرى، أَلَكُمْ الذَّكَرَ وله الأُنْثى، تلك إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ» [النجم ، ١٩ــ٢٢] ولم يقل « جائرة » ، و « الحُطَمَة » فى قوله « يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَه ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فى الحُطَمَةِ ، وما أدراك ما الحُطَمَةِ ، نارُ الله المُوقَدَة » [الهمزة ، ٣ــ٦] ولم يقل « جهنم » ، أو «النار» ، و « سَقَر » فى قوله « إنْ هَذا إلَّا سِحْرٌ يُؤْثَر ، إنْ هَذا إلَّا قَوْلُ البَشَر ، سَأُصْلِيه سَقَر ، وما أدراك ما سَقَر ، لا تُبْقِى ولا تَذَر » [المدثر ، ٢٤ــ٢٨] ، و « لَظَى » فى قوله « كَلَّا إنَّها لَظَىَ ، نَزَّاعَةٌ للشَّوَىٰ » [المعارج ــ ١٥ و ١٦] و « هاوية » فى قوله « وأما من خَفَّتْ موازِينُهُ، فأمه هَاوِيَةٌ، وما أدراك ما هِيَه، نار حَامِيَةٌ» [القارعة، ٨ــ١١] ، لمراعاة فواصل كل سورة .

٦ ــ حذف المفعول ، نحو قوله « إنَّ سَعْيَكم لشَتَّى ، فأمَّا مَنْ أَعْطَىَ واتَّقَى وصَدَّقَ بالحُسْنى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَىٰ » [الليل ، ٥ــ٧] ، ونحو قوله « والضحى ، والليل إذا سجى ما وَدَّعك رَبُّكَ وما قَلَى » [الضحى ، ١ــ٣] .

٧ ــ الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو قوله ، وإذْ قُلْنَا للملائِكَةُ اسجدوا لِآدَمَ فَسَجُدوا إلَّا إِبْلِيسَ أَبِىٰ ، فَقُلنا يا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ولزوجك ، فلا يُخْرِجَنَّكما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى » [طه ــ ١١٦ و ١١٧] .

٨ — إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ منهم، وَقَالَ الكافِرون هَذا سَاحِرٌ كذاب، أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً واحداً، إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ » [ص — ٤ و ٥] .

٩ — وقوع « فاعل » موقع « مفعول » نحو « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بيمينه فَيَقُول هَاؤُم اقرءوا كِتَابِيَهْ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » [الحاقة ، ١٩—٢١] .

ونحو « إِنْ كُلُّ نفس لَمَّا عليها حافِظٌ ، فَلْيَنْظُر الإنسانُ مما خُلِقَ ، خُلِقَ من ماءٍ دَافِقٍ » [الطارق ، ٤—٦] .

١٠ — الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو « أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُم كَمْ أَهْلَكْنا قبلهم من القرون يَمْشُون فى مساكنهم ، إنَّ فى ذلك لآياتٍ لأُولى النُّهى ، ولَوْلَا كلمةٌ سبقت من رَبِّك لكان لزاما وأَجَلٌ مُسَمًّى » « طه ، ١٢٨ ، ١٢٩] .

ومن نافلة القول ، أن نذكر أن النظم القرآنى لم يخرج عن مقتضى الظاهر فى التركيب اللغوى مراعاة للفاصلة ، ولكن المعنى فرض الخروج عن هذا « المقتضى » وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى ، فالأمر كله سياق عام يؤدى معنى معيناً يتطلب تركيبا معينا ، فالعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون ، وموسيقا الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون .

ثانيا : الازدواج

١ ـــ المصطلح
٢ ـــ الازدواج فى التراث
٣ ـــ المزاوجة والازدواج

١ ـــ المصطلح :

لا خلاف فى الازدواج ، من مفهوم الكلمة جاء المعنى ، ومن واقع المعنى جاء المصطلح .

الازدواج : هو توازن جملتين متتاليتين توازنا عروضيا ، ففى قوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » [الانفطار ـــ ١٣] ، ازدواج بين الجملة الأولى والجملة الثانية ، أى أن إيقاع الجملة الأولى هو إيقاع الجملة الثانية ، أى الحركات والسكنات فى الجملة الأولى هى حركات وسكنات حروف الجملة الثانية ، بغض النظر عن الوزن الصرفى ، ذلك ، لأن السجع والفاصلة والمشاكلة بالنسبة للكلمة ، والازدواج بالنسبة للجملة ، وكلها تَنْشُد ترديد إيقاع منتظم على الأذن ، عن طريق النغمات المتساوية ؛ وهذا لا يتأتى بالحفاظ على الوزن الصرفى .

٢ ـــ الازدواج فى التراث :

ولْنَقُم بجولة فى تراثنا الجليل نكشف فيها عن جهد القدماء فى « الازدواج » وسنرى أن الجاحظ والعسكرى قد حازا قصب السبق فى درس الازدواج ومَنْ بينهما ثم من جاء بعدهما ، كلهم رددوا كلامهما .

فى البيان والتبيين ، يفرد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بابا لمزدوج الكلام ، أورد فيه قول النبى ﷺ فى معاوية « اللهم عَلِّمْهُ الكِتَاب والحِسَاب وَقِهِ العَذَابَ » ، وأيضا ما قاله الرجل الأسدى لشيخ مات ابنٌ له ، يقول الجاحظ « وقال رجل من بنى أسد الشيخ » مات ابنه ، فاشتد جزعه عليه ، فقام إليه شيخ مِنَّا فقال : اصبر أبا أُمامة ، فإنه فَرَطٌ افْتَرطْتَه ، وخَيْرٌ قدمْتَهُ ، وذُخْرٌ احْرَزْتَه ، فقال مجيباً له : وَلَدٌ دفَنْتُهُ ، وثُكْلٌ تعجَّلْتُهُ ، وغَيْبٌ وُعِدْتُهُ ، والله لئن لم أجزع من النَّقْص لا أفرح بالمزيد » ، ثم استرسل الجاحظ قليلا فى ذكر الشواهد ، ولكنه لم يتعرض لمفهوم المصطلح ، مكتفيا بوصف الجمل التى أوردها بأنها من « مُقَطَّعَاتِ الكلام »[1] وأظن ظناً ، أن الجاحظ هو الذى ألهم العسكرى ما قاله

(١) البيان والتبيين ـــ ١١٦/٢ و ١١٧ ط هارون .

فى باب الازدواج ، ثم أضاف العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، ما أضاف . يقول « لا يَحْسُن منثور الكلام ، ولا يَحْلُو حتى يكون مُزْدَوَجاً ، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو اسْتُغْنِىَ كلام عن الازدواج لكان القرآن ...» وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات ، فَضْلًا عمَّا تزاوج فى الفواصل منه ، كقوله تعالى « الحمدُ لله الذى ، خَلَق السمواتِ والأرْضَ ، وَجَعَل الظُّلُمَاتِ والنُّورَ » [الأنعام ـــ ١] أمَّا ما زووج بينه بالفواصل المسجوعة ، فكقوله تعالى « فإذا فَرَغْتَ فانْصَبْ ، وإلى رَبِّكَ فارْغَبْ » [الشرح ـــ ٧ و ٨] ، ويعلق على الشواهد التى أتى بها قائلًا « ... وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج ، مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضَمُّن الطَّلاوَةِ ، والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق » ، ثم يسمى الفواصل سجعا ، ويقسمه إلى وجوه ثلاثة . منها : أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين ، لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه ، وهى كقول الأعرابى « سنة جَرَدَتْ ، وحال جَهِدَتْ ، وأَيْدٍ جَمُدَتْ ... »[1] ومنها : أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة ، فيكون الكلام سجعا فى سجع ، وهو مثل قول البصير « حتى عاد تعريضك تصريحا ، وتمريضك تصحيحا »[2] ، فالتعريض والتمريض سجع ، والتصريح والتصحيح سجع آخر ، فهو سجع فى سجع ، ومثله قوله تعالى « إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُم ثم إنَّ علينا حِسَابَهُم » [الغاشية ـــ ٢٦] **والذى هو دونهما** : أن تكون الأجزاء متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج ، إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ، كقول بعض الكتاب « إذا كُنْتَ لا تُؤْتَى من نَقْص كَرَمٍ ، وكُنْتُ لا أُوتَى من ضَعْفِ سَبَبٍ ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، أو عدولاً عن اغتفار زلل ...» فهذا الكلام جيد التوازن ، ولو كان بَدَّلَ « ضعف سبب » كلِمةً آخرُها ميم ، ليكون مُضَاهِياً لقوله « نَقْص كرم »[3] لكان أجود ـــ ويتوقف أبو هلال العسكرى عند درجة التوازن فى

---

(١) السنة : القحط ـــ الأيدى هنا : معناها العطايا والنِّعَم .

(٢) التعريض : التلميح والاشارة الذكية . والتمريض : لَيُّ الكلام عن جهته ، واللحن فيه ليفهمه المخاطب دون غيره .

(٣) كأن يكون « ضعف رَحِم » مثلا .

الازدواج بين الجمل ، يقول « إن أمكن أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل ، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول» ثم يتراجع عن شرط طول الجزء الأخير ، ويسجل على نفسه عكسه ، قائلًا « على أنه قد جاء فى كثير من ازدواج الفصحاء ، ما كان الجزء الأخير منه أقصر ، حتى جاء فى كلام النبي ﷺ منه شيء كثير — كقوله للأنصار يفضلهم على من سواهم . إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، ثم يكمل قوانين الازدواج ، بأنه ينبغى أيضا أن تكون على زنة واحدة ، وإيه لم يمكن ، أن تكون على حرف واحد ، فيقع التعادل والتوازن : كقول بعضهم : « اصْبِرْ علىٰ حَرِّ اللقاء ، ومَضَض النزال ، وشدة المِصَاع ، ومداومة المِراس »[1] ، فلو قال « اصبر على حَرِّ الحرب ، ومضض المنازلة » لبَطَلَ رونق التوازن ، وذهب حسن التعادل .

ويحدد أبو هلال العسكرى عَيْبَيْن للازدواج — هما التجميع ، والتطويل ، ثم يختم دراسته للسجع والفواصل والازدواج بقوله : « وقد أعجب العرب السجع ، حتى استعملوه فى منظوم كلامهم ، وصار ذلك الجنس من الكلام منظوما فى منظوم ، وسجعا فى سجع ، وهذا مثل قول امرىء القيس :

سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسَا ∴ لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الفَالِى[2]

وسمَّى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر « الترصيع »[3] .

ولم يضف ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) جديداً فى موضوع « الازدواج » ، وكان مشغولًا بالرد على مَنْ هاجم وجود السجع فى القرآن . وعلى رأسهم الرمانى[4] .

---

(١) المصاع : القتال والمجالدة .

(٢) ديوانه : ٦٥. وأراد على الفائل ، فقلب ، وهو عِرْق فى الفخذين يكون فى خُرْبَة الورك ، ينحدر فى الرِّجْل « اللسان : مادة — ف ى ل » والحجبة : رأس الورك ، والحجبتان : حرفا الورك اللذان يشرفان على الخاصرتين ، « اللسان مادة — ح ج ب » ، والشظى : عظم لاصق بالذراع ، فإذا زال قيل شظيت الدابة ، الشوى : اليدان والرجلان ، والعبل : الممتلىء ، والشَّنِجُ : التَّقَبُّضُ ، والنَّسَا : عرق فى الفخذ .

(٣) الترصيع : هو أن يكون حشو البيت مسجوعا ، وأصله من قولهم : « رَصَّعْتُ العِقْدَ أى فَصَّلْته » — الصناعتين — ٢٦٦ وما بعدها .

(٤) سر الفصاحة — ١٦٣ وما بعدها .

وفى وقفة خاطفة ، يربط الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) علم القراءات بالبلاغة فى باب « الازدواج » ، وذلك فى قوله تعالى « وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، ولَا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا [نوح — ٢٣] يقول « وقرأ الأعمش (ت ١٤٨ هـ)[1]« ولا يغوثا ويعوقا » بالصرف ، وهذه قراءة مُشْكِلَةٌ لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ، ففيهما سَبَبَا منع الصرف ، إما التعريف ووزن الفعل ، وإما التعريف والعُجْمة ، ولعل (أى الأعمش) قصد الازدواج ، فَصَرَفَهُمَا لمصادفته أخواتهما متصرفات ، وَدًّا وسُواعا ونسراً ، كما قرىء « وضحاها » [الشمس — ١] لوقوعه مع المُمَالَات »[2] .

ولم يجد ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) فى الازدواج إلّا « أن الازدواج بين الكلمات والجُمل بكلام عذب ، وألفاظ عذبة حلوة ، كما قال الله تعالى « فمن اعتدى عليكم ، فاعتدوا عليه » [البقرة — ١٩٤][3].

ويلتفت حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) إلى سبب ذيوع الازدواج عند الكلام أنه « لشدة حاجة العرب إلى تحسين كلامهما ، اختص كلامهما بأشياء لا توجد فى غيره من ألسُن الأمم ، فمن ذلك ، تماثل المقاطع فى الأسجاع والقوافى ، لأن فى ذلك مناسبة زائدة »[4] .

٣ — المزاوجة والازدواج :

مع السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) يرسخ مصطلح جديد هو « المزاوجة » ، وتداولته الكتب ، على الرغم من أنه لخصه من كتاب « الدلائل » للجرجانى ، ومن ثَمّ وقع خلط بين مصطلح « الازدواج » و « المزاوجة » — يقول الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) عن « النظم يتحد فى الوضع ، ويَدِقُّ فيه الصُّنْعُ » « واعلم أن مما

(١) هو سليمان بن مهران الأسدى بالولاء ، أبو محمد ، الملقب الأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض — توفى سنة ١٤٨ هـ — الأعلام ١٣٥/٣ وما به من مصادر ترجمته .

(٢) ويقصد آيتى « رَفَعَ سَمْكَهَا فسواها ، وأَغْطَشَ ليلها ، وأخرج ضحاها » [النازعات ٢٨ و ٢٩] والكشاف — ١٦٤/٤ .

(٣) البديع — ١١١ وما بعدها .

(٤) القرطاجنى — منهاج البلغاء وسراج الأدباء — ١٢٢ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة — تونس ١٩٦٦م .

هو أصل فى أن يدق النظر ، ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت »: أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعا واحداً ، وأن يكون حالُك فيها حَالَ البانى ، يضع بيمينه ههنا فى حال ما يضع بيساره هناك ، نعم ، وفى حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأوَّلَيْن ، وليس لما شأنه أن يجىء على هذا الوصف حَدٌّ يحصره ، وقانون يحيط به ، فإنه يجىء على وجوه شتى ، وأنحاء مختلفة ، فمن ذلك أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء معا ، كقول البحترى :

إذا ما نَهَى النَّاهى ، فَلَجَّ بِى الهوى ∴ أصاخَتْ إلى الواشى فَلَجَّ بِىَ الهَجْرُ

فهذا نوع ، ونوعُ منه آخر ...، ونوع ثالث ...، ومنه « التقسيم » وخصوصاً إذا قَسَّمْتَ ثم جَمَعْتَ ، كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضَرُّوا عَدوَّهُمْ ∴ أو حاولوا النَّفْعَ فى أشياعهم نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلك منهم غير مُحْدَثَةٍ ∴ إن الخلائِقَ فاعلم شَرُّها البِدَعُ

ومن ذلك ، وهو شىء فى غاية الحسن ، قول القائل :...، وإذا قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وَضْعا واحداً ، فاعلم أنه النمط العالى والباب الأعظم ...، ومما نَدُرَ منه ولطف مأخذه ...، الأبيات المشهورة فى تشبيه شيئين بشيئين ، كبيت امرىء القيس :

كأن قلوبَ الطير رَطْباً ويَابِساً ∴ لدى وَكرها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالى

وبيت الفرزدق : ....

وبيت بشار : « كأن مُثار النَّقْع » ، ومما أتى فى هذا الباب مَأْتى أعجب مما قضَى كلّه ، قول زياد الأعجم :

وإنَّا وما تُلْقِى لنا إن هَجَوْتَنا ∴ لكالبحر ، مَهْمَا يُلْقَ فى البحر يَغْرَقِ[1]

---

(١) عن المحقق « الأغانى ١٥/٣٩٢ ط الدار ، وذلك حين أخبره الفرزدق أنه هَمَّ أن يهجو قومه عبد القيس ، فاستمهله زياد ، وقال له : كما أنت حتى أسمعك شيئاً ، فقال :

وما ترك الهاجون لى إن هَجَوْتُهُ ∴ مَصَحًّا أراهُ فى أديم الفرزدق
وإنا وما تُهْدِى لنا إن هجوتنا ∴ ......

فقال له الفرزدق : حسبك ، هَلُمَّ نتتارك ، قال زياد : ذاك إليك ! » .

وإنما كان أعجب ، لأن عمله أدق ، وطرقه أغمض ، ووجه المشابكة فيه أغرب[1] » وقد استرسلت فى النقل ، لأبيّن مدى جناية السكاكى ومدرسته على الغرض الذى قصد إليه الجرجانى ، ونلحظ أن السكاكى هو الذى وضع مصطلح « المزاوجة » ، ونلحظ كذلك أنه فرّغ حديث الجرجانى من الفن وجهده من الروح ، وسجنه فى شاهد واحد دون الشواهد الأخرى ، ليس هذا فحسب ، بل أدى الأمر إلى خلط مَنْ جاء بعده بين « المزاوجة » و « الازدواج » !! يقول السكاكى « ومن الفصاحة المعنوية « المزاوجة » وهى أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء ، كقول البحترى « إذا ما نهى الناهى »[2] ، ويتابعه القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) مردداً كلامه[3] . ويرى التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) أحد شراح التلخيص أنه « قد يتوهم من ظاهر العبارة أن « المزاوجة » هى أن يجمع بين معنيين فى الشرط ، ومعنيين فى الجزاء ، كما جمع فى الشرط بين « نَهْى الناهى » و « لجاج الهوى » وفى الجزاء بين « إصاختها إلى الواشى ولجاج الهجر » وهو فاسد[4] إنما « يجعل معنيين واقعين فى الشرط والجزاء مزدوجين . فى أن يرتب على كل منهما معنى مرتّب على الآخر »[5] .

ويقف ابن يعقوب المغربى (ت ١١١٠ هـ) أحد شراح التلخيص وقفة أطول فى إيضاح الإبهام فى تعريف القزوينى ، مما لا يخرج فيه عما قاله التفتازانى ، ولكنه يضيف خلطاً جديداً بين « المزاوجة » و « الازدواج » ويجعلهما شيئاً واحداً[6] .

ورحم الله أبا بكر ، عبدَ القاهر الجرجانى وعفا عن السكاكى وتلاميذه .

ونستطيع أن نقول إن المزاوجة هى : المشاكلة بين المعانى فى ترتيب وقوعها ، وتنسيق أماكنها ، بحيث تبدو متلاحمة كتلاحم الفرد بزوجه ، وكأنهما انسكبا فى وعاء واحد ، أى : « مشاكلة فنية » .

---

(١) الدلائل ، ٩٣–٩٦ تحقيق محمود شاكر .
(٢) المفتاح — ١٧٩ وما بعدها .
(٣) الإيضاح — ٤٩٧
(٤) المختصر — ٣١٧/٤ ضمن شروح التلخيص .
(٥) المختصر — ٣١٦/٤
(٦) مواهب الفتاح — ٣١٧/٤ — ضمن شروح التلخيص .

أما « الأزدواج » فهو الجمل المتماثلة الأوزان ، والمقاطع الصوتية المتشابهة فى الإيقاع ، فلا علاقة إذن ، بين « المزاوجة » و « الازدواج » لأن المزاوجة قد تأتى فى صورة مزدوجة ازدواجاً إيقاعيا ، وقد لا تأتى ، فهى أعَمّ من « الازدواج » ، والذى أوقع اللبس فى هذا الشاهد البائس الذى اقتلعه السكاكى من حديث الجرجانى ، أنه مُزَاوَجٌ مُزْدَوَجٌ ، مصبوب فى وعاء واحد ، موزون فى إيقاع .

إذا ما نهى الناهى / فلج بى الهوى ، أصاخت إلى الواشى / فلج بى الهجر بينما لا ازدواج إيقاعى فى معظم الشواهد التى أتى بها عبد القاهر فى حديثه عن « المزاوجة » ، وإلّا ، فأين الإيقاع فى قول بشار :

كأن مُثار النَّقْع فوق رءوسنا .:. وأسْيَافَنَا ، ليْلٌ تهاوَى كواكبه ؟

ثالثا : الجناس .

١ ـــ مصطلح الجناس .
٢ ـــ تعريف الجناس التام والجناس الناقص فى رأيى .
٣ ـــ اختلاف المعنى بين المتجانسين .
٤ ـــ الحقيقة والمجاز بين المتجانسين .
٥ ـــ الجانب الإيقاعى بين المتجانسين .
٦ ـــ الوفاء بالمعنى والإيقاع بين المتجانسين .

أولا : مصطلح الجناس :

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) : الجنس : لكل شيء من الناس والطير والعروض والنحو »[1] ويذكر ابن المعتز : أن الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) ألَّف كتابه « الأجناس » ، بمعنى : أن تجيء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام ، أى تشبهها فى تأليف حروفها »[2] ، ويسمى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين « المطابق » ، ثم يمثل بشواهد تضم الجناس التام والجناس الناقص مع طباق السلب »[3] ، ويتوسع ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) فى مفهوم الأصمعى للجناس ، ويقسمه إلى قسمين ، « فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى فى تأليف حروفها ومعناها ، ويشتق منها ، مثل قول الشاعر :

.·. يومٌ خلَجْتَ على الخليج نُفُوسَهُم .·.[4]

أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف ، دون المعنى ، مثل قول الشاعر :

.·. فَارْفُق به إنّ لَوْمَ العاشق اللُّومُ .·.[5]

فهو هنا قد جعل الاشتقاق قسيم الجناس ، أو هو الجناس الناقص .

وأخذ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) مصطلح « المطابق » من ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وجعله عنوانا على الجناس التام ، كقول الأفوه الأودى :

وأقطع الهَوْجَلَ مُسْتأنِساً .·. بِهَوْجَلٍ عَيْرانةٍ عَنْتَريس[6]

وأما « المجانس » فيعرّفه : بأن تكون المعانى ، اشتراكهما فى ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق مثل قول زهير :

---

(١) ابن المعتز ـــ البديع ـــ ٢٥ تحقيق كراتشكوفسكى .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) ثعلب ـــ قواعد الشعر ـــ ٥٦ تحقيق خفاجى ١٩٤٨ م .

(٤) خلجت : جذبت ، والخليج : بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير . وعجز البيت غَصْباً وأنت لمثلها مستام .

(٥) أبو هلال العسكرى ـــ الصناعتين ـــ ٣٢٠ وما بعدها ، وصدر البيت : يا صاح إن أخاك الصبّ مهموم .

(٦) الهوجل الأولى ، المفازة البعيدة التى ليست بها أعلام ، والهوجل الأخرى : الناقة ، والناقة العيرانة : الصلبة ، والعنتريس : الغليظة الوثيقة من النياق .

كأن عَيْنى وقد سال السُّلَيلُ بهم ∴ وعَبْرَةٌ مَاهُمُ ، لو أنَّهم أَمَمُ[1]

فالمطابق : هو الجناس التام ، والمشتق : هو الجناس الناقص[2] .

ويحكى أبو الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) ، قال : قلت لعلى بن سليمان الأخفش (ت ٣٥١ هـ)[3] ـــ وكأن من أعلم من شاهدته بالشعر : طائفة ـــ وهم الأكثرون ـــ تزعم أن الطباق : ذكر الشيء وضده ، وطائفة تقول : هو اشتراك المعنيين فى اللفظ الواحد ، فقال : من الذى يقول هذا ؟ قلت : قدامة وغيره ، قال : هذا يا بنى « التجنيس » ، ومن ادعى أنه طباق فقد أتى خلافا على الخليل والأصمعى ، قلت : أفكانا يعرفان هذا ؟ فقال : سبحان الله ، وهل غيرهما ؟ فى علم الشعر وتمييز خبيثه من طيِّبِهِ ... »[4] والجرجانى ـــ على بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) ، يتعرض فى « الوساطة » للتجنيس ، ويقدم عدة مصطلحات :

فالمستوفى:

هو الجناس التام بين الاسم والفعل ، وضرب مثلاً لذلك قول أبى تمام :

ما مات مِنْ كَرَمِ الزمان فإنه ∴ يَحْيا لدى يحيى بن عبد الله

---

(١) سال السليل بهم : ساروا فيه سيراً سريعا ، لما انحدروا فيه ، والسليل : وادٍ بعينه ، والأمم : القرب ، وبعده :

غَرْبٌ على بكرة أو لؤلؤ قَلِقٌ ∴ فى السِّلْكِ خانَ به رُبّاتِهِ النُّظُمُ

أى : لو أنهم بقوا وما رحلوا ، ما حدث لعينى ما حدث ، ولا توقّفتُ عند وادى السليل أرقبهم ، ولا كانت عينى هذه كدلو معلق فى بكرة يسح منها الماء ، ولا كانت عبراتى المتساقطة تباعاً كحبات اللؤلؤ المتبعثرة التى لم يحسن ترتيبها صاحباتُها فى السلك .

(٢) قدامة بن جعفر ـــ نقد الشعر ـــ ١٨٥ وما بعدها ـــ تحقيق كمال مصطفى ـــ الخانجى ١٩٦٣ م .

(٣) هو : الأخفش الصغير من أئمة النحو واللغة ـــ معجم الأدباء ٢٤٦/١٨ .

(٤) السجلماسى المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع ـــ ٣٧٢ تحقيق الغازى مكتب المعارف ـــ الرباط بالمغرب ـــ ١٩٨٠ م ـــ وذكر المحقق فى الهامش أن النص كاملاً موجود فى « حلبة المحاضرة ـــ المخطوط بخزانة القرويين بفاس ـــ ورقة ٩ و ١٠ . والسجلماسى هو : أبو محمد القاسم الأنصارى من نقاد القرن الثامن الهجرى بالمغرب ومن تلاميذ حازم القرطاجنى .

والمطلق :

أطلقه على الجناس الناقص للاختلاف فى عدد الحروف ، كقول النابغة :

وأقطع الخَرْقَ بالخرقاءِ قد جُعِلَتْ .·. بعد الكَلَالِ تشكّى الأَيْنَ والسَّأَمَا[1]

والناقص :

وهو ما نقصت الحروف الأصلية فى إحدى الكلمتين عن الأخرى : كقول الأخنس بن شهاب :

وحَامِى لِوَاءٍ قد قَتَلْنَا وحَامِلٍ .·. لواءً مَنَعْنَا والسيوفُ شَوَارِعُ

فجانس بـ « حامى وحامل » ، والحروف الأصلية فى كل واحد منهما تنقص عن الآخر ، ومثله قول أبى تمام :

.·. يَمُدُّون من أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ .·.[2]

أما قول أبى تمام :

خَلَّفْتُ بالأفقِ الغَرْبِىِّ لى سَكَناً .·. قد كان عيشى به حُلْواً بِحُلْوَانَ

فهو عند الجرجانى . من الأول « المطلق » ، وليس بناقص ، لأن الألف والنون فى « حُلْوان » زائدتان .

ومنها **التجنيس المضاف** : كقول البحترى :

أيا قَمَرَ التَّمَامِ أَعَنْتَ ظُلْماً .·. عَلَىَّ تَطَاوُلَ الليلِ التَّمَامِ[3]

---

(١) الخرق : الواسع من الأرض الذى تنخرق فيه الريح ، والخرقاء : الناقة التى بها هَوَجٌ من نشاطها ، الأين : الأعياء ، السأم : الفتور والملل ، يشير إلى بُعْد سفره وطوله ، وأنه استعمل هذه الناقة التى كانت نشيطة فى أول أمرها وما إن طال السفر حتى أعيت ، فلو كانت مما يشتكى لاشتكت من طوله .

(٢) عواص : جمع عاصية من العصيان ، وعواصم : جمع عاصمة من العصمة ، أى أنها عاصيات على أعدائهم ، عاصمات لأوليائهم .

(٣) أتم القمر : اكتمل وهو بدر التّمام ، وليل تِمَام : أطول ليالى الشتاء .

ومعنى التّمام واحد فى الأمرين ، ولو انفرد لم تعد تجنيساً ، ولكن أحدهما صار موصلًا بالقمر ، والآخر بالليل ، فكانا كالمختلفين ، وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف ، وقد تكون الاضافة اسماً ظاهراً أو مكنياً ، وقد تكون نسباً ، ومن أملح ما سمعت فيه — يستمر الجرجانى فى حديثه — قول أبى الفتح ابن العميد[1] .

فإن كان مسخوطا، فقل شعر كاتب ... وإن كان مرضيا ، فقل شعر كاتب

ومن التصحيف ، كقول الشاعر[2] :

ولم يَكُنْ المُغْتَرُّ بالله إذْ سَرَى ... لِيُعْجِزَ ، والمعتزُّ بالله طَالِبُهْ

ويأتى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) ، فيعرف الجناس بأنه « بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد فى اللغة » ، ويقسمه إلى قسمين ، **جناس مزاوجة** ، **وجناس مناسبة** ، ويقصد **بجناس المزاوجة** ، ذلك الذى يقع بين لفظتين متجانستين ، إحداهما حقيقية والأخرى مجاز ، بغير تفريق بين الجناس التام والآخر الناقص ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم **فاعتدوا** عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة — ١٩٤) يقول الرمانى : أى جاوزه بما يستحق طريق العدل ، إلّا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان ، ومن ذلك قوله تعالى « **يخادعون** » الله وهو **خادعهم** (النساء — ١٤٢) أى : مجازيهم على خديعتهم ، ووبال الخديعة راجع عليهم ، والعرب تقول : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء ، وانما هو **مزاوجة**

(١) هو : على بن محمد بن الحسين ، أبو الفتح ابن العميد (ت ٣٦٦ هـ) ، وزير من الكتاب الشعراء الأذكياء ، يلقب بذى الكفايتين ، خلف أباه فى وزارة ركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها ثم نكبه مؤيد الدولة وقتله . وأخباره كثيرة على قصر مدته — انظر ترجمته فى الأعلام ٣٢٥/٤ .

(٢) الشاعر هو البحترى ، انظر ديوانه ١٨/١ ، والمغتر بالله : الخارج على المعتز بالله ، والد عبد الله بن المعتز ، صاحب كتاب « البديع » . أما المعتز بالله — فهو محمد بن جعفر بن المعتصم ، عقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ ، ولما ولى المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ سجنه ، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين بالله ، وكانت أيامه أيام فتن وشغب ، وجاءه قواده فطلبوا منه مالًا لم يكن يملكه ، فاعتذر ، فدخلوا عليه وضربوه ، فخلع نفسه ، وعذبوه إلى أن مات سنة ٢٥٥ هـ — الأعلام ٧٠/٦ وانظر « الوساطة » من ٤١—٤٤ و ٤٦ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى — الطبعة الثالثة — الحلبى .

الكلام ، والقسم الثانى : وهو « المناسبة » ، وعرَّفها بأنها « تدور فى فنون المعانى التى ترجع إلى أصل واحد » ، يقصد بذلك « الاشتقاق » ، يقول ، ومن ذلك « قوله تعالى : « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (التوبة ـــ ١٢٧) ، ولم يستشهد بجناس تام فى أمثلة « المناسبة »[١] .

ويستعرض أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ما وصل إليه معظم جهود السابقين عليه فى « التجنيس » ، ولكنه يتوقف عند تجنيس الاشتقاق ويرفض منه ما كان تصريفا كاسم الفاعل واسم المفعول وأمثالهما ، يقول فى كتابه « الصناعتين » وَشَرَطَ بعض الأدباء قريبا من هذا الشرْط فى التجنيس ، وخالفه فى الأمثلة ، فقال ـــ ذلك الذى رمز إليه بـ « بعض الأدباء » ـــ وممن جَنَّس تجنيسين فى بيتِ زهير فى قوله :

بعَزْمَة مأمورٍ مُطيعٍ وآمرٍ .·. مُطَاعٍ فلا يُلْفَى لحزمهم مِثْلُ[٢]

وليس المأمور والآمر ، والمطيع والمطاع من التجنيس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ، وأصلها إنما هو الأمر والطاعة ، وكتاب « الأجناس » الذى جعلوه لهذا الباب مثالا ، لم يصنف على هذا السبيل ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والآمر مع الأمير تجنيسا ، وجعل أيضا ـــ المرموز إليه بـ « بعض الأدباء » ـــ من التجنيس قول الآخر :

فذو الحِلْم مِنَّا جاهلٌ دون ضيفه .·. وذو الجهل مِنَّا عن أذاه حليم

ويقول العسكرى ، وهذا مثل الأول ، ليس بتجنيس ، ثم عَدَّدَ من الشواهد غيرهما ، ثم علّق بأنه « ليس فى هذه الألفاظ تجنيس ، وانما اختلفت هذه الكَلِمُ للتصريف » وهو فى عرضه بعد ذلك لشواهد التجنيس يأتى أولًا بجناس من القرآن ثم من كلام المصطفى ﷺ ، ثم من أقوال العرب ثم من أشعار المتقدمين ثم المحدثين ، ويتعرض العسكرى للجناس الناقص لاختلاف ترتيب الحروف ، ويصفه بأنه « متجانس الحروف » إلّا أن فى حروفه تقديما وتأخيراً كقول أبى تمام :

---

(١) انظر ـــ النكت فى إعجاز القرآن ـــ ص ٩١ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط دار المعارف .

(٢) يصف قوماً بالحزم .

بيض الصفائح لاسود الصحائف في ∴ متونهن جلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ

أما الناقص لاختلاف عدد الحروف ، فقد وصفه بأنه « يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه » ، وفي أمثلته يضم إليه الجناس الناقص لاختلاف نوع الحروف ومثال اختلاف العدد ، قوله من شعره :

عَذِيريَ من دهر مُوَارٍ مُوَارِبِ ∴ له حسنات كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ

ومثال النقص لاختلاف النوع : قول الشاعر :

مَطَاعِيـــنُ في الهَيْجـــا ∴ مَطَاعِيـــمُ في القِـــرى

وبالرغم من أن أبا هلال ــ وهو مصدر هام لكل من أتى بعده من البلاغيين ــ لم يتوقف عند الجناس الناقص لاختلاف هيئة حروف الكلمتين المتجانستين ، إلّا أنه أتى بشاهدين له ، أحدهما شاهد على الجيد من التجنيس والآخر شاهد على المعيب منه .

والجيد ، قول طرفة :

بحسام سيفك أو لسانك ∴ والكَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ[1]

ويضيف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) مزيداً من المصطلحات في الجناس ، منها المماثل :

وهو أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل الصَّلَتان ، يرثي المغيرة بن المهلّب[2] .

فَانْعَ المُغِيرَةَ للمُغِيرَةِ إذْ بدت ∴ شَعْواءَ مُشْعِلَةً كنَبْحِ النَّابِحِ

فالمغيرة الأولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس ، وهي ثانية الخيل التي تُغِيرُ .

ومنها : التجنيس المحقق : وهو ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ــ رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع ، نحو قول أحد بني عبس :

---

(١) الصناعتين ــ أبو هلال العسكري ــ ٣٣٦ تحقيق علي محمد البجاوي ــ الحلبي .

(٢) المغيرة بن المهلّب ــ (ت ٨٢ هـ) ــ أمير شجاع استخلفه أبوه على خرسان فمات فيها .

وَذَلِكُم أن ذُلّ الجار حَالَفَكُمْ ∴ وأنّ أنفكم لم يَعْرِفِ الأَنَفا

فاتفقت « الأَنَف » مع « الأَنْف » فى جميع حروفها دون البناء . ورجعا إلى أصل واحد .

ومنها : **التجنيس المضارع** : وهو على ضروب كثيرة ، منها أن تزيد الحروف وتنقص ...، ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر ...، ومنها ما تتقارب مخارج الحروف ، كقوله تعالى « وهم يَنْهَوْنَ عنه ويَنْأَوْنَ عنه » [الأنعام ـــ ٢٦][١]

ويضيف أن من الجناس : **الجناس المنفصل** ، ويقول : إنه قد أحدثه المولّدون ، مثل أبى الفتح البُستى[٢] وأنه يظهر أيضا فى الخط ، كقوله :

عَارِضَاه بما جنى عَارِضَاه ∴ أَوْ دَعَانى أَمُتْ بما أَوْدَعَانى[٣]

وبعد مناقشة للجرجانى والرمانى فيما أطلقاه من مصطلحات وشواهد ، بما لا طائل من ورائه ـــ يقول : واذا دخل التجنيس نَفْىٌ عُدَّ طباقا ، وكذلك الطباق ، يصير بالنفى تجنيساً ، أى « أن يقع فى الكلام شىء مما يستعمل للضدين ، كقولهم « جَلَلٌ » بمعنى صغير ، و « جَلَلٌ » بمعنى عظيم ، فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره تجنيساً ، وكذلك « الجَوْن » الأبيض ، « و « الجَوْن » الأسود ، وما أشبه ذلك ، وكذلك ان دخل النَّفْىُ ، كما قدمت ـــ قال البحترى :

يُقَيِّضُ لى من حَيْثُ لا أَعْلَمُ الهوى ∴ وَيَسْرِى إِلَىَّ الشَّوْقُ من حَيْثُ أَعْلَمُ

فهذا مجانس فى ظاهره ، وهو فى باطنه مطابق ، لأن قوله « لا أعلم » كقوله « أجهل »[٤] .

---

(١) الآية : « ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكِنَّةً أن يفقهوه ، وفى آذانهم وَقْراً ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلّا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه ، وإنْ يهلكون إلّا أنفسهم وما يشعرون » .

(٢) هو ـــ على بن محمد البُسْتِى ـــ أبو الفتح ـــ شاعر عصره وكاتبه ، ولد فى بُسْت « قرب سجستان » وإليها نسبته ، وكان من كتاب الدولة السامانية فى خرسان ، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين وخَدَمَ ابنه ، يمين الدولة ، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر ، فمات غريبا فى بلدة أوزجيد ببخارى (سنة ٤٠٠ هـ) ـــ الأعلام ـــ ٤/٢٢٦ .

(٣) العارضان : مثنى العارض ، وهو صفحة الخد ، أو جانب الوجه ، أو صفحة العنق ، وأودعانى الأولى مكونة من « أو » + « دعانى » ـــ أى اتركانى ، وأودعانى الأخرى من الفعل أَوْدَعَ يُودِعُ .

(٤) العمدة ـــ ٢/١٢ و ١/٣٢١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط بيروت الرابعة ١٩٧٢ م .

ويقف ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) مؤيداً المصطلحات التى أتى بها الآمدى فى رده على قدامة بن جعفر ، وينقل عن الرمانى ما ورد عنه من مصطلحات وشواهد ، ويضيف معلومة جديدة ، أن أبا العلاء المعرى ــ أستاذه ــ هو الذى أطلق مصطلح « مجانس التركيب » على « الجناس المركب من كلمتين » ، كقول أبى العلاء المعرى ــ أحمد بن عبد الله بن سليمان :

مَطَا ، يا مَطَايَا وَجْدُكُنَّ مَنَازِلٌ ∴ مَتَى زَلَّ عَنْهَا ليس عنى بِمُقْلِعِ[1]

يقول : وما أحفظ لأحد من الشعراء شيئاً من قبيله ، وهو عندى غير حسن ، ولا مختار ، ولا داخل فى وصف من أوصاف الفصاحة والبلاغة[2] .

ومع الجرجانى ــ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ، تخف زحمة المصطلحات ويرتفع لواء الفن ، فالجرجانى لم يقسم ، ولم يبحث عن شاهد لمصطلح ، ولا عن مصطلح لشاهد واحد ، إنما كان همُّه أن يقول : « وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا يبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه ، وأعلاه ، وأحَقّهُ بالحسن وأولاه . ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمته ــ وإن كان مطلوبا ــ بهذه المنزلة[3] .

ويلح الجرجانى على قيمة « وفاء الجناس للمعنى » ، كما فعل مع السجع ، يقول : واعلم أن النكتة التى ذكرتُها فى التجنيس ، وجعلتُها العلة فى استيجابه الفضيلة ، وهى حسن الإفادة . مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه إلا فى المستوفى المتفق الصورة منه ، كقوله :

---

(١) مَطَا يَمْطُو مَطْواً : مَدَّ يَمُدُّ بهم السير ، ومنازِلُ : فاعل مَطَا ، ومطايا الأخرى : مكونة من (ياء من مطا الأولى وهى للنداء + مطايا جمع مطية) ، والمَنَى : القدر ، يقول ــ والله أعلم ــ استدعى وَجْدَ هذه المطايا منازِلُ للأحباب زَلَّ عنها القدر ، أى أنها سالمة من المصائب لأنها مصدرة بهم ، ولكن هذا القدر مازال يصيبنى ولا يريد أن يقلع عنى .

(٢) سر الفصاحة ــ ١٩٠ تحقيق عبد المتعال الصعيدى ــ ط صبيح ١٩٦٩ م .

(٣) أسرار البلاغة ــ ٧ ، تحقيق رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٦٠ م .

ما مات من كرم الزمان فإنه .'. يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرفو ، الجارى هذا المجرى، كقوله « أو دعانى أمت بما أودعانى » فقد[1] يتصور فى غيرْ ذلك من أقسامه أيضا ، مما يظهر ذاك فيه ، ما كان نحو قول أبى تمام :

يمدون من أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ .'. تصول بأسياف قَوَاضٍ قَوَاضِبِ[2]

ويقول البحترى :

لَئِن صَدَفَتْ عَنَّا فَرُبَّتَ أَنْفُسٍ .'. صَوَادٍ إلى تلك الوُجُوهِ الصَّوَادِفِ[3]

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم ، والباء من قواضب ، أنها هى التى مَضَتْ ، وقد أرادت أن تجيئك ثانية ، وتعود إليك مؤكدة ، حتى اذا تمكن من نفسك تمامُها ، ووعى سمعُك آخرَها ، انصرفْتَ عن ظنك الأول ، وزُلْتَ عن الذى سبق من التخيل ، وفى ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة ، بعد أن يخالطك اليأسُ منها ، وحصول الربح بعد أن تُغَالَطَ فيه ، حتى ترى أنه رأس المال »[4] .

وكان الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) يلح على أن صورة الجناس المطبوع ، قد وردت كثيراً فى القرآن الكريم ، كقوله تعالى « وقال يا أَسَفَا على يُوسُفَ ـــ ٨٤ »[5] .

(١) فقد ، جواب ـــ وإن كانت لا تظهر الظهور التام .

(٢) عواص : جمع عاصية من العصيان ، وعواصم جمع عاصمة من العصمة ، أى عاصيات على الأعداء . عاصمات للأولياء ، وقواض جمع قاضية من القضاء وهو الإهلاك ، وقواضب : جمع قاضبة من القَضْب وهو القطع ، أى مهلكة قاطعة .

(٣) صدف عنه : أعرض عنه ، وصوادٍ : جمع صادية من الصَّدى : أى العطش .

(٤) أسرار البلاغة ـــ ١١ و ١٢ ، يشير الدكتور إبراهيم سلامة إلى أن « أرسطو » فى الفصل الحادى عشر من الكتاب الثالث فى الخطابة فكر فى الجناس حيث يقول « إن معظم النكت البلاغية التى نلمحها فى الصورة والنقل ، بلاغتها فى المماثلة التى يلجأ إليها الأديب ، فإذا انتظرنا من الأديب معنى فخاتلنا عليه ليأتى بمعنى آخر مضادٍ له ، تأثرنا به ، وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره ، وكأننا من أثر هذه الدهشة وتلك المخاتلة نقول : « ما أحق ما يقول ، وما أصدقه ، إننا نحن الذين أخطأنا الفهم لا الأديب » ثم يقابل د. سلامة بين هذه الفقرة وبين ما قال عبد القاهر فى سر جمال التجنيس ـــ بلاغة أرسطو عند العرب ـــ ص ١٤ .

(٥) والآية « وتولى عنهم ، وقال يا أسفا على يوسف . وابيَضَّتْ عيناه من الحزن فهو كظيم » وانظر الكشاف للزمخشرى ٢/٣٣٨ ط دار المعرفة ـــ بيروت ـــ وسأعتمد على هذه الطبعة فى بحثى هنا .

ونحو « اثّاقَلْتُم إلى الأرض أرَضِيتُمْ بالحياة الدنيا »[1] و « وهم يَنْهَوْن عنه وَيَنأَوْن عنه »[2] و «وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنعا»[3] وفى قوله تعالى «من سَبَأٍ بِنَبَأٍ يقين »[4] يقول : وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذى سماه المحدثون « البديع » ، وهو من محاسن الكلام ، الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا ، أو يضعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فَحَسُنَ ، وَبَدُعَ ، لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان « بِنَبأ » بخبر ، لكان المعنى صحيحا ، وهو كما جاء لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال[5] .

ويقسّم أسامة بن منقذ (ت ٥٨٣ هـ) درسه للجناس قِسْمَةً لغوية ، فالتجنيس المغاير : هو أن تكون الكلمتان اسما وفعلا . مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس[6] « وأسْلَمْتُ مع سُلَيْمَان لله رب العالمين »[7] ، والمماثل : هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين ، ويأتى للاسمين بشاهد قوله تعالى « وَجَنَى الجَنَّتَيْن دَانٍ »[8] ، ولا يأتى بشاهد على تجنيس الفعلين سوى قوله بعض الأدباء إلى الرشيد « أَحْسِنْ لنا فى النَّظَر كما أَحْسَنَّا فى الانتظار » ، ثم تجنيس التصريف : أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف كقوله تعالى « ويَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعاً » ، بينما جعل من شواهد تجنيس التصحيف الذى هو : أن تكون النقط فرقا بين كلمتين ، كقول البحترى :

(١) التوبة ـــ ٣٨ والآية « يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض ، أرَضِيتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلّا قليل » وانظر الكشاف ١٨٩/٢ .

(٢) الأنعام ـــ ٢٦ ، وانظر الكشاف ١٢/٢

(٣) الكهف ـــ ١٠٤ ، وقبلها « هل نُنَبِّئُكُمْ بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » والكشاف ٥٠٠/٢ .

(٤) النمل ـــ ٢٢ والآية « فمكث غير بعيد فقال أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » ـــ تتحدث عما حدث بين الهدهد وسليمان عليه السلام .

(٥) الكشاف ـــ ١٤٤/٣ .

(٦) هى ملكة اليمن ـــ وكانت هى وقومها مجوساً يعبدون الشمس ـــ الكشاف ١٥٠/٣ .

(٧) النمل ـــ ٤٤ ، والآية « قيل لها ادخلى الصَّرْحَ فلما رأته حَسِبَتْهُ لُجَّةً وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ من قوارير ، قالت : رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » النمل ـــ ٤٤ .

(٨) الرحمن ـــ ٥٤ ، والآية « متكئين على فُرُشٍ بطائنها من استبرق ، وجنى الجنتين دان »

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ∴ ليعجز والمعتز بالله طالبه

وتجنيس الترجيع : وهو أن تُرَجَّعَ الكلمة بذاتها ، كما فى قوله تعالى « إن رَبَّهُمْ بِهِمْ يومئذٍ لخبير » [العاديات ــ ١١] وتجنيس العكس : وهو أن تكون الكلمة عكس الأخرى . كما قال الله تعالى حكاية عن هارون « إنى خشيتُ أن تقول ، فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى اسرائيل »[1] وتجنيس التركيب : ويعرفه بأن تكون الكلمة مركبة من كلمتين ، كما قال أبو العلاء المعرى ، ثم يأتى بشاهد للبستى ؟! « ناظراه فيما جنى ناظراه » أما المصطلح الثامن عند ابن منقذ ، فهو « تجنيس التحريف » ، وهو أن يكون الشكل فرقا بين الكلمتين ، كقول البحترى :

سَقَمٌ دون أعْيُنٍ ذَاتِ سُقْمٍ ∴ وعَذَابٌ من الثَّنَايَا العِذَابِ[2]

إذن ، فالسكاكى وتلامذته لم يأتوا من فراغ ؟!

ويوجز فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) فى كتابه « نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز » ما توصل إليه البلاغيون السابقون عليه فى التقسيم ، والشواهد والتفريق بين المجانسة التامة وهى توجد عنده « اذا تساوى المفردان فى أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها » ولم يذكر « ترتيبها » ![3] .

ويجمع السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) مصطلحات الجناس ، ويقسمها إلى جناس تام وآخر ناقص ، وتحت الجناس الناقص يأتى بالعديد من الأنواع[4] .

ثم يستوى الجناس بناءً ضخما عند القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) ذا مصطلحات راسخة محددة ، مثالاً للتقسيم المنطقى الدقيق ، مما لا يدع بعده مجالاً لاجتهاد منطيق ولا فلسفة متفلسف[5] .

(١) طه ــ ٩٤ ، والآية « قال يا ابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحيتى ، ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم تَرْقُب قولى » .

(٢) أسامة بن منقذ ــ البديع ١٢ وما بعدها ــ تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ود. حامد عبد الحميد ط وزارة الثقافة والارشاد ــ الحلبى القاهرة ١٩٦٠ م .

(٣) انظر ص ٢٨ وما بعدها ط الآداب والمؤيد ، بمصر ــ القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٤) السكاكى ــ المفتاح ــ ١٨١ ط التقدم العلمية ــ ١٣٤٨ هـ .

(٥) القزوينى ــ الإيضاح ــ ٥٣٥ وما بعدها ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ــ الطبعة الخامسة ــ ١٩٨٠ م ، بيروت .

وقد رأى ابن الأثير (ت ٦٣٨ هـ) أن الجناس التام ، هو الجناس الحقيقى وهو اللفظ المشترك ، وما عداه فليس من التجنيس الحقيقى فى شىء ، ويكون الجناس غير التام تسمية بالمشابهة . لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه ، لذا ، يجعل الجناس التام قسما قائما بذاته ، وغير التام يقسمه إلى ستة أقسام ، ولم يهتم ابن الأثير بالمصطلحات بقدر ما اهتم بالشواهد الأدبية العديدة ، تلك التى استقاها من كتب السابقين ، ثم أضاف إليها ما جادت به قريحته من رسائل[1] .

وأياً ما كان الأمر فغلبة الروح الأدبية على درس ابن الأثير أوضح منها بكثير عن المدرسة المشرقية التى أنجبت الرازى والسكاكى والقزوينى ... الخ .

ولا جديد عند ابن أبى الإصبع المصرى (ت ٦٥٤ هـ)[2] ولا ابن الزملكانى (ت ٦٥١ هـ)[3] ولا الطوفى (ت ٧١٦ هـ)[4] ولا الجرجانى (محمد بن على) (ت ٧٢٩ هـ)[5] ولا ابن الأثير (نجم الدين أحمد بن إسماعيل) (ت ٧٣٧ هـ)[6] ...

ثانيا : مصطلح الجناس « التام والناقص »

من واقع هذا التراث الجليل الذى سبق أن عرضت لمعظم ما ورد فيه ، ألاحظ ملاحظاتى ، وألتقِطُ تصورى لمفهوم الجناس تاماً وناقصاً .

قالوا : « الجناس » ويقال له « المجانسة » و « التجانس » و « التجنيس » و « الأجناس » كما عرفه ابن المعتز ـــ « أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ، أن تشبهها فى تأليف حرفها » ويكمل قدامة رسم الحدود « أن تكون فى الشعر معانٍ متغايرة ، قد اشتركت فى لفظة واحدة ،

(١) ابن الأثير ـــ المثل السائر ـــ ٣٤٢/١ وما بعدها تحقيق الحوفى وطبانة .

(٢) ابن أبى الإصبع ـــ بديع القرآن ١٠٢ ـــ تحقيق د. حفنى شرف ، ط المجلس الأعلى للشؤن الاسلامية القاهرة ١١٨٣ هـ .

(٣) ابن الزملكانى ـــ التبيان فى علم البيان ـــ ١٦٦ وما بعدها ، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثى ، ط بغداد مطبعة العانى ١٩٦٤ م .

(٤) الطوفى ـــ الإكسير ـــ ٣١٥ وما بعدها تحقيق د. عبد القادر حسين ، نشر مكتبة الآداب بالقاهرة .

(٥) الجرجانى ـــ الإشارات والتنبيهات ـــ ٢٨٩ وما بعدها د. عبد القادر حسين ط دار نهضة مصر .

(٦) ابن الأثير ـــ جوهر الكنز ـــ ٩١ وما بعدها تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

وألفاظ متجانسة مشتقة » ، ويضم الرماني التعريفين في تعريف واحد « إنه بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد » — اذن ، فالجناس التام جزء من « المشترك اللفظي » ماعدا جناس التركيب « لا جَامَ لَنَا » و « جَامَلَنا » مثلاً . يقول السيوطي (ت ٩١١ هـ) « من الألفاظ المشتركة في معانٍ كثيرة ، لفظ « ع ى ن » ، قال الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) في كتاب « الأجناس » « العين : النقد من الدراهم والدنانير ، ليس بعرض ، والعين : مطر أيام لا يُقلع ، يقال : أصاب أرض بني فلان عين ، والعين : عين الانسان التي ينظر بها ، والعين : عين البئر ، وهو مُخرج مائها ، والعين : القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها ، والعين ....، والعين ....، والعين ....، والعين ....، الخ »[1] وكتاب « الأجناس » هذا ، قد اعتمد عليه ابن المعتز في درسه للجناس ، وكذا أبو الهلال العسكري وغيرهما بطبيعة الحال ، ومن أجل تطبيق ما ورد فيه هاجم أبو هلال العسكري أن يكون بين الكلمتين (الآمر والأمير) جناس ، فهما اشتقاق أصغر .

ويبقى مصطلح « المشترك اللفظي » في علم اللغة ، وتختص البلاغة بمصطلح « الأجناس » أو « الجناس » ، وهو بمفهومه البلاغي صار فرعاً من المشترك اللفظي بعد أن كان هو والمشترك اللفظي شيئاً واحداً[2] .

واذا كان الجناس التام أخص من المشترك اللفظي ، فالجناس الناقص أعم من « الاشتقاق الصغير »[3] لأنه يشغل من الجناس ، مساحة الاختلاف بين اللفظين في العدد والهيئة والترتيب ، ما عدا الاختلاف في نوع الحروف .

---

(١) السيوطي — المزهر — ٣٧٢/١ تحقيق محمد أحمد جاد المولى والبجاوي وأبو الفضل إبراهيم ط الحلبي .

(٢) المشترك اللفظي هو موضوع كتب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » انظر ما كتبه المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ص ٢ وما بعدها ، تحقيق عبد العزيز الراجكوتي ط السلفية مصر ، ١٣٥٠ هـ — ومن قبله سيبويه في الكتاب ٢٤/١ تحقيق عبد السلام هارون ، ط الثانية ١٩٧٧ م — ثم ما جاء في كتاب « الأجناس » لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) — انظره في كتاب « أثر القرآن في تطور النقد العربي » — ١٩١ ط دار المعارف — الثالثة — للدكتور محمد زغلول سلام — وأبو العميثل الأعرابي (ت ٢٤٠) في كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ص ٨ وما بعدها نشر كُرِنْكُو — ١٩٢٥ م .

(٣) يقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) عن الاشتقاق الذي قسمه إلى ضربين الصغير والأكبر « ... فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه ، فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت=

وقد ربط البلاغيون بين الجناس والاشتقاق الأصغر ، فى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين القيِّمِ (الروم ـــ ٤٣) ، لأن اللفظين يجمعهما اشتقاق واحد ، فهما من مادة « ق و م » بل ، وربطوا بين الجناس وبين ما يشبه الاشتقاق وليس منه ! كقوله تعالى « اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (التوبة ـــ ٣٨) .

وهكذا سيطرت أفكار اللغويين على المباحث البلاغية وَوَجَّهَتْهَا غير وجهتها ، فاختلطت الأمور .

ومصطلح الجناس فى رأيى ، **مقطعان صوتيان مُتفقان فى الإيقاع مختلفان فى المدلول** » ، « لفظان متحدان فى الشكل مختلفان فى المضمون » ، واتفاق الإيقاع يعنى أن عدد الحروف ونوعها وهيئتها وترتيبها متماثل . وهذا هو الجناس التام .

أما الجناس الناقص : فهو : « مقطعان صوتيان مختلفان فى الإيقاع مختلفان فى المدلول » وعدم التماثل يعنى : اختلافاً فى عدد الحروف ، أو نوعها أو هيئتها أو ترتيبها،ونريح أنفسنا من شجرة المصطلحات بأغصانها العجفاء . ولا يبقى لدينا الّا جناسان : تام أو ناقص .

ونستطيع أن نترجم اختلاف الجناس الناقص عن الجناس التام بأحوال طرأت على الايقاع التام الذى هو خصيصةُ الجناس التام .

فنرى أن اختلاف عدد الحروف ـــ يؤدى إلى اختلاف زمن الإيقاع بين المقطعين الصوتين ،

= صيغة ومبانيه ، وذلك كتركيب « س ل م » فإنك تأخذ منه معنى السلامة أطلِقَ تفاؤلًا بالسلامة ـــ وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته ، وبقية الأصول غيره ... وأما الاشتقاق الأكبر . فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة ، وما يتصرف من كل واحد منها عليه ...، فمن ذلك « ج ب ر » ، فهى أين وقعت للقوة والشدة ، منها « جبر » العظم والفقير إذا قويتهما ، وشددت منهما ، و « الجبر » الملك لقوته وتقويته لغيره ... الخ ،ـــ الخصائص ـــ ١٣٣/٢ وما بعدها تحقيق محمد على النجار ـــ الطبعة الثانية .

فتكون الكلمة الأولى أقصر زمنا فى نطقها من الأخرى ، مثل « الجوى » أو « الجوانح » أو « إن « ربهم » « بهم » يومئذٍ لخبير » ، وقد يكون العكس ، تكون الكلمة الأولى أطول زمنا — فى نطقها من الأخرى مثل قوله تعالى « وَلَكِنَّا كُنَّا مرسِلِينَ » [القصص — ٤٥] .

واختلاف نوع الحروف يؤدى إلى اختلاف مسافة الإيقاع :

بأن تكون الكلمة الأولى أبعد من الثانية فى مخارج حروفها ، أو أقرب ، مثل « يَنْهَوْن » و « يَنْأَوْن » ، أو « دَامِس » و « طَامِس » .

واختلاف هيئة الحروف يؤدى إلى اختلاف درجة الإيقاع :

بأن تكون الكلمة الأولى أقوى فى مخارج حروفها أو أضعف من الكلمة الأخرى ، مثل « البدعة شَرَكُ الشِّرْك » و « الكَلْمُ » و « الكَلِمُ » .

واختلاف ترتيب الحروف يؤدى إلى اختلاف مواقع الإيقاع :

حروف الكلمة الأولى عكس مواقع الكلمة الأولى مثل « حتف » و « فتح » ، أو مختلفة عنها مثل « ملس » « لمس » وهكذا ...

وهذا بالنسبة لإيقاع الكلمتين ، وثَمَّ إيقاع آخر هو إيقاع بقية الكلمات فى السياق الواحد ، ودور الكلمتين المتجانستين مع بقية الكلمات لا يقل أهمية عن دور توافر الجناس بينهما .

وإذا لم يكن المعنى قد استدعى الإيقاع ، ولم يكن الإيقاع وليد المعنى ، فلا خير فى هذا الجناس ، بين الكلمتين منفردتين أو فى سياق .

ثالثا : اختلاف المعنى بين المتجانسين :

قلنا إن الجناس « اتفاق مقطعين صوتيين فى الإيقاع واختلافهما فى المعنى » وأريد هنا أن أوضح أن اختلاف المعنى هنا يجب ألّا يتقيد بحدود لغوية أو ضوابط ، و « آمر » و « أمير » جناس ، و « ظالم » و « مظلوم » جناس ، وكل ما نطلبه من اللفظة الثانية أن تضيف معنى جديداً للفظة الأولى ، وإذا تحققت هذه

الإضافة المعنوية ، تحقق شرط « الاختلاف في المعنى » . فمثلا في بيت العجير السّلولي[1] الذي يقول فيه :

يَسُرك مظلوما و يُرضيك ظالما ... وَكُلّ الذى حَمَّلْتَهُ فهو حامله

فالممدوح يعفو مظلوما فيسرك ، ويقسو متجبراً ، فيرضيك ، وهو جواد سخي ، قد جمع بين متناقضين ، جمع إلى العفو التسامح ، وإلى العنف التساهل ، هو شخصية متوازنة ، كل من قصده يجد عنده ما يريده ، ويحمل عنه ما ينوؤه ، إذن ، لفظة « ظالما » هنا أضافت معنى خارجا عن المعنى الأول .

وخذ قول جليلة بنت مُرَّةَ[2]

إنّـــى قاتلـــةٌ مقتولـــةٌ ... وَلَعَلّ الله أن يرتاحَ لى

و « مقتولة » هنا أضافت جديداً إلى معنى لفظ « قاتلة » معنى خارجاً عنه مختلفاً اختلافا بيِّناً ، فهي أخت القاتل وزوج القتيل .

أما إذا كانت الكلمة الثانية لا تفيد إلّا التوكيد ، فيخرج هذا من إطار الاختلاف في المعنى ، لأن المعنى الأول لم يُضَفْ إليه شيء ، بقدر ما تأكد حدوثه ، وتعمق أثره ، كقول الله تعالى « وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً » [النساء ـــ ١٦٤] وقوله تعالى « فلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يَجِدُوا في أنفسهم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ، ويُسَلِّمُوا تَسْلِيما » [النساء ـــ ٦٥ » وقوله تعالى « إن الله ومَلَائِكَتَهُ يُصَلُّون على النبي يأيها الذين آمَنُوا صَلُّوا عليه وسَلِّمُوا تَسْلِيماً » [الأحزاب ـــ ٥٦] .

فَكَلَّمَ تكليما ، وسَلِّمَ تسليما ، ليست جناساً إنما هي توكيد مطلق ، لا

(١) العجير السلولي (ت ٩٠ هـ) من شعراء الدولة الأموية ، كان في أيام عبد الملك بن مروان ، وكان جواداً كريما ، عدّه ابن سلام في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين ـــ الأعلام للزركلي ٢١٧/٤ وما به من مصادر .

(٢) هي جليلة بنت مُرّة البكرية ، زوج كليب سيد ربيعة وأخت جساس الذى قتله ، وكان شاعرة فصيحة ، ولكن ما وصل إلينا من شعرها قليل ، وفي هذا البيت تركز مشكلتها التي لا حَلّ لها إلّا عند الله وحده ، بعد مصرع زوجها على يد أخيها ـــ انظر الروائع من الأدب العربي ـــ ٩٢/١ بإشراف د. يوسف خليف ط. الهيئة العامة المصرية ١٩٨٣ م .

تخصيص فيه يخرجه من إطار العموم ويحدد معالمه ، ومثله قول المهلهل ابن ربيعة[1] .

يَأَيُّهاَ الجَانِي علَى قَوْمِه ∴ جِنَايَةً لَيْسَ لها بالمُطِيق

فلفظ « الجانى » تتضمن معنى إحداث الجناية ، فلا تكون « جناية » جناساً ناقصا إنما هى توكيد .

ويختلف الأمر حين يكون المصدر مُبَيِّناً للنوع ، لنوع الفعل ، فيكون جناساً كقوله تعالى « وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ، كَذَّبُوا بآياتنا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ » [القمر — ٤٢] ، فأخذ العزيز المقتدر غير أخذ الذليل المُحْتَقَرِ ، وأخذ العَلِيِّ القدير غير أخذ البشر ، لذا أضافت « أَخْذَ » الثانية معنى جديداً لـ « أخذناهم » الأولى . معنىً كانت بحاجة إليه لتأخذ شكلها الطبيعى الذى حدثت به ، فلم يكن أخذاً مطلقاً بأية درجة ، وبأية وسيلة ، وبلا هدف ، إنما كان أخذاً صادراً من الرب تعالى ، وبعنف يناسب الكفر من آل فرعون ، ولهدف يستحقون أن ينالوه من أجل جبروتهم .

ومثله قوله امرىء القيس :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فى السماء تَعَرَّضَتْ ∴ تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ[2] الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

فالثريا : كواكب تظهر بعد انتصاف الليل ، ويعلن تعرضها عن اقتراب الفجر ، وتعرضت : صارت مُسْتَعَرِضَةً قبل أفولها ، وأثناء الوشاح المُفَصَّل : أى أثناء « الشال » الذى تطرحه المرأة على كتفيها ، وقد ازدان بالجواهر ، فالمصدر هنا جاء مبيِّناً للنوع ، مُكوِّناً إضافة جديدة لحدث الاستعراض ، بأن أخرجته من العموم إلى الخصوص ، من عموم الوشاح « أىُّ وشاح » إلى خصوص الوشاح « المزدان بالجواهر » .

(١) المهلهل ، عَدِىّ بن ربيعة ، وهو أخو كليب سيد ربيعة بعد أبيه ، وقد قتله جساس البكرى الذى غضب لإهانة لحقت خالته البسوس حين رمى كليب ناقة لها بسهم أصابها فقتلها ، ومن هُنا دارت حرب البسوس بين قبيلتى بكر وتغلب ، وهنا يخاطب المهلهل جساساً بأنه أطلق شرارة ليس فى مقدوره أن يتحمل نتائجها .

(٢) أثناء — جمع « ثِنْىٌ » وهو ثنى من الثوب وكف من أطرافه .

أترانا بعد هذا نقبل قول العسكرى « ... ومن جَنَّسَ تجنيسين فى بيت زهيرٌ فى قوله :

بعزمة مأمور مطيع وآمر .·. مُطَاع فلا يُلْفَى لحزمهم مِثْلُ

وليس المأمور والآمر ، والمطيع والمطاع من الجناس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ، وأصلها إنما هو الأمر والطاعة ، وكتاب الأجناس الذى جعلوه لهذا الباب مثالاً لم يُصَنَّفْ على هذا السبيل ،...، وجعلوا أيضا من التجنيس قول العجير السَّلولى :

يَسُرُّكَ مظلوما ويرضيك ظالما .·. وكل الذى حَمَّلْتَهُ فهو حامله

...، ليس فى هذه الألفاظ تجنيس ، وانما اختلفت هذه الكلمة للتصريف[1] لا نستطيع أن نقبل هذا الرأى على إطلاقه ، والأمر موكول بالإضافة التى يأتى بها المعنى الثانى ، وإذا تعذرت فلا جناس ثَمَّ .

ولا يظهر الأمر جليا إلّا حينما نضع البيت فى مكانه من القصيدة ، لنتذوق أثر الجناس فى المعنى ، وفى الأقل نضعه بجوار أقرب جيرانه لِنُحِسَّ إحساساً أقرب ، وليكن ذلك فى أبيات امرىء القيس التى يقول فيها :

فقالت : سَبَاكَ اللّهُ إنَّكَ فَاضِحِى .·. ألَسْتَ تَرى السُّمَارَ والناس أحْوَالى
فقلت : يَمِينُ الله أبرحُ قاعِداً .·. ولو قَطّعُوا رأسى لديك وأوصالى
حَلَفْتُ لها بالله حَلْفَةَ فاجِرٍ .·. لَنَامُوا، فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صَالي[2]

فالليل الدامس ، والأصوات الطارقة من بعيد ، والظلمة المهيمنة ، والحوار الذى يدور همساً بين امرىء القيس وصاحبته ، كل منهما له رغبة عارمة فى صاحبه ، لكنها تخاف السُّمَّار والقيل والقال ، وهو لا يخاف. مما تخاف ، إنما يخاف أن تفتر حماستها ، وتضيع منه بهجة الرغبة ، وبين الشد والجذب ، والدفع والمنع ، تطلب منه أن يرى ما شأن السُّمَّار ؟ هل ناموا ؟، فيتلصص امرؤ القيس

---

(١) الصناعتين ـــ ٣٣٠ .

(٢) سباك الله : صيغة دعاء لا تؤدى معناها الحقيقى ، أبرح قاعداً ، أظل قاعداً والصالى : الذى يصطلى بالنار ، يستدفىء بها .

فيراهم قاعدين ، فماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ فليحلف حَلْفَة فاجر أنهم قد ناموا ـــ حلف لها بالله فصدقت ، و« حلفة فاجر » أضافت للحَلِف بالله معنى حين صورت الصراع الذى نهش قلب امرىء القيس حين وجد السُّمَّار قاعدين ، إن هذه الحَلْفَةَ قد غيَّرت مجرى الأحداث ...، وأعطتنا مزيداً من الاقتراب من الصورة وبطلها ، اذن فالمعنى مختلف ، فكان الجناس بين « حَلَفْتُ ... حَلْفَة فاجر » وكان ناقصاً لأن الايقاعين مختلفان والمعنيين مختلفان أيضا .

رابعاً : الحقيقة والمجاز بين المتجانسين :

قد يكون ركنا الجناس معنيين حقيقيين ، وقد يكون أحدهما مجازاً والآخر حقيقى ، وهذا مما يترك أثره فى تصوير المعنى،وعمقه فى رسم خطوطه فمن الجناس التام ذى الطرفين الحقيقيين ، قول أبى تمام :

السَّيْفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ∴ فى حَدِّهِ **الحَدُّ** بين الجد واللعب

فالحد الأولى ، حدُّ السيف ، والحد الثانية : الفصل والقطع ، والكلمتان حقيقيتان فى استعمالهما .

والجناس هنا تام حقيقى الطرفين .

أما حين يقول مسلم بن الوليد :

تَبَسَّمَ عن مِثْل الأقاحى **تَبَسَّمَتْ** ∴ لَهُ مُزْنَةٌ صيفية فَتَبَسَّمَا

فـ « تبسم » الأولى حقيقية ، لصاحبته .

و « تبسم » الأخرى ، للمزنة ، وهى « السحابة الممتلئة ماءً ، وتبسمها هطول مائها على سبيل الاستعارة المكنية ، ويكون الجناس تاماً بين « تَبَسَّم » الثانية المجازية ، و « تَبَسَّم » الأولى الحقيقية .

والأمثلة على هذا كثيرة فى القرآن الكريم ، ففى قوله تعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها » [الشورى ـــ ٤٠][1] و « السيئة » الأولى حقيقية ، وهى العمل المخالف

(١) والآية كاملة : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين » .

الخارج عن شرعة الله ، وهو البداية الظالمة ، والافتراء الذى يقع على المفترى عليه ، أما « سيئة » الأخرى فمجازية على سبيل الاستعارة التصريحية ، لأنها بمعنى عقاب من الله ، عقاب شديد مناسب لما اقترفوه من آثام ، ومثلها قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » [البقرة ــ ١٩٤][1] وقوله تعالى « مُستهزئون الله يَستَهزِىء بهم » [البقرة ــ ١٤ و ١٥][2] وقوله تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » [آل عمران ــ ٥٤][3] ــ وسَمَّى الرمانى هذا الصنف من الجناس : جناس المزاوجة ، وقال : إنه يقع فى الجزاء أى فى جواب الشرط من الجملة الشرطية ، وضرب له مثلاً آية « فمن اعتدى » وقال : « فاعتدوا عليه ، أى جازوه بما يستحق طريق العدل ، إلّا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء ، لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان »[4] .

فكما يقع الجناس بين المعانى الحقيقية ويكون له جماله ، يقع فى المعانى المجازية لغرض يقصد إليه ، وهدف يسعى إلى تصويره .

خامساً : الجانب الإيقاعى بين المتجانسين :

لاحظنا أن الجانب الصوتى يكاد يكون هو الركيزة التى يعتمد عليها فن الجناس ، وما الجانب الصوتى إلّا الإيقاع Rhythm ، أو النغم ، أو الترديد الموسيقى ، فالكلمتان المتجانستان تجانساً تاماً ، هما فى الواقع إيقاعان موسيقيان ترددا فى مساحة البيت الشعرى أو الآية القرآنية أو الجملة النثرية البشرية ، وكذا الكلمتان المتجانستان تجانساً ناقصاً ، فالنقص فى الجناس الناقص يلبى حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين ، كما يلبى الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر .

---

(١) والآية كاملة : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام ، والحرمات قِصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » .

(٢) والآيتان : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

(٣) والآية بعدها : « إذ قال الله يا عيسى إنّى مُتوفّيكَ ورافِعُكَ إلىّ ومُطهّرُكَ من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعُوكَ فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثمّ إلىّ مرجعكم ، فأحْكُمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

(٤) النكت فى إعجاز القرآن ــ ٩١ تحقيق د. محمد زغلول سلام . دار المعارف الثالثة .

وطالما أن الإيقاع هو ركيزة فن « الجناس » والإيقاع عبارة عن « تكرار ضربة أو مجموعة من الضربات بشكل منتظم على نحو تتوقعها معه الأذن كلما آن أوانها »[1] ، فمن الطبيعى أن يكون ترداد هذا الإيقاع متتاليا متصلا حينا ، أو متتاليا منفصلا حينا آخر ، ومن الطبيعى أيضا أن يكون الفصل لوجود فاصل أو فاصلين أو عدة فواصل . أى : فراغ أو فراغان أو عدة فراغات من الألفاظ التى لا تُكوِّن إيقاعاً موسيقيا . ويرجع ذلك إلى المعنى الذى يريد الفنانَ أن يُوصِّلَهُ إلى المخاطب ، والفنان بفنه وخبرته يحرك هذا الفاصل [الفراغ] فيجعله قصيراً أو طويلا ، أو يكرر النغمة ذاتها بلا فاصل ، حسبما يريد للمعنى من إصابة المقدار المطلوب من التأثير فى أذن المخاطب ونفسه وعقله .

فالشاعر الذى يقول :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ ∴ والهَوَى للمَرْءِ قَتَّالُ[2]

وقد كرر إيقاع لفظ « آجال » بدون فاصل .

وكذا فعل أبو تمام فى قوله :

السَّيْفُ أصْدَقُ أنْبَاءً من الكتب ∴ فى حَدِّه الحَدُّ بين الجد واللَّعِبِ

ونحن لا نلتفت فى « الجناس » إلى الحيِّز المكانى للكلمة بقدر ما نهتم بالحيز الزمانى ، فكل كلمة تستغرق عدداً من الثوانى بعدد حروفها ، بحيث لو سجلنا هذا النطق على « مُسَجِّل » لعرفنا عدد الذبذبات التى نطقها الناطق ليحول هذه الحروف المكتوبة إلى أصوات منطوقة . ومن هنا يأتى أثر الإيقاع المتجانس والفراغ بين الإيقاعين إن وُجد .

انظر إلى هذا الشاعر الذى استشهد به أسامة بن منقذ ، فقد حَرَّكَ الفواصل بين الايقاعات حركة مقصودة لخدمة المعنى .

---

(١) د. فؤاد زكريا ـــ التعبير الموسيقى ـــ ٢١ ط مكتبة مصر ـــ الثانية ١٩٨٠ م .

(٢) البيت لأبى سعيد عيسى بن خالد المخزومى ، والحدق : واحدة حدقة ، وهى سواد العين ، والآجال الأولى جمع إجْل ، وهو القطيع من بقر الوحش ، والأخرى : جمع أجَل والمراد به : العمر ، انظر الإيضاح للقزوينى ص ٥٣٦ تحقيق خفاجى .

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فى عَرَفَاتٍ ∴ سَلَبَتْنِي بِحُسْنِهاَ حَسَنَاتِي
وَرَمَتْ بالجِمَار جَمْرَةَ قَلْبِى ∴ أَىُّ قَلْبٍ يَقْوىٰ عَلَىٰ الجَمَرَاتِ
حَرَّمَتْ حِينَ أَحْرَمَتْ نَوْمَ عَينِى ∴ واسْتَبَاحَت حِمَاى باللَّحظَاتِ
وأَفَاضَتْ مع الحَجِيجِ فَفَاضَتْ ∴ مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ العَبَرَاتِ
لم أَنَلْ مِنْ مِنًى مُنَى النَّفْسِ لكن ∴ خِفْتُ بالخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي[1]

وبالرغم من « مهارة » الشاعر فى التلاعب بألفاظ مناسك الحج وتطويعها لتجربته العاطفية بغير قليل من السطحية ، فإنه ليكفينا بيان هذه **الفراغات**،**ومن الممكن أن نعتبر هذا النوع من الفصل « قصير المدى » ، ذلك الذى يتكون من كلمة إلى ثلاث كلمات ، مثل قول العباس بن الأحنف :**

حُسَامُكَ فيه للأَحْبَاب فَتْحٌ ∴ ورُمْحُكَ فيه للأَعْدَاء حَتْفٌ

أما « طويل المدى » فهو — فى رأيى — مازاد على ثلاث كلمات ، انظر إلى قول الغَزِّى[2] :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الخَالِ أَحْيَانَا ∴ ونحن فى حُفَرِ الأَجْدَاثِ أَحْيَانَا[3]

وهناك خمس فواصل ، كقول أبى الفتح البُستى :

كُلُّكُم قد أَخَذ الجَامَ ولا جَامَ لَنا ∴ ما الذى ضَرَّ مُدِيرَ الجَامِ لو جَامَلَنا[4]

---

(١) الخود : حسنة الخلق ، وأفاض الناس من عرفات : تفرقوا ، ومِنَى الأولى موضع والأخرى جمع أمنية ، والخيف : موضع بمكة المكرمة — وانظر الأبيات فى البديع فى نقد الشعر — لأسامة بن منقذ — ١٤ د. بدوى ود. عبد المجيد ط الحلبى ١٩٦٠ م .

(٢) هو : محمد بن على أبو عبد الله الغزى (ت ٧٦١ هـ) شاعر رقيق الأسلوب أديب ، اختص بأمراء لبنان ، مصرى الأصل والمولد ، نشأ بغزة ، وأقام بها مدة طويلة ، فنُسِبَ إليها — انظر الأعلام للزركلى ٢٨٥/٦ .

(٣) أحيانا الأولى : بعض الوقت ، وأحيانا الأخرى من الإحياء ، والأجداث : المقابر مفردها جَدَثٌ .

(٤) انظر البيت فى الإيضاح للقزوينى ٥٣٧ ، وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع ١١٠ — وهذا النوع من الجناس يسميه البلاغيون المتأخرون بـ « الجناس المركب » ، وهو أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركب ، وفى ذلك أوضح دليل على أن الجناس ، فن موسيقى ، يعتمد على الإيقاع الصوتى للألفاظ ، بغض النظر عن الجانب الخطى أو الحيز المكانى ، وفى هذا البيت الركيك ، كلمتا (جام) أى بعد

وستة فواصل ، كقول أبى تمام :

وأصبحت غُرَرُ الأيامِ مُشرِقَةً ∴ بالنَّصرِ تضحَكُ من أيَّامِكَ الغُرَرِ[1]

وقد بلغ القرآن الكريم فى نظمه الحد الأقصى لترجيع صدى الصوت للكلمة المجنسة الأولى ، بأن أعاد صداها بعد تسعة فواصل[2] وذلك فى قوله تعالى « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ » [النور ـــ ٤٣][3] .

ويخيل إلى أن الفاصل لو زاد على هذه المساحة ، لضاع الغرض من التجنيس : كقول هذا الشاعر :

قُرِبْتَ ، فَلَمْ أَرْجُ اللِّقَاءَ ولا أَرَى ∴ لَنَا حِيلَةً يُدْنِيكَ مِنَّا احْتِيَالُها

فَأَصْبَحْتَ كالشَّمْسِ المُنِيرَةِ ضَوْؤُهَا ∴ قَرِيبٌ ، ولكنْ أَيْنَ مِنْكَ مَنَالُها[4]

= الكأس ، و (لنا) ، ولنطقهما كأنهما كلمة واحدة هكذا (جام و لنا)والأخرى كلمة (جاملنا) من الفعل ـــ حامل بجامل ـــ ومثل هذا قول الشاعر :

فَلَمْ تَضعِ الأعادى قَدْرَ شانِي ∴ ولا قالوا فُلَانٌ قَدْ رَشانِي

الأولى من (قدر + شأن) وخففت الهمزة ، والأخرى من قد + رشانى ـــ من رشا يرشو .

(١) الغرر الأولى : بمعنى البياض والإشراق ، والأخرى بمعنى الكرم والشرف .

(٢) عرض القرآن الكريم لمختلف أشكال الفواصل بين المتجانسين ، بلا فاصلة كقوله تعالى « إنى خَشِيتُ أن تقولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إسرائيل » [طه ـــ ٩٤] ، وبفاصلة واحدة كقوله تعالى « ثم كُلِي من كُلِّ الثمرات » [النحل ـــ ٦٩] ـــ وبفاصلتين ، كقوله تعالى « وُجُوهٌ يومئذ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ » [القيامة ٢٢ و ٢٣] ، وبثلاث فواصل ، كقوله تعالى « وإنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وإنَّه لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ » [العاديات ـــ ٧ و ٨] ، وبأربعة فواصل ، كقوله تعالى « وَيَوْمَ تقومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجرمُون ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعة ، كذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُون » [الروم ـــ ٥٥] وبخمسة فواصل ، كقوله تعالى « ذلكم بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ فى الأَرْض بِغَيْرِ الحَقِّ وبِمَا كُنْتُم تَمْرَحُونَ » [غافر ـــ ٧٥] .

(٣) والآية الكريمة كاملة « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ـــ يزجى :يسوق ، الودق : المطر ، جبال فيها من برد : هى من برد ، الأبصار الأولى : الأنظار ، والأخرى : العقول .

(٤) البيتان فى « البديع » لأسامة بن منقذ ـــ ٢٩ .

سادساً : الوفاء بالمعنى والإيقاع بين المتجانسين :

أراني متعجلا فى هذا الجانب ، بالرغم من أنه موضوع التطبيق على شعر شوقى فلا بأس من عرض تطبيقى سريع إلى أن يأتى شعر شوقى[1] .

وسندير تحليلنا حول قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سحابا ، ثم يُؤَلِّفُ بينه ثم يجعله رُكَاماً ، فَتَرى الوَدْقَ يَخْرُجُ من خلاله ، ويُنَزِّلُ من السَّمَاء من جبالٍ فيها من بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ به من يَشَاءُ ويَصْرِفُه عَمَّن يَشَاءُ ، يكاد سنا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأبصار ، يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ والنهار ، إنَّ فى ذلك لَعِبْرَةً لِأُولِى الأَبْصَارِ » [النور ـــ ٤٣] .

فالأبصار الأولى جمع « بَصَر » وهو النظر ، والأخرى جمع « البصر » وهو العقل ، والفَهْمُ والفقه والخبرة الفائقة ، وليست هذه هى القضية فقط ، إنما نلاحظ أن لكل كلمة حَيِّزٌ مكانى تملؤه بحروفها المخطوطة ، وحيز زمانى تستغرقه بنطق هذه الحروف ووقعها على الأذن ، وحين تنتقل الكلمة إلى المستمع فالأذن ، والإحساس بوقع الحروف وعددها يقومان مقام العين فى تقدير الحيز المكانى للكلمة ، الذى لا يدرك إلا بالقراءة .

وكلمة « الأبصار » هنا تأتى بعد مَشَاهِد عديدة تستحق الرؤية والتأمل فى عجائبها ، السحاب المتدافع الذى يتجمع فيما بينه فيؤلف السحب الكثيفة المثقلة بالماء والمطر الذى ينزل فى هيئة بَرَدٍ فيه الخير بنزوله ، وفيه الشر بامتناعه ، ثم ذلك البرق ذو الضوء والذى يخطف الأبصار ـــ كل ذلك يحتاج إلى الإبصار ، إلى الرؤية الواعية ، والتعجب من قدرة الخلَّاق العظيم ، ثم يأتى الليل والنهار، وكيف أنهما عبرة وعظة، لمن كان له عقل يعى ولب يقظ، إذن المشاهِدُ يناسبها الإبصار بالعين، وتقليب الليل والنهار يناسبه الإبصار بالفكر، أو الرؤية المتعجبة ، أو البصر المتأمل ، وهنا وردت الكلمتان ،لتتبادلا المواقع ، الذى يشاهد عليه أن يفكر فيما يشاهد ، والذى يفكر عليه أن يشاهد ما يعينه على فكره ، ومن هنا وردت الكلمتان المتفقتان فى الايقاع الصوتى التام ، المختلفتان فى المعنى ، المرتبطتان فى الإطار العام بالسياق ، وذلك لغرض إتمام المعنى ، وإضفاء الجمال الموسيقى التابع من ترديد نغمة « الأبصار» مرتين بينهما أطول فاصل يمكن

(١) انظر كتابى « البديع فى شعر شوقى » ط منشأة المعارف بالإسكندرية ـــ ١٩٨٦ م .

أن يقع بين متجانسين ، حتى يتيح للمستمع أن يجول بفكره ونظره فيما حوله متأملًا متعجبا ، على ألّا يطول التأمل فيكون بلا فائدة ، إنما العبرة بالنتيجة . ولذا يُبدىء أولًا بالأبصار ، لعامة المبصرين ثم ثُنّي بالأبصار لخاصة المفكرين .

وخذ مثالًا آخر ، قوله تعالى « ويومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجرِمُونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » [الروم ـــ ٥٥] .

فالساعة الأولى معناها القيامة ، والساعة الأخرى معناها الوقت القصير . ونلاحظ أن « الساعة » الأولى بإيقاع السين الممدودة والعين المفتوحة والتاء المربوطة ، واختيارها معنى ليوم القيامة ، تدل على دقة مجيئها ، ودقة حسابها ، وانضباط وقتها ، كل هذا لا يدوم طويلا ، لأن النَّغْمةَ نَفْسَها ستكرر ، ولكن بمعنى آخر ، بمعنى الساعة الزمنية ، استعارة تصريحية لقصر الوقت ، كأنهم لم يعيشوا فى الدنيا غير ساعة من زمن ، ولا بَقُوْا فى القبر غير ساعة من زمن ، إنما جاء إحساسهم بقصر الوقت تعبيراً عن هول المفاجأة ، لذا لم تكن لفظة أخرى بقادرة على إعطاء هذا الإحساس أكثر من كلمة « الساعة » ، وهنا وجب التجانس التام ، بين المعنى والنغم ، لا لزركشة ولا لتزيين ، أو تحسين ، إنما وفاءً للمعنى ودقةً فى الأداء ، وتصويراً للمفاجأة ، ومدى وقعها على هؤلاء المجرمين ، « ويوم تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجرِمُونَ ما لبثوا غيرَ سَاعَةٍ » ، سنلاحظ أن لفظ « ساعة » قد تبلور فى حرف « السين » التى لا تختفى نغمتها بل تستمر فى « يُقْسِمُ » وتختفى من « المجرمون » لتظهر بحرف قريب فى « لَبِثُوا » وتختفى فى « غير » لتعود قوية واضحة جلية فى « السَّاعَة » ثانية .

وفى الجناس الناقص، نجدقوله تعالى «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وإنْ يُهلكون إِلَّا أَنْفُسَهُم ومَا يَشْعُرون » [الأنعام ـــ ٢٦] .

حكى القرطبى فى تفسير هذه الآية : أن النهى هو الزجر ، والنأى : البعد ذلك عن ابن عباس والحسن ، وقيل : وهو خاص بأبى طالب ينهى الكفار عن أذاية محمد ﷺ ، ويتباعد عن الإيمان ، عن ابن عباس أيضا ، وروى أهل السِّيَر ، قال : كان النبى ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوما ، وأراد أن يصلى ، فلما دخل فى الصلاة ، قال أبو جهل ـــ لعنه الله ـــ : « من يقوم إلى هذا الرجل

فيفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزِّبَعْرَى ، فأخذ فَرْثاً وَدَماً ، فلطخ به وجه النبى ﷺ ، فانفتل النبى ﷺ من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عَمّ ألا ترى إلى ما فُعِلَ بى ؟ » فقال أبو طالب : من فَعل هذا بِكَ ؟ فقال النبى ﷺ : عبدُ الله بن الزِّبعْرى، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رَأَوْا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لجللته بسيفى ، فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يابنىَّ من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزِّبَعْرى ، فأخذ أبو طالب فَرْثاً ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء القول لهم ، فنزلت هذه الآية « وهم يَنْهَوْن عنه وَيَنْأَوْن عنه » فقال النبى ﷺ : يا عَمّ ، نزلت فيك آية ، قال : وما هى ؟ قال : تمنع قريشاً أن تؤذينى ، وتأبى أن تؤمن بى ، فقال أبو طالب :

والله لن يَصِلُوا إليك بِجَمْعِهِم ∴ حَتَّى أُوَسَّدَ فى التُّرَاب دَفِيناً

... الخ[1]

والجناس فى هذه الآية الكريمة بين « ينهون وينأون » ، وهما مقطعان صوتيان غير تامين ، ومختلفان فى المعنى ، ونلاحظ أن الجار والمجرور المتعلق بالفعلين واحد ، وهو « عنه » ، أى أن الرسول ﷺ يحدث له النهى عنه ، والنأى عنه ، والنهى أمر بالابتعاد بالقول ، والنأى ابتعاد بالفعل والجسد، والنهى أمر يصدر إلى الآخرين من الكفار ، والنأى أمر يصدر من الكفار إلى أنفسهم ، والنهى قول بلا قدرة ، والنأى قدوة احتوت قولًا ، وإيقاع النهى قريب جداً من النأى ، لأنهما كانا يحدثان فى وقت واحد ، وهم مصدر النهى والنأى ، وهو صلوات الله عليه وسلامه — مصب النهى والنأى ، لذا جاء الإيقاع قريباً ، وتجاء الاختلاف فى حرفين يخرجان من الحنجرة ، وكأنهما فعلان يصدران عن شىء واحد ، كما يصدر النهى والنأى عن أبى طالب وأمثاله ، ثم يكون النهى أخص من النأى ، لأن قول بلا فعل ، ويأتى النأى أعم لأنه فعل يترجم قولًا ، ونلاحظ أن الجملة الأولى قد اشتملت على المسند إليه « هم » والمسند « ينهون » و القيد « عنه » ، بينما حذف المسند إليه من الجملة الأخرى ، وبقى المسند « ينأون » وبقى القيد « عنه » لأنه

(١) تفسير القرطبى ص ٢٤٠٧ وما بعدها . ط دار الشعب .

صلوات الله عليه وسلامه ، أهم منهم وأجلّ ، ثم نلاحظ « الازدواج » أى اتفاق إيقاع جملتين متتاليتين ، « ينهون عنه » و « ينأون عنه » ، واتحاد الإيقاع يوحى بأن الفعلين كانا يصدران بنفس القوة والعنف والغل . وبنفس الدرجة من الهمجية . ولذا جاء الجناس ، لأنهما فعلان من جنس واحد ، هو الحقد الأسود ، جاء الجناس ناقصا ، وما كان يصلح إلّا أن يأتى ناقصا ، للوفاء بالمعنى والوفاء بالإيقاع بلا تكلف ...

رابعاً : المشاكلة

١ ــ درس المشاكلة
٢ ــ التعقيب

أولا : درس المشاكلة

عُرِّفَتْ « المشاكلة » فى الدرس البلاغى بمصطلحات عديدة ، منها : « المزاوجة » و « التصدير » و « رد الأعجاز على الصدور » و « الترديد » و « المقابلة » .

وقد قصد بعض القدماء بـ « المشاكلة » ـــ التناسب فى النظم ، والتلاؤم فى الألفاظ مع السياق ، فهى « المشاكلة الفنية » بمعناها العام ، كالتى أشار إليها ابن المقفع (ت ١٤٣ هـ) حين قال « ... وليكن فى صدر كلامك دليلٌ على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر ـــ البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته ... »[1] ، ويوضح المبرد (ت ٢٨٥ هـ) الفكرة ذاتها بتطبيقها على الشاهد ، فيحكى « أَنْشَدَ » الكميت بن يزيد نصيباً ، فاستمع له ، فكان فيما أنشده .

وقد رأينا بها حوراً منعمة ∴ بيضًا ، تكامل فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ[2]

فَثَنَّى نُصَيْب بِخِنْصَرِه ، فقال له الكميت : ما تصنع ؟ فقال : أُحصى خطأك ، تباعدت فى قوله « تكامل فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ » ... الخ ، ويعلِّق المبرد « والذى عابه نصيب من قوله « تكامل فيها الدَّلُّ والشنب » قبيح جداً ، وذلك أنّ الكلام لم يَجْرِ على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة وما يشاكلها ، وأول ما يحتاج إليه القول ، أن يُنْظَمَ على نَسَق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة[3] .

ويجعلها ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) عنصراً من عناصر الخلق الفنى القائم على المراجعة والتدبير[4] وإلى المضمون نفسه تعرض ابن الأثير[5] وابن سنان الخفاجى[6] .

---

(١) البيان والتبيين ـــ ١/١١٥ ط هارون .
(٢) الشنب : عذوبة الأسنان ورقتها .
(٣) الكامل ـــ ٢/١٦٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـــ ط نهضة مصر ـــ ١٩٧٧ م .
(٤) عيار الشعر ـــ ١٦٥ ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف .
(٥) المثل السائر ـــ النوع الرابع والعشرون فى التناسب بين المعانى ـــ ص ٢٧٩ ط محى الدين
(٦) سر الفصاحة ، ١٥٠ـــ١٥٢ تحقيق عبد المتعال الصعيدى ط صبيح ١٩٦٩ م .

والأمر يختلف بعض الاختلاف فى « المشاكلة » البلاغية ، يقول الفراء (ت ٢٠٧ هـ) فى قوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم » [البقرة ـــ ١٩١] ـــ فإن قال قائل : أرأيت قوله : « فلا عُدْوان إلّا على الظالمين » [البقرة ـــ ١٩٣] أعدوان هو ـــ وقد أباحه الله لهم ؟ قلنا : ليس بعدوان فى المعنى ، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله ، ألا ترى أنه قال « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [البقرة ـــ ١٩٤] ، فالعدوان من المشركين فى اللفظ ظلم فى المعنى ، والعدوان الذى أباحه الله ، وأمر به المسلمين إنما هو قِصَاصٌ ، فلا يكون القِصَاصُ ظلما ، وإن كان لفظه واحداً ، ومثله قول الله تبارك وتعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » [الشورى ـــ ٤٠] ، وليست من الله على مثل معناها من المسمى لأنها جزاء »[1] .

وقد فهم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) الأمر ، كما تصوره الفراء من قبل ـــ فاعتبر آية « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » مما « اتفق لفظه واختلف معناه » ، فمعنى « فاعتدوا عليه » : اقْتَصُّوا منه ، يُمْزَجُ اللفظ بلفظ ما قبله ، كقول العرب : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء ، وتقول : فعلت بفلان مثل ما فعل بى ، أى : اقتصصت منه ، والأول بدأ ظلما ، والمكافىء إنما أخذ حقه ، فالفعلان متساويان ، والمخْرَجَانِ متباينان ، اذ كان الأول ظالما ، ومثله « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، « والثانية ليست سيئة تكتب على صاحبها ، ولكنها مثلها فى المكروه ... الخ »[2] .

ويقوم ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) بإطلاق مصطلح « رد الأعجاز على ما تقدمها » بدلًا من « المشاكلة » ، ثم يحدد لنا المسافات الفاصلة بين إيقاعَيْ كلمتى « المشاكلة » .

فمنها : ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة فى نصفه الأول .

تَلْقَى إذا ما الأَمْرُ كان عَرَمْرَمَا ∴ فى جَيْشِ رَأْى لا يُفَلُّ عَرَمْرَمُ

(١) معانى القرآن ـــ ١١٦/١

(٢) المبرد ـــ ما اتفق لفظه واختلف معناه ـــ ص ١٢ و ١٣ ط السلفية بمصر ١٣٥٠ هـ .

ومنها : ما يوافق آخر كلمة منه ، أول كلمة فى نصفه الأول .

كقول الشاعر :

سَرِيعٌ إلى ابن العم يَشْتِمُ عِرْضَه ∴ وليس إلى دَاعِى النَّدىٰ بِسَرِيعِ

ومنها : ما يوافق آخر كلمة فيه بَعْضَ ما فيه :

كقول الشاعر :

عَمِيدُ بنى سُلَيْـم أقْصَدَتْـهُ ∴ سِهامُ الموت وَهْى لَهُ سِهَامُ

وكقوله تعالى « انظُر كيف فَضَّلْنَا بعضَهم على بَعْضٍ ، ولَلْآخِرَةُ أكبرُ درجَاتٍ وأكْبَر تفضيلًا [الإسراء — ٢١] ... الخ[١] .

وكان جَهْدُ الزَّجَّاجُ (ت ٣١١ هـ) لغويا فى التفاتته إلى « المشاكلة » ، فى قوله تعالى « الله يستهزىء بهم » [البقرة ١٤ و ١٥] ، يقول « ... ويجوز — والله أعلم — وهو الوجه المختار عند أهل اللغة ، أن يكون معنى يستهزىء بهم ، يجازيهم على هُزْئِهِمْ بالعذاب ، فَسَمَّى جزاء الذنب باسمه ، كما قال عز وجل « وجزاء سيئة سيئة مثلها » [الشورى — ٤٠] ، فالثانية ليست سيئة فى الحقيقة ، ولكنها سُمِّيَتْ « سيئة » لازدواج الكلام »[٢] بينما وَسَّعَ الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) الدائرة نفسها ، مع اعتباره المشاكلة جزءاً من الجناس ، لأن الجناس عنده على وجهين : مزاوجة ومناسبة ، والمزاوجة كما يقول : تقع فى الجزاء ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » [البقرة — ١٩٤] ، أى جازوه بما يستحق طريق العدل ، إلّا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء ، لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان ، ومن ذلك « مستهزئون الله يستهزىء بهم » [البقرة — ١٤ و ١٥] أى يجازيهم على استهزائهم ... الخ »[٣] . أما العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، فلا يضيف جديداً عما أسماه — مسايرة لابن المعتز — « رد الأعجاز على الصدور » ، ويكتفى بمزيد من

(١) البديع — ٤٧ .

(٢) الزَّجَّاجُ — معانى القرآن وإعرابه — ١/٥٦ شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى ، ط بيروت .

(٣) النكت فى إعجاز القرآن — ٩١ ط دار المعارف — الثالثة .

الشواهد ستجد طريقها إلى كتب البلاغيين التاليين »[1] ، ويبدو أن الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) قد أفاد من شواهد العسكرى فى « رَدّ عَجُزِ الكلام على صَدْرِهِ » فأتى على معظمها[2] .

و « المشاكلة فى القرآن » عند عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) تجرى على طريقة العرب فى الخطاب ، وهى أن يُسْتَعْمَلَ للثانى اللَّفْظُ الأول ، توسُّعاً وتجوزاً طالما أن الثانى يشاكل الأول — يقول فى الآية الكريمة « وقد مكر الذين من قبلهم ، فلله المكر جميعا » [الرعد — ٤٢] ، كيف يصح المكر على الله إذا بيَّن أنه من صفات الذَّمّ ؟ وجوابنا إن المراد إنزال العقاب بهم ، وما شاكله من حيث لا يعرفون ، كما ذكرنا فى سورة البقرة ، فى قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا » [البقرة — ٩] وما شاكله »[3] .

والمواطن عديدة ، تلك التى يتكلم فيها القاضى عبد الجبار عن « المشاكلة » فى كتابيه « التنزيه »[4] و « التشابه »[5] ، ويكفى أن نقف عند العدل الإلهى فى آية « إنَّهُم يَكيدُون كَيْداً ، وَأَكِيدُ كَيْداً ، فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ ، أَمْهِلْهُم رُوَيْداً » [الطارق ، ١٥—١٧] من خلال مُشَاكَلَةِ « وأكيد » لـ « يكيدون » ، يقول عبد الجبار « وقد بيَّنا من قبل أن الواجب فى ذلك أن يُحْمَلَ على أنه تعالى يُضِرُّ بهم ، وينفع المؤمنين والنبى صلوات الله عليه ، من حيث لا يشعرون بأن يَنْصُرَه على الكفار بأنواع لطائفه ، ويظفره بهم ، ثم يعاقبهم فى الآخرة »[6] .

والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) يرى فى « المشاكلة » أن من شأن العرب أن تسمى الشيء باسم ما يقاربه ، ويصاحبه ، ويشتد اختصاصه وتعلقه به ، إذا

---

(١) الصناعتين — ٤٠٠

(٢) إعجاز القرآن — ٩٣ ، تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف .

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن — ٢٠٤ ط بيروت — دار النهضة الحديثة .

(٤) نفسه ، انظر الصفحات ٢١١ و ٢٢٤ و ٣٢٠ و ٣٣٠ و ٣٧٥ و ٣٨٩ .

(٥) متشابه القرآن — انظر الصفحات ١٤٦ و ٣٤٠ و ٣٥٧ من الجزء الأول و ٥٤١ و ٦٥٣ من الجزء الثانى ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور — ط دار التراث بالقاهرة .

(٦) انظر ص ٦٨٦ من المتشابه الجزء الثانى .

انكشف المعنى وأمن الإبهام »[1] .

ويأتى ابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) فيطلق على « المشاكلة » « مصطلح التصدير » ويعرّفه : برد أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ... ويكسب البيت الذى يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقا وديباجة ، ويزيده مائية وطلاوة »[2] .

ويوضح الجرجانى ـــ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) كيف أن « المشاكلة » « ليست الإبقاء على إيقاع معين فحسب ، بل وإضافة معنى آخر ـــ يأتى بمجىء الكلمة نفسها فى موقع آخر ، يقول «... وهكذا يكون الأمر أبداً ، كلما زدت شيئاً ، وجدت المعنى قد صار غير الذى كان ، ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد ، إذا أتى به مطلقا فى الشرط ، ومُعَدًّى إلى شىء فى الجزاء ، كقوله تعالى : « إن أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لِأَنْفُسِكُم » [الإسراء ـــ ٧] ، وقوله عز وجل « وإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبَّارين » [الشعراء ـــ ١٣٠] ، مع العلم بأن الشرط ينبغى أن يكون غير الجزاء ، من حيث كان الشرط سببا والجزاء مُسَبَّباً ، وأنه مُحَال أن يكون الشىء سببا لنفسه ، فلولا أن المعنى فى « أحسنتم » الثانية ، غير المعنى فى الأولى ، وأنها فى حكم فعل ثان ، لما ساغ ذلك ...، ويجرى ذلك فى الفعلين قد عُدِّيَا جميعا ، إلّا أن الثانية منهماقد تَعَدَّى إلى شىء زائد ما تَعَدَّى إليه الأولى ، ومثاله قوله : « إن أتاك زيد أتاك لحاجة » وهو أصل كبير[3] .

ومن الجَلِىِّ هنا ، أن الجرجانى لا يقصد قدرة الكلمة وهى فى الموقع الثانى على إضافة معنى إلى مَوقعها الأول ـــ وهى مفردة ـــ انما تأتى إليها الاضافة بعامل خارج عنها « وإذا بطشتم بطشتم (جَبَّارين) » ، و « وإن أحسنتم أحسنتم (إلى

(١) وذلك فى أثناء حديثه عن قوله تعالى « الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » [البقرة ـــ ١٥] وقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » [الشورى ـــ ٤٠] ، وقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [البقرة ـــ ١٩٤] وقوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » [النحل ـــ ١٢٦] ـــ أمالى المرتضى، القسم الثانى ١٤٧ ، والقسم الأول ٣٢٧ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) العمدة ـــ ٣١٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل .

(٣) الدلائل ـــ ٥٣٤ تحقيق محمود شاكر .

أنفسكم) » ، وهذا غير قوله تعالى « أَنْزَلَهُ بِعِلْمِه والملائكةُ يَشْهَدُونَ وكَفَى بالله شَهِيداً » [النساء ـــ ١٦٦] ، وقوله تعالى : « وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ » [آل عمران ـــ ٨] ، وقوله تعالى « وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » [الشورى ـــ ٤٠] ، ففى أمثلة الجرجانى لا مفر من استعانة الكلمة بغيرها لِيَبْرُزَ السِّرُّ فى اختيارها دون غيرها ، بينما نرى أن المشاكلة فى الأمثلة الأخرى ، قد استغنت الكلمة فيها عن غيرها ، وأضفت على السياق من الوضاءة والرونق ما تعجز كلمة أخرى عن القيام به .

وعذر الجرجانى فى عدم تَوَسُّعِهِ فى الأمثلة ، أنه كان بصدد الرد على من توهم أن « المفعول » زيادة فى الفائدة ، ومن الممكن الاستغناء عنه وهو ما لا يعقل ، اذ لا يتصور فى « زيد » من قولك « ضربت زيداً » أن يكون « زيدا » شيئاً برأسه ، حتى تكون بتعديتك « ضربت » إليه قد ضممت فائدة إلى أخرى ... ثم انتقل إلى الحديث عن أمثلة المشاكله المتعدية إلى مفعول[1] .

ولا يضيف الجُشَمِيُّ (ت ٤٩٤ هـ) جديداً عما نقله من القاضى عبد الجبار[2] .

ويسمى الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) « المشاكلة » باسمها ـــ حين يتعرض لآية « إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها » [البقرة ـــ ٢٦] ، يقول : يجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة ، فقالوا : « أما يستحى رَبُّ محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ، فجاءت على سبيل المقابلة ، وإطلاق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع ، وطراز عجيب ... هو مراعاة المشاكلة »[3] . وفى آية « فَأَعْرَضُوا ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ العَرِمِ ، وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ » [سبأ ١٦] ، يقول : « تسمية البدل جنتين ، لأجل المشاكلة ، وفيه ضرب من

(١) نفسه ـــ ٥٣٣ .

(٢) ورقة ١٣ من « تهذيب التفسير » مخطوط رقم ٣٩٩٠٠ ، عن كتاب « بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار ـــ ص ٦٣٥ للدكتور عبد الفتاح لاشين ـــ ط دار الفكر العربى .

(٣) الكشاف ـــ ٢٦٤/١ .

التهكم »[1] ويتوقف عند مشاكلة « فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِين » [الشعراء ـــ ٤٦] لـ « فَأَلْقَى مُوسَى » فى قوله تعالى « فَأَلْقَى مُوسى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ » [الشعراء ـــ ٤٥] يقول « ... وإنما عُبِّرَ عن الخرور بالإلقاء لأنه ذُكر مع الإلقاءات[2] فَسُلِكَ به طريق المشاكلة[3] ، ونلحظ عدم اهتمام الزمخشرى بالمصطلح بقدر اهتمامه بمضمونه ونجاح تطبيقه[4] .

ويُسَمِّي أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) «المشاكلة » بـ « الترديد » و « التصدير » يقول « اعلم أن الترديد هو : رد أعجاز البيوت على صدورها » ثم يذكر بعضا مما ذكر العسكرى من شواهد[5] .

ويعرف السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) المشاكلة بأنها « أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته »[6] .

أما ابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) ، فيردد كلام ابن المعتز فى باب « رد الأعجاز على الصدور » قائلا « ويسمى ـــ التصدير ـــ ويذكر أن بين التصدير والتسهيم فرقا ، وهو أن التصدير ضرب معنوى ، والتسهيم ضرب لفظى »[7] .

ويوضح القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) تعريف السكاكى ، بأن يضيف إليه كلمتى « تحقيقا أو تقديرا » ثم يعلق على الأمثلة التى ذكرها السكاكى ، ولم يشرحها ،

(١) نفسه ـــ ٤٤٧/٢ ، والعرم : المطر الشديد ، أكل : الثمر ، الخمط : شجر ذو شوك ، الأثل : شجر عظيم لا ثمر له ، والأثل والسِّدر معطوفان على الأكل .

(٢) يقصد قوله تعالى « قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ ، فَأَلْقَوا حِبَالَهم وَعِصِيَّهُمْ وقالوا بعزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُون ، فَأَلْقَى موسى عصَاه فَإِذَا هي تَلْقَفُ مَايَأْفِكُون ، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجدين » [الشعراء ٤٣ــ٤٦] .

(٣) الكشاف ـــ ١١٣/٣ .

(٤) وانظر قوله فى آية « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ، وَنَحْنُ له عَابِدُون » [البقرة ١٣٨] والكشاف ٣١٦/١ ، و ٤ آية « إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وأن تَعْفُوأقربُ للتقوى ... » [البقرة ٢٣٧] والكشاف ـــ ٣٧٥/١ .

(٥) البديع ـــ ٥١ تحقيق د. بدوى ود. عبد المجيد ط الحلبى ١٩٦٠م .

(٦) المفتاح ـــ ١٧٩ ط التقدم العلمية بمصر ١٣٤٨ هـ .

(٧) بديع القرآن ـــ ٤٦ تحقيق د. حنفى شرف ، ط دار النهضة مصر ـــ الثانية ، وانظر « التسهيم » ص ١٠٠ .

يقول القزوينى : فأما الأول « التحقيقى » فكقوله[1] :

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ∴ قلت أطْبُخُوا لِي جُبَّةً وقَمِيصاً

... وأما الثانى « التقديرى » ، فكقوله تعالى « صِبْغَةَ اللهِ » [البقرة ـــ ١٣٨] وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله « آمنا بالله » [البقرة ـــ ١٣٦][2] ، والمعنى : تطهير الله ، لأن الإيمان يطهّر النفوس ، والأصل فيه ، أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر ، يسمونه « المعمودية » ، ويقولون : هو تطهير لهم ، فأُمِرَ المسلمون أن يقولوا لهم : « قولوا آمنا بالله ، وصَبَغَنَا الله بالإيمان صِبْغَةً لا مثل صبغتكم ، وطهرنا الله تطهيراً لا مثل تطهيركم ، أو يقول المسلمون : صَبَغَنَا الله بالإيمان صبغة ، ولم يصبغ صبغتكم ، وجيء بلفظ « الصبغة » للمشاكلة ، وإن لم يكن قد تقدم لفظ « الصبغ » ، لأن قرينة الحال ـــ التى هى سبب النزول ، من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر ـــ دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس فلان ، تريد رجلاً يصطنع الكرام .

ويجمع ابن الأثير ـــ نجم الدين أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧ هـ) ، شتيت المصطلحات فى صعيد واحد ، هو « المشاكلة » ويقول « ...، وهذه الأبواب (أى المصطلحات) مادتها واحدة ، لكن فَرَّقَ أهل البديع بينها بفروق ، وقالوا : الترديد ، ما تردد لفظه فى البيت سواء كان أولًا أو آخراً ، والتصدير ، ما كان أحد اللفظين فى صدر البيت والآخر فى عجزه ، وهو أيضا المسمى « رد الأعجاز إلى الصدور » ، أما التعطف ، فهو أن تكون إحدى الكلمتين فى المصراع الأول ، والأخرى فى المصراع الثانى ، وكذلك المشاكلة ، وحاصل الأمر ، أن هذه الأنواعَ كُلّهاَ مادة واحدة ، وشواهدها متقاربة ، وهى باب واحد »[3] .

(١) يقصد به : أبا الرقممق أحمد بن محمد الأنطاكى ت ٣٩٩ هـ .

(٢) الآيات كاملة « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نُفَرِّقُ بين أحَدٍ منهم ، ونَحْنُ له مُسْلِمُون/فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تَوَلَّوْا فإنما هم فى شقاق فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وهو السميع العليم/صِبْغَةَ اللّه ومن أحْسَنُ مِنَ اللّه صبغةً ونَحْنُ له عَابِدُون » [البقرة ١٣٦ـــ١٣٨] .

(٣) جوهر الكنز ـــ ٢٦٠ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

٢ ـــ التعقيب :

١ ـــ نخلص من كل ما سبق ، أن **المشاكلة** ، كلمة تتردد فى العبارة مرتين ، مع إمكان استبدالها فى المرة الثانية بغيرها التى تؤدى معناها نفسه ، لكن بقيت هذه ليكتمل الإيقاع الموسيقى الناتج عن الترديد فضلا عن أن معناها مازال قادراً على العطاء فى إطار العبارة التى وردت فيها .

٢ ـــ وأن المشاكلة نوعان ، « المشاكلة الإيقاعية » التى نحن بصددها الآن ، و « المشاكلة الفنية » التى أشار إليها ابن المقفع والمبرد وابن طباطبا وابن الأثير .

٣ ـــ لم يلتفت البلاغيون إلى المشاكلة التى تأتى من إطلاق الجواب على السؤال ، وبالتالى تاهت فى الأضابير ، وبالرغم من شهادة الزمخشرى بأنه فن من كلامهم بديع ، وطراز عجيب . فحين يسأل البخيل جاره قائلًا : **أأكرمت ضيفك ؟** ويجيب المسئول مُعَرِّضاً له ببخله : إننى **أكرم** الناس جميعا . يكون هنا قد شاكل بين كرم الضيف ، والكرم فى المعاملة فى كل وقت ولكل إنسان .

٤ ـــ أقول : والقصد من التكرار والإعادة ، استجلاب النغمة نفسها ، واستبقاء أثرها فى الأذن ، لأن المتكلم أحسَّ أن طاقات الكلمة وشحناتها لم تنفد بعد ، فكررها .

انظر إلى قول هذا الشاعر :

قالوا اتَّخِذْ **دُهْناً** لِقَلْبِكَ يشْفِه ∴ قلت : **أَدْهُنُوه** بِخَدِّهاَ الْمُتَوَرِّدِ

بدلًا من قوله « مَتِّعُوه » بخدها المتورد ، قال « ادهنوه » للمشاكلة ، أى للابقاء على نغمة وشحنة لفظ « الدهن والدهان » ، واللفظ فى مكانه الأول حقيقى ، ذاك الدواء المتعارف عليه ـــ آنذاك ـــ أنه يُشفى القلوب الوجيعة ، أما اللفظ الثانى فمجازى ، والقصد منه استعارة الملاصقة ، واستجلاب الدفء من الخد المتورد ، استعارة تصريحية .

وانظر إلى قوله تعالى : « أنزله بعلمه ، والملائكة يَشْهَدُون ، وكفى بالله شهيداً [النساء ـــ ١٦٦] ، فشهادة الملائكة حضورهم الواقعة ، وشهادة الله تعالى ثوابه وعقابه ، شهادتهم رؤية ، وشهادته تعالى ، إحقاق للحق ، وقضاء لا مَرَدَّ له ، يقول الزمخشرى : « شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات ، كما تثبت الدعاوى بالبينات ، وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق »[1] ، فالشهادة الأولى من العبد ، والشهادة الأخرى من الرب وشتان بين الشهادتين .

٥ ـــ نلاحظ فى « المشاكلة الإيقاعية » ، أن المسافة الفاصلة ، قد لا توجد مثل قوله تعالى « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ... » ، وقد تكون فاصلة قصيرة ، كلمة واحدة كقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « إنّ اللّه لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » أى الله تعالى لا يقطع ثوابه حتى تملُّوا مسألته وعبادته ، ولن يكون بإذن الله . أو أكثر ، كقول كثيّر عزة :

أصَابَ الرَّدَى مَنْ كانَ يَبْغِي بِهَا الرَّدَى ∴ وَجُنَّ اللّواتى قُلْن عَزَّةُ جُنَّتِ

وقد تكون فاصلة طويلة أربع كلمات فأكثر . كقول الشاعر :

أَصُدُّ بِأَيْدِى العيسِ عن قَصْدِ دَارِهَا وقَلْبِــى إليها بالمودَّةِ قَاصِدُ

٦ ـــ هناك فرق بين « المشاكلة » و « الجناس التام » ، المشاكلة : إعادة كلمة تقوم مع جاراتها بإيجاد معنى طريف متجاوب مع المعنى الأول الذى فجّرته الكلمة نفسها فى العبارة السابقة ، ولنأخذ مثلاً قول البحترى :

عَلَى أنّها ما عِنْدَهَا لِمُوَاصِلٍ ∴ وَصَالٌ ولا عَنْها لمُصْطَبِرٍ صَبْرُ
إذَا مَانَهَى النَّاهِى فَلَجَّ بِى الهَوَى ∴ أصَاخَتْ إلى الوَاشِى فَلَجَّ بِى الهَجْرُ

والمشاكلة هنا وقعت بكلمة « لَجَّ » التى تكررت مرتين ، وهى بمعنى واحد ، أى اشتد واضطرم وعَنُفَ ، ولكنها فى تركيبها الأول ، كانت مع « الهوى » واشتداد الهوى : شوق ورغبة وأمل وبريق ، ثم ، جاءت مصاحبة « الهجر » ، واشتداد الهجر : كمد وألم وخفوت وحريق ، وهنا جاءت المشاكلة ، لتستفرغ طاقة لفظ « اللَّجّ » ، يقول الزمخشرى :

(١) الزمخشرى ـــ الكشاف ٥٨٣/١ .

الْتَجَّ البحر : عَظُمَت لُجَّتُهُ وتَمَوَّجَ ، ومنه البحر اللُّجِّىُّ[1] .

وانظر إلى هذا الشاعر ، الذى يشاكل بلفظ « قَصْدُ » يقول :

أصُدُّ بِأَيْدِى العِيسَ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا ∴ وَقَلْبِى إِلَيْهَا بالمَوَدَّةِ قَاصِدُ

هنا شاعر أحب وإبل شاركته فى الحب ، شاركته فى الإحساس بعذاباته ، وأشواقه ، شاركته فيما يموج به وجدانه ، وكأن ما به من ألم وأمل قد انتقل إليها — فهى تعرف ما به ، وماذا يريد ؟ وتحين الرحلة ليسافر الجميع هو والعيس ، أو هو بالعيس ، ولكنه يتمنى أن يتريث فقد يتزود بما يقتات به قليلا ، ولو نظرة ، فينطلق هو إلى الأمام وتتجه هى إلى الخلف ، فيصدها عن دار صاحبته وكم كان يتمنى لو تركها تعود . فهو للعيس صادد ، وعن منع قلبه عاجز ، وهكذا يتلاعب الشاعر بكلمة واحدة ، يضعها فى إطار حقيقى ثم يعود فيضعها فى آخر مجازى . وقد يكون الاثنان مجازيين ، ولكن لكل منهما وجهة مخالفة . وهما فى اختلافهما يهدفان إلى الالتقاء على توضيح المعنى وإبراز الجمال بالصورة النابضة التى يعيشها الفنان .

والأمر يختلف بالنسبة للجناس ، فالجناس تعامل مع الكلمة مرة بمعنى من معانيها ومرة بمعنى آخر ، بينما المشاكلة استعمال الكلمة بمعناها نفسه مرة ثانية وكان من الممكن استبدالها بكلمة أخرى تؤدى نفس المعنى . وهذا هو الأمر الفارق بينهما ، ففى قول الشاعر :

سَرِيعٌ إلى ابنِ العَمِّ تَشْتِمُ عِرْضَهُ ∴ وليس إلى داعى النَّدَى بِسَرِيعِ

ليس بين « سريع » الأولى و « سريع » الأخرى جناس تام ، لأن المعنى لم يتغير ، ولأنه من الممكن أن يضع الشاعر كلمة « بمجيب » بدلًا من « بسريع » ، ولا يتغير الغرض .

(٧) والأمر الفارق الآخر — أن المشاكلة تعتمد أساساً على التركيب الذى يتيح للكلمة نفسها فى سياقها الثانى أن تدفع بكل طاقاتها ، أما فى الجناس

---

(١) أساس البلاغة — ٥٥٩ ط بيروت

أولا : الطباق

١ ــ مصطلح الطباق
٢ ــ مصطلح المقابلة
٣ ــ التعقيب

١ — مصطلح الطباق :

ذكر ابن المعتز عن الخليل (ت ١٧٥ هـ) أنه قال : « يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد » واستطرد ابن المعتز « وكذلك قال أبو سعيد — يقصد الأصمعي (ت٢١٦ هـ) — فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا فى ضيق الضمان[١] ، قد طابق بين السعة والضيق فى الخطاب »[٢] ويمدنا ابن رشيق بمزيد من رأى الأصمعى فى « الطباق » قائلًا : وذكر الأصمعى المطابقة فى الشعر ، فقال : أصلها وضع الرِّجْل فى موضع اليد فى مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنابغة بنى جعدة :

وَخَيْـلٍ يُطَابِقْـنَ بالدَّارِعِيـنَ ∴ طِبَاقَ الكِلَابِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا[٣]

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير فى ذلك :

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا ∴ مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد ، عن أبى حاتم ، عنه[٤] .

ويجمع ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحت باب « المقلوب » ، ما يندرج تحت موضوع « الأضداد » فى علم اللغة ، بعد أن يعرّفه بأنه « يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل ، كقولهم للديغ : سليم ، تطيراً من السقم وتفاؤلا بالسلامة ...، وللمبالغة فى الوصف كقولهم للشمس : جَوْنة لشدة ضوئها ...، وللاستهزاء : كقولهم للحبشى : أبو البيضاء ... »[٥] .

أما ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فيسمى الطباق « مجاورة الأضداد » ويعرفه بأنه « ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده ، كقوله تبارك وتعالى « لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيا » [طه ٧٤ + الأعلى ١٣][٦] .

(١) أى أتيناك لتخفف علينا الأمر ، وتبحث له عن مخرج ، فأدخلتنا فى الالتزام والتحرج .

(٢) البديع — ٣٦ .

(٣) الدارع : الفارس المرتدى قميصا من حديد ، والهراس : شوك كأنه حسك ، ويقول : إنها لا تريد الحرب ، فهى تتشبث فى مشيها كما تمشى الكلاب فى الهراس ، متقية له .

(٤) العمدة — ٢/٦ — والليث : خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ، وعَثّر : موضع توجد فيه الأسد .

(٥) تأويل مشكل القرآن — ١٨٥ ، تحقيق السيد أحمد صقر ط ٣ سنة ١٩٧٣ م .

(٦) قواعد الشعر — لثعلب ص ٥٣ .

ويفيض ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) فى الشواهد على ما أسماه بـ « المطابقة » ، بعد أن يأتى على تعريف الخليل الذى وافقه فيه الأصمعى ، وقد عرض ابن المعتز لعديد من ألوان الطباق ، وكان بها مصدراً لمن كَتَبَ بعده فى البلاغة عامة وفى « الطباق » بخاصة ، بالرغم من أنه لم يضع مصطلحات ولا قسم تقسيمات .

فهناك الطباق بين مفرد ومفرد ، كقوله تعالى « ولكم فى القِصَاصِ حياة ياأُولِى الألْبَاب ، لعلكم تتقون » [البقرة ـــ ١٧٩] ـــ وقد تعددت المفردات المتضادة ، كقول عمر بن الخطاب « الغِنَى فى الغربة وطن ، والفقر فى الوطن غُربة » ، ويعرض لنا ابن المعتز طباقا بين الفعل ورد الفعل ، كأنه شرط وجزاء ، ويذكر قول أُدَد بن مالك بن كهلان فى وصيته لولده « لا تكونوا كالجِرَاءِ ، أكل ما وجد ، وأكله من وجده »[1] .

وقد يكون الطباق بين تشبيهين ، كقول عبد الله بن الزبير الأسدى :

رمى الحَدَثَانُ نسوة آل حرب ∴ بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُوداً[2]

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بيضا ∴ وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البيض سودا

وقد يكون الطباق بين تشبيه وتورية :

كقول أبى تمام :

المُرْضِيَاتُكَ ما أرغمتَ آنُفَهَا ∴ والهادِيَاتُكَ وَهْى الشُّرَّدُ الضُّلَّلُ

إذا تضلَّلتُ من أرضٍ فُصِلْتُ بها ∴ كانت هى العزَّ إلّا أنها ذُلُلُ

وقد يكون الطباق بالكناية :

كقول زهير :

ليث بِعَثَّر يصطاد الرِّجَالَ إذاَ ∴ ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عن أقْرَانِه صَدَقاَ

أو يكون طباق بين الإيجاب والسلب :

(١) الجراء : ج جِرْيَة : وهى قانصة الطير .
(٢) سمد : بهت وتحيَّر .

كقول عمر « إذا أنا لم أعلم ما لم أرَ ، فلا علمت ما رأيت »..

إلى غيرها من الصور .

ولا أريد هنا أن أنظر إلى ابن المعتز من خلال مدرسة السكاكى ، ولا أن أطبق على ابن المعتز منهج « مصطلح الشاهد » ، أى المصطلح الذى لا دليل عليه إلّا شاهد واحد ، أو « شاهد المصطلح » الشاهد الذى يؤلف لينطبق على المصطلح ، إنما قصدت أن أقول ، إن الحال التى وصلت إليها مدرسة السكاكى لم تهبط عليهم من السماء . بل كانت ذات جذور أعرق فى الوجود من السكاكى وأقرانه ، وإذا كانت الروح العربية ، والذوق السليم غطى ما بها من عوار ، فعندما وصلت إلى السكاكى لم تجد روحا عربية ، ولا ذوقا سليما ، فتحولت إلى عوار .

ويخرج علينا قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بفكرة التكافؤ ، وهى « أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ، أو يتكلم فيه بمعنىً ما ، أىَّ معنىً كان ، فيأتى بمعنيين متكافئين » ، ولشرح ذلك : أريد بقولى « متكافئين » فى هذا الموضع : متقاومان ، إما من جهة المضادة ، أو السلب والإيجاب ، أو غيرهما من أقسام التقابل ، مثل قول أبى الشَّغْب العبسى :

حُلْوُ الشَّمائل ، وهو مُرٌّ بَاسِلٌ ∴ يَحْمى الذِّمَارَ صَبِيحَةَ الإِرْهَاق(٢)

ويقول ابن رشيق « لم يُسَمِّ الطباق تكافؤاً أحد غيره ، وغير النحاس ، من جميع مَنْ علمته »(٣) .

ويستهل الجرجانى ــ على بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) حديثه عن الطباق ، بمقدمة يقول فيها « وأما المطابقة فلها شعب خفية ، وفيها مكامن تغمض ، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلّا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف ... الخ ، وقسمها إلى قسمين ، الأول ما جرى مجرى قول دِعْبِل :

(١) الشمائل والشمال : الطبع ، والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) نقد الشعر ١٦٣ .

(٣) العمدة ــ ٢/٥

ولا جديد عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ)[١] ولا عند السكاكى[٢] ولا عند ابن الأثير[٣] .

و « المطابقة » عند حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) ، تقع بين المتضادين ، وكذا المتخالفين ، ويلتفت إلى العامل النفسى فى موضع « المطابقة » لأن اللفظة تفاجئ القارئ بالضد من المعنى ، بعد أن استراح إلى المعنى الأول ، ويقول « المطابقة هى أن يوضع أحد المعنيين المتضادين ، أو المتخالفين ، من الآخر وضعا متلائما ...، وهى تنقسم إلى محضة وغير محضة ، فالمحضة : مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى ، كقول جرير :

وَبَاسِطِ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِه ∴ وقَابِضِ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشَمَالِيَا[٤]

فقوله : « باسط وقابض ، وخير وشر من المطابقات المحضة » ، وثَمَّ مطابقةٌ أخرى غير محضة وهى « تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منه منزلة الضد ، وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه ... » ، فتنزل « التبسُّم » منزلة « الضحك » ، مطابقة « للبكاء » ـــ أما المخالفة فهى « مقاربة الشيء بما يقرب من مضاده ، كقول عمر ابن كلثوم .

بِأنَّا نورد الرايات بيضا ∴ ونُصدِرُهُنَّ حمراً قد رَوِينا[٥]

ويقف حازم القرطاجنى عند « مفهوم المخالفة » فى الطباق ، فليس من الضرورى أن يكون التضاد محضا ، ففى الانحراف عن النسب السائدة بين الألفاظ ، وعن العلاقات العرفية بينها ، يقع الطباق ، يقول « ويجرى مجرى المطابقة ، تخالُفُ وضع الألفاظ لتخالف وضع المعانى ، ولنسب بعضها من بعض ، يقع ذلك بين جزئين من أجزاء الكلام ـــ نسبتان متخالفتان ـــ فيجرى

(١) البديع فى نقد الشعر ـــ ٣٦ .

(٢) المفتاح ـــ ١٧٩ .

(٣) المثل السائر ـــ ٢٧٩/٢ فى « النوع الرابع والعشرين » ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٤) البيت من قصيدة واردة فى النقائض ، نظمها جرير يخاطب بها الفرزدق ـــ من هامش ص ٤٨ « منهاج البلغاء » .

(٥) البيت من المعلقة . هامش منهاج البلغاء .

ذلك مجرى المطابقة فى الألفاظ المفردة ، كقول بعضهم .

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحْتَه ∴ فَإِذَا أَنْفَقْتَـه فالمَالُ لَكْ[1]

وبالرغم من أن القرطاجنى يعتبر امتداداً لقدامة وابن سنان الخفاجى فى تبنى معظم آرائهم ، إلّا أن له شخصيته المتفردة والتى لم تنل حظها من الفهم والتطبيق[2] .

٢ ـــ مصطلح المقابلة :

قالوا : الطباق أخص من المقابلة ، الطباق هو التضاد بين معنيين ، أما المقابلة فهى « أن يأتى المتكلم بعدة معانٍ ثم يُرد فيها بما يخالفها أو يوافقها ، أو يزاوج بين المخالفة والموافقة ، والمخالفة هنا بمعنى التضاد ، وليس التغير .

يقول قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) عن صحة المقابلات « أن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض ، أو المخالفة ، فيأتى فى الموافقة بما يوافق ، وفى المخالفة على الصحة ، أو يشرط شروطا ، ويعدد أحوالًا فى أحد المعنيين ، فيجب أن يأتى فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالفه بأضداد ذلك ، قال بعضهم :

فَوَا عَجَباً ، كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ ∴ وَفِيٌّ ، ومطوى على الغِلِّ غَادِرٌ

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه ، بما يضاده على الحقيقة ، ممن عاتبه ، حيث قال بإزاء « ناصح » « مطوى على الغل » وبإزاء « وفىّ » « غادر » ... الخ ، وللطرماح بن حكيم :

(١) روى الصدر بغير الوجه الذى عليه فى هذا النص ، فجاء « إذا أمسكته » بدل « إذا أصلحته » ، وهو أصوب لتحقيق المطابقة فيما يظهر ـــ انظر العمدة ٢ /٨ الطبعة الرابعة تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) منهاج البلغاء ـــ ٤٨ وما بعدها ـــ يقول الدكتور إحسان عباس « ... كذلك تجاوز حازم فى نظريته الشعرية مشكلة « النظم » التى أطال الجرجانى الوقوف عندها ، فتحدث حازم عن النظم بمعناه العام ، ولم يُقْصِره على صورة السياق التأليفى ، إلّا حين تخطاه إلى مراحل أخرى ، فهو قد أقر أن النظم يتناول سياق الألفاظ ، ولكنه أوجد إلى جانبه « الأسلوب » ليتناول سياق المعنى ، وفى توفر النظم والأسلوب ، لدى حازم ، يتم تخطّيه لنظرية الجرجانى » تاريخ النقد الأدبى عند العرب ـــ ص ٥٧٠ ط بيروت ـــ الرابعة ١٩٨٣ م .

أَسَرْنَاهُـم وَأَنْعَمْنَـا عَلَيْهِـم ∴ وَأَسْقَيْنـاَ دِمَاءَهُـم التُّرَابَــا

فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ ∴ وَلَا أَدَّوْا لِحُسْنِ يَدٍ ثَوَابَا

فجعل بإزاء أن « أسقوا دماءهم الترابَ وقاتلوهم » « أن يصبروا » وبإزاء « أنعموا عليهم » « أن يثيبوا »[1] .

وبمثل هذا عرف العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) المقابلة ، ويقول فى فساد المقابلة : أن تذكر معنى يقتضى الحال ذكر ما يوافقه أو يخالفه ، فَيُؤْتى بما لا يوافق ولا يخالف ، مثل أن يقال « فلان شديد البأس ، نقى الثغر ، أو جواد الكف ، أبيض الثوب »[2] .

وهم قد قصدوا بالمقابلة بين الجملتين ، إقامة التجانس ، واطراد الترابط ، وتواصل العلاقات بين جنبات السياق ، بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقات ، ضدية أو مطردة .

فابن رشيق يذكر أن مما عابه الجرجانى على ابن المعتز ، قوله :

بَيَاضٌ فى جوانبه احمرارٌ ∴ كما احمرت من الخجل الخدودٌ

لأن الخدود متوسطة ، وليست جوانب ، فهذا من سوء المقابلة ...، ومن المأخوذ المعيب عن ابن رشيق ، قول الكميت يخاطب قُضَاعة .

رَأَيْتُكم مِنْ مَالِكٍ وادِّعائِه ∴ كَرَائِمَةِ الأَوْلَاد مِنْ عَدَمِ النَّسْلِ

فوقع تشبيه على الإدعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة فى الشّبهين ، لأن هؤلاء ـــ فيما زعم ـــ يدَّعُون أبا ، والرائمة تدعى ولداً ، وهما ضدان ...، ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً ، كما شرطوا ، إلّا فى الوزن والازدواج فقط ، فيسمى حينئذٍ « موازنة » .

نَصِيبُكَ فى حَيَاتِك من حَبِيبِ ∴ نَصِيبُكَ فى مَنَامِكَ من خيال

---

(١) نقد الشعر ـــ ١٥٢ .

(٢) الصناعتين ـــ ٣٤٦ .

فوازن قوله « فى حياتك » بقوله « فى منامك » ، وليس بضده ، ولا مُوافِقِه ، وكذلك صنع فى الموازنة بين « حبيب » و « خيال » ، وإن اختلف حرف الميم فيهما ، فإن تقطيعه فى العروض واحد »[1] .

وبمثل هذا التصور ، فَهِمَ الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) المقابلة ،

فقد تكون بين لفظتين[2] وقد تكون المقابلة بمعنى الموافقة فى نظم الجمل[3] ، فالمقابلة هى المناسبة ، بالطباق أو بغيره ، فهى أعم منه وهو فرع منها .

٣ ـــ التعقيب :

نلحظ مما سبق :

١ ـــ أن التفسير اللغوى للطباق قد سيطر على فَهْم البلاغيين ، فكانوا يتعاملون مع الألفاظ ولا يبعدون عن مداها ، « يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل » [الحج ـــ ٦١] ، طباق لأن فيه ليلا ونهاراً ، ونهاراً وليلا ، وليس بعد ذلك شىء .

٢ ـــ لم يَحْظَ الطباق الفكرى أو الفنى بعناية البلاغيين ، لذا لم ينل طباق أبى تمام ولا المتنبى ولا أبى العلاء المعرى حَظَّهما من الدرس ، بل الأدعى إلى الألم ، أنهم هاجموا أبا تمام ، فقال ابن الأعرابى « إذا كان ما يقوله شعراً فما قالته العرب باطل »[4] والخصومة حول المتنبى غير بعيدة ، والإعراض عن صور أبى العلاء الفلسفية معروفة .

٣ ـــ لم يلتفت الأقدمون إلى أن التضاد نوع من « التوازن » الضرورى لاستمرار الكون والكائنات ، المادى منها والمعنوى ، البطولة هى القدرة على إبقاء التوازن بين مركزى الجاذبية ، انظر إلى امرىء القيس حين جعل حصانه

---

(١) العمدة ـــ ٢/١٥ .

(٢) انظر شرحه لآية « وإذا ذُكِرَ الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » [الزمر ـــ ٤٥] ـــ الكشاف ٣/٤٠١ .

(٣) انظر شرحه لآية « الله الذى جعل لكم اللَّيْلَ لتسكنوا فيه ، والنهارَ مبصراً » [غافر ـــ ٦١] ـــ الكشاف ٣/٤٣٤ .

(٤) المرزبانى ـــ الموشح ـــ ٤٦٥ تحقيق محمد على البجاوى ط دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .

يأتى بالأضداء ، ويظل محتفظاً بطاقته لم تستهلك فهو :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ∴ كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ

وهذا العربى الذى :

يَسُرُّكَ مَظْلُوماً ، ويُرْضِيكَ ظَالِماً ∴ وكُلّ الذى حَمَّلْتَهُ فَهْوَ حَامِلُه

هو الصورة المثلى للفتوة والبطولة فى الجاهلية ، وقد يُغَلِّبُ الشاعر جانباً على جانب ، ولكنه غير غافل عن هذا التوازن ، الذى يحققه له « الطباق » أدق تحقيق .

٤ ــ لم يلتفت الأقدمون إلى دور الطباق فى السياق ، ولا إلى أثر السياق فى الطباق ، لأن شاغلهم الأكبر كان اصطياد الطباق اللغوى الذى أوضحه لهم الخليل والأصمعى .

٥ ــ أعتقد أنه لا داعى لكثرة المصطلحات ، ويكفينا من « الطباق » المصطلح فقط .

أما « المقابلة » و « طباق التدبيج » و « إيهام التضاد » ، فمن الممكن أن تندرج كلها تحت مصطلح « الطباق » ، لأنها مرحلة متقدمة من مراحل التذوق ، محاولة إدراك حدود العمل الفنى الذى نحلله بإدراج مصطلح يشرح أبعاده ، أما طبيعته فى ذاته ، فأمر أوسع من إطار المصطلحات .

ويكون **الطباق** : هو التضاد القائم بين معنيين ، إما تضاداً حقيقياً أو مجازياً ، أحسّ به الفنان ، بغض النظر عن أنه طباق بين مفرد ومفرد ، أو بين هيئة وهيئة ... الخ ، على ألّا ننزع الطباق من السياق ، وعلى أن نفرق بين نوعى الطباق اللذين عرَّف بهما الدكتور شوقى ضيف[١] « طباق الذاكرة » الأسود يستدعى الأبيض ، "والمرأة" يستدعى الرجل ...، الخ وبين ذاك الطباق الذى استقر فى مكانه لجودة الاختيار ، ووفرة العطاء ، ونضارة التركيب ، وحلاوة وقعه فى النفوس .

---

(١) د. شوقى ضيف ــ الفن ومذاهبه ــ ١٣٦ الطبعة الأولى ١٩٤٣ م .

٦ ــ الطباق من الفنون التى تتعامل مع المعنى ونقيضه ، ولا يحرص على الإيقاع إلّا إذا جاء عفواً بلا تعارض مع الوفاء بالمعنى ، وبالرغم من ذلك ، جاءت منه صورة نذكر بعضها ، انظر إلى قوله « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه أمات وأحيا » [النجم ــ ٤٣] .

وفاء بالمعنى ،ووفاء بالإيقاع ...

ومثله قول الرسول ﷺ « إنكم لَتَكْثُرُون عند الفزع ، وتُقِلّون عند الطمع » وقوله « خير المال عين ساهرة ، لعين نائمة » .

ولا أطيل فى ضرب الأمثلة ، ويكفى ما قاله النَّمْرى يصف أيام لهوه مع رفاقه معتمداً على الطباق الموقّع :

ومنازِلٍ لك بالحمى ∴ وبها الخليط نزول
أيامهـــــن قصيرة ∴ وسرورهـن طويـــل
وسعودهـن طوالـــع ∴ ونحوسهـــن أفـــول
والمالكية والشباب وقينة وشَمُول

والعسكرى « أبو هلال » يشكو هاجره :

قُلْ لمن أُدْنِيه جَهْدى ∴ وَهْوَ يُقْصِينِى جَهْدَه
ولمَن تُرْضَاه مَوْلَاكَ ∴ ولا يرضاكَ عَبْدَه
أَمَلِيحٌ بِمَلِيحِ الشَّكْلِ ∴ أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَه ؟
أم جَمِيلٌ بِجَمِيلِ الوَجْهِ أن يَنْقُضَ عَهْدَه ؟
ما الّذى صَدَّكَ عَنّى ∴ لَيْتَ مَاصَدَّكَ صَدَّهْ[1]

---

(١) الصناعتين ــ ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٥ و ٣٢٦ .

ثانيا : المبالغة

١ ـــ مفهوم المبالغة عند القدماء .
٢ ـــ مفهوم الغلو عند القدماء .
٣ ـــ صيغ وزوائد للمبالغة .
٤ ـــ وسائل للمبالغة .
٥ ـــ من أغراض المبالغة .

١ ـــ مفهوم المبالغة عند القدماء :

لم يصرح ابن عباس (ت ٦٨ هـ) فى شرحه لقوله تعالى « والله غنى حليم » بمصطلح المبالغة ، ولا بمفهومه عن المبالغة ، إنما شرح معناها بما يدخل فى معنى المبالغة ، بأدق تعبير ، وهو « بلوغ الغاية والكمال فى الأمر » ، يقول ابن عباس فى قوله تعالى « قول معروف ومغفرة ، خير من صدقة يتبعها أذى » ، « والله غنى حليم » [البقرة ـــ ٢٦٣] ، « الغنى » الذى كمل فى غِنَاه ، و « الحليم » الذى كمل فى حلمه[١] .

والمبالغة فى أداء الفعل عند « سيبويه » (ت ١٨٠ هـ) مرادفة لأدائه بكثرة ، يقول فى باب « ما تكثّر فيه المصدر من (فَعَلْتُ) » ، فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر ، كما أنك قلت فى فَعَلْتُ فَعَّلْتُ ، حين كثَّرتَ الفعل ، وذلك قولك فى الهذْر : التهذار[٢] ، وفى اللّعِب : التلْعَاب ، وفى الصَّفْق : التَّصْفَاق ، وفى الرَّدّ : الترداد ، وفى الجولان : التَّجوال ، والتَّفْعَال والتَّسيَار ، وليس شىء من هذا مصدر فَعَلْتُ ، ولكن لما أردت التكثير ، بنيت المصدر على هذا كما بَنَيْتَ فَعَلْتُ على فَعَّلْتُ[٣] .

والمبالغة عند الأخفش الأوسط ـــ سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) تعنى : « الكثرة فى الفعل »[٤] .

واستخدام الشاعر للمبالغة محفوف بخطرين ، أحدهما فشله فى بلوغ الغاية التى ينشدها ، والآخر ، تباين الأذواق فى قبول مبالغته . فالأصمعى (ت ٢١٦ هـ) يحكى لنا : أتيت شُعْبَة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ)[٥] ، فأنشدنى لقيس بن

---

(١) تفسير الطبرى ـــ ٥/٥٢١ ط دار المعارف تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر .
(٢) هذر ، أبطل ، يقال : هذر الشىء : أبطله .
(٣) الكتاب ـــ ٤/٨٣ ، وانظر ص ٦٤ من الجزء نفسه ـــ تحقيق عبد السلام هارون . الثانية ـــ ١٩٨٢ م نشر الخانجى ودار الرفاعى بالرياض .
(٤) معانى القرآن ـــ ١/١٤٦ تحقيق د. فايز فارس ط الكويت ، ١٩٧٩ م الطبعة الأولى .
(٥) نزيل البصرة ومحدثها ، من شيوخ أشياخ البخارى ، رأس أنس بن مالك وعمرو بن مسلمة ، وسمع أربعمائة من التابعين .

الخطيم (ت نحو ٢ ق هـ)[1] .

طَعَنْتُ ابنَ عَبْدِ القَيْسِ طَعَنَةَ ثَائِرٍ ∴ لَهَا نَفَذٌ ، لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

وضحك شُعْبه ، ثم قال : والله ما طَعَنَةٌ لكنه نقب في جنبه دَرْباً[2] فشعبة هنا يقرن التعبير الفني بالواقع ، يريد أن يرى الواقع متمثلًا في الصورةِ الفنية ، وكأنها بلاغ حرفي ، بلا تعديل ولا تزييف ، ذلك لأن شعبة الفقيه ، لا يفرق بين الصدق الفني والصدق الخلقي ، لذا صارت المبالغة الفنية هنا ، كذبا .

ولم يكن شُعْبة هو الرافض الوحيد لهذا الكذب الخلقي ، فاسحاق الموصلي (ت ٢٣٥ هـ)، كان يستشنع قول ابن الخطيم « طعنت ابن عبد القيس » ، حتى أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) لقيس أيضا :

ضَرَبْتُه في المُلْتَقَى ضربةً ∴ فزال عن مَنْكِبِه الكاهل
فصار ما بينهما فَجْوَةٌ ∴ يمشي بها الرامح والنَّابِلُ

فقال اسحاق : فكان هذا أعظم وأشنع[3] .

والخيال يستطيع أن يتصور القولين ، إذا فصلهما عن المقول فيه ، واعتبرهما من الممكن وقوعُهما في شكلٍ ما ، في مكانٍ ما ، لِشخصٍ ما ، وأنهما ليسا خبراً عن المعركة بقدر ما هما تصوير للمعركة ، فالكاهل في الصورة الثانية ، قد انفصل عن المَنْكِب ، أو هكذا خُيِّل للشاعر ، وانفصل مبتعداً في قوة تاركا مساحة تسمح للرامح والنابل أن يَمُرَّا بينهما ، أو هكذا خُيِّل للشاعر ، خُيِّل إليه هذا ليرضى نفسه ، هذه النفس المجروحة من قَاتِلَيْ أبيه وجَدِّه . فلو تصورنا أن قيس بن الخطيم يقول تمنيت أن أفعل وان يكون. فعلى بصورة كذا وكذا ، نجد أن المبالغة هنا كانت صادقة جداً في ترجمة الحقد الدفين والكمد المكتوم والنار التي تستعر في قلب قيس ، ومن ثَمَّ فلا كذب ولا شناعة .

---

(١) شاعر الأوس ، وأحد صناديدها ، أشتهر بتتبع قَاتِلَيّ أبيه وجده حتى قتلهما ، وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وتريّث في قبوله ، فقتل قبل أن يدخل فيه ــ الأعلام ــ ٥/٢٠٥ .

(٢) المرزباني ــ الموشح ــ ١١٧ ، تحقيق علي محمد البجاوي ط دار نهضة مصر ــ ١٩٦٥ م .

(٣) المصدر نفسه ــ ١١٦ .

وفى رسالة للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عن « صناعة الكلام » يتحدث فيها عن آفات صناعة الكلام ، يقول فيها « واعلم أن لصناعة الكلام آفات كثيرة ، وضروبا من المكروه عجيبة ، وفيها ما هو ظاهر للعيون والعقول ، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون ، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول ، فإنه لا يظهر إلّا لكل عقل سليم جيد التركيب ...، ثم لا يدركه أيضا إلّا بعد إدمان الفكر ، وإلّا بعد مناظرة الشكل الباهر ، والمعلِّم الصابر ، فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية ، فلا بد من شهوة قوية ... »[1]

فالمبالغة عنده تعنى البلوغ إلى أقصى النهاية ، وهذا ما أورده أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) من بعده ، فى تعريف المبالغة ، قال هى : « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه »[2] وسيأتى تفصيل ذلك عنده .

وفى البيان للجاحظ يقول « وقال موسى ﷺ » وأخى هارون هو أَفْصَحُ مِنّى لسانا فأَرْسِلْه معى رِدْءاً يَصَدِّقُنى » [القصص ــ ٣٤] وقال « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » [الشعراء ــ ١٣] ، رغبة منه فى غاية الإفصاح بالحجة ، والمبالغة فى وضوح الدلالة ، لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع »[3] .

والمبالغة عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تعنى « يكاد يفعل » ، ولكنه لم يفعل ، لأنه لا يستطيع أوْ لا يجرؤ ، أوْ لِأنّ قدرته البشرية تعوقه ، وطالما أن المخاطب يعلم أن المتكلم « يبالغ » فلا ضَيْر ، وقد جعلها ابن قتيبة جزءاً من درسه للاستعارة التى بدأ الحديث فيها بعد عرضه لفن « المجاز » ، وقدم لها بحديث عن استعمال « يكاد » فى القرآن الكريم ، وكأنه يربط بين هذه العناصر وبين « المبالغة » ، أو يجعلها من مكوناتها ، يقول « كان بعض أهل اللغة يأخذ على

(١) رسائل الجاحظ ــ ٢٤٦/٤ تحقيق هارون ، الطبعة الأولى ــ الخانجى القاهرة ١٩٧٩ م .

(٢) الصناعتين ــ ٣٧٨ وما بعدها .

(٣) الجاحظ ــ البيان ــ ٧/١ ، وانظر ص ٩٢ منه ، الطبعة الرابعة تحقيق هارون ط الخانجى ــ وأورد له حازم القرطاجنى أن ليس شىء إلّا وله وجهان وطريقان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا ذموا ذكروا أقبحهما ، منهاج البلغاء ــ ٧٤ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ــ تونس ــ ١٩٦٦ م .

الشعراء أشياء من هذا الفن ، وينسبها إلى الإفراط ، وتجاوز المقدار ، وما أرى ذلك إلّا جائزاً حسنا على ما بيّناه من مذاهبهم ، كقول النابغة في وصف سيوف .

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُه ∴ وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ[1]

ذكر أنها تقطع الدروع التي هذه حالها ، والفارس حتى تبلغ الأرض فتورى النار إذا أصابت الحجارة ...، ويقولون « فلان يثير الكلاب عن مرابضها » يريدون أنه لشرهه ولؤمه ، يثيرها عن مواضعها ، يطلب تحتها شيئاً فاضلاً من طُعْمها ليأكله ، وهذا مالا يفعله بشر .

وقال الشاعر :

تركوا جارهم يأكله ∴ ضَبُعُ الوادي ويرميه الشجر

والشجر لا يرمى أحداً ، وهذا كله على « المبالغة » في الوصف ، و[illegible] « يكاد يفعل » ، وكلهم يعلم المراد .[2] .

ويعالج المبرد (ت ٢٨٥ هـ) « المبالغة » من خلال دراسته للتشبيه ، يقول « العرب تشبه على أربعة أضرب ... منها التشبيه المفرط ، والتشبيه المصيب ، والتشبيه المقارب ، والتشبيه البعيد ، الذى يحتاج إلى التفسير ، ولا يقوم بنفسه ، وهو أخشن الكلام ، فمن التشبيه المفرط المتجاوز ، قولهم للسخي : هو كالبحر ، وللشجاع : هو كالأسد وللشريف : سما حتى بلغ النجم ، [illegible] فوق ذلك . وقد قيل : إن امرأة عمران بن حطان ، قالت له : أما زعمت أنك [illegible] تكذب في شعر قط ؟ قال : أَوَ فعلْتُ ؟ قالت : أنت القائل .

فَهُناكَ مَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ ∴ كانَ أَشْجَعَ مِن أُسامَةْ

أفيكون رجل أشجع من الأسد ؟ قال : أنا رأيت مجزأة بن ثور فتح مدينة ، والأسد لا يفتح مدينة »[3] .

(١) السلوق : الدرع المنسوب إلى سلوق ، قرية باليمن ، الصفّاح : الحجر العريض ، [illegible] : نار حباحب ونار أبي حباحب : الشرر الذي يسقط من الزناد ـــ هامش ص ١٧٣ من تأويل مشكل القرآن .

(٢) ابن قتيبة ـــ تأويل مشكل القرآن ـــ ١٧٠، ١٧٣ ؛ ١٧٨ ، تحقيق السيد أحمد صقر ١٩٥٤ .
(٣) المبرد ـــ الكامل ـــ ١٢٨/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ [illegible]

ولم يفصل المبرد بين هذه المصطلحات فَصْلًا واضحاً ، وأغلب الظن أنه تأثر تقسيمات ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فى كتابه « الشعر والشعراء » من حيث جودة ورداءة اللفظ ثم جودة ورداءة المعنى »[١] . ونراه بعد أن يجعل « المبالغة » فى قول عمران « كان أشجع من أسامة » ، يقرن إليه أبياتا تدخل فى عداد « الغلو » ، الذى ينطبق عليه قوله « ثم زادوا فوق ذلك » وسنعرض له فيما بعد .

ويفهم الأُشْنَانْدَانى (ت ٢٨٨ هـ) « المبالغة » بأنها بلوغ الشيء غايته ، فالبراض بين قيس الكنانى ، يقول :

إِذَا مَا عَلَا السَّيْلُ الزُّبَى فَأْتِ دَارِهم ∴ فَعَنْهَا يَمِيلُ السَّيْلُ كَلَّ مُمِيلِ
وإن ولج الخوف البيوت فإنَّهم ∴ لَنَا مَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ طَوِيلِ

ويشرح الأُشْنانداني أن « علا السيل الزُّبَى » مثل ، يقول : إذا بلغ الشر غايته ، وواحدة الزُّبَى زُبْيَةٌ ، وهى حفرة تحفر للأسد ، وينصب فيها جَدْى أو كلب ، ولا تحفر إلّا فى عُلُوٍّ من الأرض ، فإذا بلغ السيل ذلك الموضع ، فقد بلغ الغاية »[٢] .

ويقول فى قول رجل من بنى كبير من الأزد :

غدا ورِدَاؤه لِهقٌ حُجَيْـرٌ ∴ وَرُحْتُ أَجُرُّ ثَوْبِى أُرْجُوَانِى
كِلَانا اختارَ فانْظر كَيْفَ تَبْقَى ∴ أَحَادِيثُ الرِّجَالِ على الزَّمَانِ

« حُجَيْر » أخوه ، وكان أبوهما قُتِل ، فَطَلَب هذا الشاعر بدم أبيه ، ولم يطلب حُجَيْر به ، يقول : فثوب حجير أبيض ، من قولهم « دم فلان فى ثوب فلان » وليس هناك دم ... و « الأُرجوان » فارسى معرب ، وهو شدة الحمرة ، يقال :

(١) ابن قتيبة ــ الشعر والشعراء ــ ٧٠ وما بعدها تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ سنة ١٩٧٧ م .

(٢) وقوله « فعنها يميل السيل كل مميل » ، هذا أيضا مثل ، يقول : هم فى عزة ومنعة والخوف لا يصل إلى دراهم ، فجعل المنوف كالسيل ، ولا سيل هناك » ، و « المعقل » الملجأ ولا يكون إلّا فى جبل ، ومن ذلك قول لبوعل إذا امتنع فى الجبل « عاقل » ــ الأُشناندانى ص ١٥ و ١٦ من معانى الشعر .

هو القرمز ، يقال : ثوب أرجوان ، إذا بولغ فى نعت حمرته »[1] .

ولم يوضح ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، ماذا يقصد بـ « الإفراط والغلو فى المعنى واكتفى بأن قال : الإفراط فى الإغراق ، كقول امرىء القيس :

وَقَدْ اغْتَدِى والطَّيْرُ فى وُكُنَاتِها ∴ بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوابِدِ هيْكَلِ

ثم أردفها بعدة شواهد يخرج بعضها عن حد القصد فى التشبيه أو الاستعارة أو الكناية[2] .

وينقل مصطلح « الإفراط فى الصفة » الذى تردد عند ابن قتيبة والمبرد وثعلب ، إلى ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، ويعنى به الإسراف أو الغرابة أو الخروج عن المألوف ، ونلمس هذا من واقع الشواهد التى أتى بها ، يقول :

قال أبو نواس :

مَلِكٌ أَغَرُّ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ ∴ غمر الجماجم والسِّماطُ قيامُ[3]

ويقول : ثم أسرف الخثعمى حتى خرج عن حد الإنسان ، فقال :

يُدْلِي يَدَيْهِ إِلَى القَلِيبِ فَيَسْتَقِى ∴ فى سرْجِه بَدَلَ الرِّشَاءِ الْمُكْرَبِ[4]

وأكثر « الإفراط فى الصفة » عنده فى شعر الهجاء[5]

---

(١) وقوله « كلانا اختار » ، يريد أن حجراً اختار الهوينى ، وبدأ فى طلب الثأر ، واخترت أنا الجد والتشمير ، ثم قال : فانظر كيف تبقى أحاديثنا من بعدنا ، إذا ذُكرتُ بالنهوض والحزم ، وذُكر بالتواكل والضعف — الأشناندانى — معانى الشعر — ٣٠ — تحقيق عز الدين التنوخى — مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم — دمشق ١٩٦٩ م .

(٢) ثعلب — قواعد الشعر — ٣٩ وما بعدها ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ط مصطفى الحلبى ١٩٤٨ م .

(٣) لأبى نواس يمدح محمداً الأمين ، وفى الكامل للمبرد « سعد نبهان — ١٣٨/٣ ط رأى الفضل » — وغمر الجماجم : أى فرع القوم وعلاهم بطول قامته — والسماط : الصف ، يقال : مشى بين سماطين من الجنود وغيرهم ، ويقصد بالجماجم : الرءوس ، والنجاد : حمائل السيف .

(٤) المكرب : من الحبل ، ما كان محكم الفتل ، شديد الأسر .

(٥) البديع — ٦٥ وما بعدها ، تحقيق كراتشكوفسكى .

وعند الزجاج (ت ٣١١ هـ) تعنى المبالغة : **تمام القدرة واستحكامها** ، ففى قوله تعالى « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » [المائدة ـــ ٤٠] يقول : ومعنى المُلْك فى اللغة : تمام القدرة واستحكامها ، فما كان مما يقال فيه مَلِكٌ سمى المُلْك ، وما نالته القدرة ، مما يقال فيه مالك فهو مِلْك ...، وأصل هذا من قولهم « مَلَكْتُ العجين أمْلُكُه » إذا بالغت فى عجنه ، ومن هذا قيل فى التزويج ، شهدنا « إملاك » فلان ، أى شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده[1] .

و « المبالغة » عند ابن طَبَاطَبَا (ت ٣٢٢ هـ) غير « الغلو » ، فالأولى مقبوله طالما أبدع قائلوها فى الوصف ، ولم يتجاوزوا المقدار ، والأخرى ، حين يسرفون ولا يوفقون فى الوصف ، أو فى اختيار اللفظ ، ومن أمثلة المبالغة عنده ، قول الفرزدق :

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَو أَرَى المَـوْتَ مُقْبِـلاً ∴ لِيَأْخُذَنِى والمَوْتُ يُكْرَهُ زَائِرُهْ

لَكَانَ مِنَ الحَجَّاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةً ∴ إِذَا هُوَ أَغْفَى وَهْو سَامٍ نَوَاظِرُهْ

يقول ابن طباطبا : فانظر إلى لطفه فى قوله « إذا هو أغفى » ليكون أشد مبالغة فى الوصف ، اذ وصفه عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظراً متأملاً متيقظاً ؟ ثم نزّهه عن الإغفاء ، فقال « وهو سام نواظره » .

ومن أمثلة « الغلو » ، قول النابغة :

تَخْدِى بِهِم أُدْمٌ كأَنَّ رِحالَها ∴ عَلَقٌ أُرِيقَ على مُتُونِ صُوَارِ[2]

أو قول النابغة الجعدى :

كأَنَّ حِجَاجَ مُقْلَتِها قَلِيبٌ ∴ مِنَ السَّمْقَيْنِ أَخْلَقَ مُسْتَقَاهَا[3]

(١) الزجاج ـــ معانى القرآن وإعرابه ـــ ١٦٨/١ تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى ط بيروت .

(٢) تخدى : من الخدى ، وهو سرعة السير من البعير وغيره مع زج قوائمه ـــ والأدم : الإبل التى فى لونها أُدْمة ، والعلق : الدلو ، والمتن : الظهر ، والصوار : القطيع من البقر .

(٣) فى الصناعتين ـــ « قليب من السَّقْبَيْن بخُلْف مستقاها » ـــ ٢٦٤ ، والقليب : البئر ، وأخلق : بَلِىَ ، والسَّقْب : عمود الخباء ، وهو أقرب إلى المعنى من « السمقين » ، والسمق : أى العلو والارتفاع .

ويقول : « والحجاج لا يغور ، لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب »[1] .

ويفرق قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بين ثلاثة مصطلحات تفريقا واضحا ، وهى « المبالغة » و « الغلو » و « الامتناع » ، مما يجعلنا نستطيع أن نضع « المبالغة والغلو » فى إطار واحد ، ونجعل « الامتناع » نقيضهما .

والمبالغة عند قدامة هى « أن يذكر الشاعر حالًا من الأحوال فى شعر ، لو وقف عليها لأجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده ، فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ ، فيما قصد إليه ، وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبى .

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ∴ وَنُتْبِعُه الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

فإكرامهم للجار مادام فيهم ، من الأخلاق الجميلة الموصوفة[2] واتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة فى الجميل[3] .

أى أن المبالغة عدم الاقتصار على الحد الأوسط فى المعنى ، إنما هى إضافة لمزيد من البيان ، والتوكيد ، وتمكين الصورة فى ذهن المستمع ، مثلما قال رؤاس بن تميم ، أحد الغطاريف الأزدى :

وَأَنَّا نُعْطِى النَّصْفَ مِنَّا وَأَنَّنَا ∴ لَنَأْخُذُهُ من كل أَبْلَخَ ظَالِمِ

« فالتوكيد فى قوله : وأنّا لنأخذه من كل أبلخ ظالم ، فهذه مبالغة مضاعفة مكررة ... »[4]

---

(١) ابن طباطبا ـــ ٨٨ و ١٢٦ وما بعدها ، عيار الشعر تحقيق د. محمد زغلول سلام ط ٣ ، منشأة المعارف ، بالإسكندرية ١٩٨٥ م .

(٢) الموصوفة : المستحبة .

(٣) قدامة بن جعفر ـــ نقد الشعر ـــ ١٦٠ تحقيق كمال مصطفى ـــ الخانجى سنة ١٩٦٣ م ، وبمثل هذا عرف المبالغة فى كتابه « جواهر الألفاظ » ، فهى أن يذكر المعنى بما لو اقتصر عليه لكان كافيا فيما قصدله ، فلا يقتصر على ذلك حتى تؤكد معانيه ، وتعتمد المبالغة فيه ، مثل قول أعرابى دَعَا رَبَّهُ ، فقال « اللهم إن كان رزقى نائيا فقرّبه ، وإن كان قريبا فيسّره ، أو مُيسّراً فعَجّله ، أو قليلا فكثّره ، أو كثيراً فثَمّره » ص ٦ ـــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط الخانجى ١٩٣٢ م .

(٤) نقد الشعر ـــ ١٦٢ ، والنَّصْف : الحق الكامل ، الأبلخ : المتكبر الأحمق .

وفى تعريفه « للغلو » يقدم لنا المفهوم الأمثل للمبالغة ، و « الغلو » هذا مقبول عنده ، وأجود من الاقتصار على الأوسط ، وهو — كما يقول — ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما ، وقد بلغه عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه ، وكذا ترى فلاسفة اليونان فى الشعر على مذهبهم »[1] .

وتعريف « الغلو » عنده : تجاوز فى نَعْتٍ ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن طباعه ، إلى مالا يجوز أن يقع له ، فمثل قول النمر بن تولب :

تظل تحفر عنه إن ضربت به ∴ بعد الذراعين والساقين والهادى[2]

فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادى ، وأن يُؤثِّر بعد ذلك ، ويغوص فى الأرض ، **ولكنه مما لا يكاد أن يكون .**

وكذلك قول مهلهل :

فلولا الريحُ أُسْمِعَ أهْلَ حَجْرٍ ∴ صَلِيلَ البِيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ[3]

فإنه أيضا ليس يخرج عن طباع أهل حَجْرٍ ، أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة ، ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طنينها بقرع السيوف إياها ، **ولكن يَبْعُد بِبُعْدِ المسافة موضع الوقعة ، وحَجْرٍ ، بُعْدًا لا يكاد يقع**[4] .

فقدامة قد ربط بين الصورة الفنية المتخيلة ، والواقع الملموس المعيش ، فسقط فى التناقض ، فلا ضَيْر من أنَّ سيف النمر بن تولب مما لا يكاد أن يكون ، وأن المسافة بعيدة بين الوقعة ومكان حَجرْ بعداً لا يكاد يقع ، طالما أن هذا الأمر « **ليس خارجا عن طباع الموصوف** » كما ذكر هو .

---

(١) المصدر نفسه — ٦٥ .

(٢) الهادى : العنق ، والجمع : هَوَادٍ ، وذلك لتقدمه على البدن ، ولأنه يهدى الجسم .

(٣) حَجْر : قصبة اليمامة ، وإقامتهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت ، والذكور : السيوف التى عملت من حديد يابس شديد .

(٤) نقد الشعر — ٢٤٣ وانظر ص ٦٢ منه .

وقد سيطر هذا الفهم على كثير من البلاغيين من بعد قدامة وأبرزهم أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) .

أما الجرجانى — على بن عبد العزيز (ت ٣٣٧ هـ) ، فيحكِّم الذوق فى قضية المبالغة ، ما قَبِلَهُ الذوق السليم فهو جيد ، وما مَجَّهُ فهو ردىء ، ثم هو يحذر من اتخاذ الذوق مذهبا ، كيلا يؤدى الأمر إلى فساد اللغة ، وكان ذلك فى أثناء حديثه عن الاستعارة عند المتنبى[1] .

وفى باب « غلو القدامى » يقول « فأما الإفراط فمذهب عام فى المحدثين ، وموجود كثير فى الأوائل ، والناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله رسوم ، متى وقف الشاعر عندها ، ولم يتجاوز الوصف حدَّها ، جمع بين القصد والاستيفاء ، وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق ، والباب واحد ، ولكن له دَرَجٌ ومراتب »[2] .

فالجرجانى — كما ترى — فوَّض الأمر إلى الذوق فى الحكم على سلامة المبالغة ، ولكنه طالب المحدثين من الشعراء بالاعتدال فى الاقتداء بالسالفين ، وألا يتشوقون إلى سبق الفضل عليهم ، فيقعوا فى الإحالة ، التى هى نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق ، وبالرغم من ذلك ، لم يوضح الجرجانى ماذا يقصد بالإفراط ؟ أو الإغراق ؟ وما حدودهما ؟

ونكتفى بلمحته الذكية ، بأن الإفراط الذى وقع فيه المحدثون من الشعراء ، إنما كان من أثر تكبيلهم بعمود الشعر العتيق ، الذى فُرض عليهم فَرْضا[3] .

وبينما يرى أبو على القالى (ت ٣٥٦ هـ) أن المبالغة تفيد الكثرة[4] رأى الآمدى (ت ٣٧٠ هـ) أنها « التناهى فى الصفة » ، كما قال فى آية « واسأل القرية التى كنا فيها » [يوسف — ٨٢] ، يريد أهل القرية ، وإن شئت جعلت

---

(١) الجرجانى — الوساطة — ٤٢٩ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والبجاوى ، الطبعة الثالثة — الحلبى .

(٢) الوساطة — ٢٤٠

(٣) نفسه — ٤٢٣

(٤) الأمالى — ١٩٣/١ ط بولاق — الأولى ١٣٢٤ هـ

هنداً هى الحُسْن ، ودَعْداً هى الجمال كما قالت الخنساء :

تَرْتَعُ مَارَتَعتْ حَتّى إذَا ادّكَرَتْ ∴ فَإنّمـا هى إقْبـالٌ وإدْبَارٌ

على المبالغة ، لما كانتا غايتين فيهما ، وجعلت زيداً هو الهرم ، وعبد الله هو التيه ، لما كانا متناهيين فى هذين الوصفين[1] .

وتكون المبالغة لائقة مستحسنة « إذا دلت على الوصف الذى يخص الموصوف ، لا بالشىء الذى يخص غيره »[2] .

وهو يردد رأى ابن قتيبة فى أن المبالغة فى الوصف على نية « يكاد يفعل »[3] .

أما « الإحالة » فهى الخروج عن طبيعة الأشياء ، فلو كان أبو تمام حين قال :

مِنَ الهِيفِ لَوْ أنّ الخَلاخِلَ صُيِّـرَتْ ∴ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الخَلاخِلُ[4]

قال : « لو أن الخلاخل صُيِّرت لها نُطُقاً » لكان قد أتى بالصواب ، لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المنطقة من سَيْر كان أو ثوب أو غيرهما ، أو لو قال « حُقُباً » لأن الحِقاب والنِّطاق بمنزلة واحدة »[5] .

والمقياس عند الآمدى فى هذا ـــ الصحة اللغوية وموافقة العرف ـــ « لأن من عادة العرب أنها لا تكاد تذكر « الهيف » و « طى الكشح » و « دقة الخصر » إلّا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والغِلَظ »[6] .

---

(١) الآمدى ـــ الموازنة ـــ ١٦٦ تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف .

(٢) نفسه ـــ ١٥٠

(٣) تأويل مشكل القرآن ـــ ١٧٢

(٤) الهيف : الرقيقات ، والخلاخل : حلْى يلبس فى الساق ، والوشح : شبه قلائد عريضة تشد بين الكتف والخاصرة .

(٥) الموازنة ـــ ١٥٠

(٦) نفسه ـــ ١٤٤

وفى الأغلب — قد تأثر الآمدى بقدامة وبخاصة فى قوله « إن الشاعر حين يغلو فى الوصف بحيث يخرج بما يصفه عن الموجود ، ويدخل فى باب المعدوم ، فإنما يريد به المثل ، وبلوغ النهاية فى النعت[1] — وهذا ما رآه الآمدى فى بيت النابغة :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الجَبَانُ ارْتِعَاثَهَا ∴ وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ

فجعل القِرْط يخاف أن يسقط من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل ، أى لو كان مما يقع منه الخوف ، لخاف[2] .

أما الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) فالمبالغة عنده[3] « الدلالة على كبر المعنى » على جهة التغيير من أصل اللغة لتلك الإبانة ، والتغيير عن أصل اللغة للإبانة أما أن يكون بالصيغ القياسية الصرفية ، كـ « فعّال ومفعال وفعول ونحوها » ، وإما تغيير الصياغة ، وله عدة طرق :

— بأن توضع الصيغة العامة موضع الخاصة ، كقوله تعالى « خالق كل شىء » [الأنعام — ١٠٢] .
— أو إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر ، كقوله تعالى « وجاء رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » [الفجر — ٢٢] ، فجعل مجىء دلائل الآيات مجيئاً له على المبالغة فى الكلام[4]

---

(١) ارتعشت المرأة : تحلّت بالرِّعاث ، وهو القرط ، ويفرق : يخاف .
(٢) الموازنة — ١٤٢ وما بعدها .
(٣) الرمانى — النكت فى إعجاز القرآن — ص ٩٦ تحقيق د. محمد زغلول سلام [illegible] .
(٤) اعتبر المعتزلة جميع الآيات القرآنية التى تتضمن معنى الجهة ، مجازاً ، وتأولوها ، يقول القاضى عبد الجبار « فلو جاز المجىء عليه لجاز عليه المشى والانتقال ... » تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٤٦٣ ط. بيروت ، ويقول الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) « [illegible] ظاهره يخالف ما دلت عليه أدلة العقول ، وجب صرفه عن ظاهره ، إن كان له ظاهر ، وحمله على ما يوافق الأدلة العقلية ويطابقها » أمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ١/٤٦٠ ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .

— أو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة ، نحو قوله تعالى « ولا يدخلون الجنَّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِيَاط » [الأعراف — ٤٠][١] .

— أو اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل ، والمظاهرة فى الحجاج ، فمن ذلك « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » [سبأ — ٢٤][٢] ، ومنه « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » [الزخرف — ٨١] .

— أو حذف الأجوبة للمبالغة ، كقوله تعالى « ص والقرآن ذى الذِّكْرِ » [ص — ١][٣] ، كأنه قيل : لجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو لجاء بالصدق ، وكل ذلك يذهب إليه الوهم ، لما فيه من التفخيم ، والحذف أبلغ من الذِّكْر ، لأن الذِّكْرَ يقتصر على وجه ، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من التعظيم ، لما تضمنه من والتفخيم » .

وفى مقارنة بين قول كثيِّر فى عبد الملك ، وقول الأعشى لقيس بن مَعْدِى كَرب ، يذهب المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) مذهب قدامة فى المبالغة ، يقول : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى فى هذا المعنى :

وإذا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ∴ خَرْسَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نَهَالَها
كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ∴ بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطَالَها[٤]

على قول كثيِّر :

عَلَى ابْنِ أَبِى العَاصِى دِلَاصٌ حَصِينَةٌ ∴ أَجَادَ المُسَدِّى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا

---

(١) الآية « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين » .

(٣) الآية « قل من يرزقكم من السموات والأرض ، قل الله ، وإنَّا أو إياكم لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين » .

(٣) وبعدها : « بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » — ص — ٢

(٤) ملمومة : مجتمعة ، يذود : يدافع ، نهالها : يريد رماحها وسيوفها ، والنهال : العطاش ، كأنها ظامئة إلى شرب الدماء .

يَؤُودُ ضَعِيفَ القَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِها ∴ وَيَسْتَضْلِعُ القَوْمُ الأَشَمُّ احتمالَهَا[1]

لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة ، على أنه وإن كان لبس الجُنَّة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له ، ولا يغيره إلا لُبْس الجُنَّة »[2] .

وهذا الوصف المنقول عن قدامة[3] ، يبين أن المبالغة هى الخطوة التالية للمرحلة الوسطى فى التعبير ، هى المرحلة التى يضيف فيها الفنان من العناصر على صورته الفنية ، مايجعلها متفردة متميزة .

والمبالغة عند ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، زيادة فى المعنى تقتضى زيادة فى بناء اللفظ ، « فإذا أرادوا المبالغة فى جمال ووضاء رجل ، قالوا : وُضَّاء ، وجُمَّال ، فزادوا فى اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه »[4] .

أما العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، فقد أفرد فصلًا لدرس « الغلو » ، وآخر لدرس المبالغة ، وأبو هلال يمتح من رصيد ضخم قد صنعته جهود اللغويين والنقاد والبلاغيين والأدباء والمفسرين والمتكلمين ، بالاضافة إلى أبى أحمد العسكرى خاله وأستاذه ، الذى أكثر الأخذ عنه مشافهة »[5] .

وبالرغم من ذلك ، فللعسكرى شخصيته المتميزة[6] فقد توسع فى موضوع درسه ، وحاول أن يجمع له من الشواهد مالا نجده عند غيره ، مضيفا إليه من شعره هو ، حتى صار « الصناعتين » ، معلما جامعا لجهود من قبله ، ومؤثراً بارزاً فيمن بعده ، وقد عرف المبالغة بأنها « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد

(١) الدلاص من الدروع : اللينة الملساء ، سردها : نسجها ، وتداخل الحلق بعضها فى بعض ، وأذالها : أطال ذيلها ، والقتير : رءوس المسامير فى الدروع ، ويراد بها الدروع أيضا ، ويستضلع : يستقل .

(٢) المرزبانى — الموشح — ٢٣١ تحقيق البجاوى ، ط دار نهضة مصر — ١٩٦٥ م .

(٣) قدامة — نقد الشعر — ٧٤

(٤) ابن جنى — الخصائص — ٢٦٦/٣ تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية المصورة .

(٥) د. شوقى ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ١٤١ ط الأولى — ١٩٦٥ م .

(٦) انظر د. بدوى طبانة — أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية — ص ٧٣ « منابع بلاغته ونقده » وص ١٢١ ، « منهج أبى هلال » — ط الأنجلو الثانية — ١٩٦٠ م .

نهاياته ، ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه » ومثاله فى القرآن الكريم، قوله تعالى «يوم» ترونها تَذْهَل كلُّ مُرضِعَة عما أرضعت، وتَضَعُ كل ذَاتِ حَمْل حَمْلَها ، وترى الناس سُكَارى وما هم بِسُكَارى » [الحج ــ ٢] ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها ، لكان بيانا حسنا ، وبلاغة كاملة ، وإنما خصّ المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها ، لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ، ولزومه لها ، لا يفارقها ليلا ولا نهاراً ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف »[1] .

ثم أتى بتعريف قدامة للمبالغة ، دون أن يسنده إليه ، وهو « أن يذكر المتكلم حالًا لو وقف عليها أجزأه فى غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد فى المعنى زيادة تؤكده ، وتلحق به لاحقة تؤيده ، كقول عمير بن الأيهم :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُه الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا[2]

والعسكرى هنا ، يدور فى دائرة تعريف قدامة للمبالغة ، وبالرغم من أن تعريفه له قد مزج فيه بين فهم قدامة للمبالغة ، والغلو معا ، ثم هو فى درس « الغلو » يضطرب به الأمر ، وسنوضح ذلك فى حينه إن شاء الله .

وللشريف الرَّضىّ (ت ٤٠٦ هـ) جهد كبير فى درس المبالغة فى تلخيصه « البيان فى مجازات القرآن » مثلما بذل أخوه المرتضى (ت ٥٣٦ هـ) فى أماليه ، وهما تلميذا القاضى عبد الجبار ، لذا تشابهت الآراء .

فالمبالغة عنده تعنى : الإبعاد فى الغاية ، ففى قوله تعالى « والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون » [الشعراء ــ ٢٢٤و٢٢٥] يقول « ... ووصف الشعراء بالهيمان فيه فرط مبالغة فى صفتهم بالذهاب فى أقطارها ، والإبعاد فى غاياتها ، لأن قوله سبحانه « يهيمون » ، أبلغ فى هذا المعنى من قوله : « يسعون ، ويسيرون »[3] والمبالغة تعنى أيضا الكثير فى الفعل »[4] .

---

(١) الصناعتين ــ ٣٧٨

(٢) نفسه ــ ٣٧٩

(٣) تلخيص البيان فى مجازات القرآن ــ ٢٥٩ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبى ١٩٥٥ م .

(٤) انظر قوله فى آية « وما أبرىء نفسى ، إن النفس لأمّارة بالسوء ، إلّا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم » [يوسف ــ ٥٣] ص ١٧٢ .

يَؤُودُ ضَعِيفَ القَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِها ∴ وَيَسْتَضْلِعُ القَوْمُ الأَشَمُّ احتِمالَهَا[1]

لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة ، على أنه وإن كان لبس الجُنَّة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له ، ولا يغيره إلا لُبْس الجُنَّة »[2] .

وهذا الوصف المنقول عن قدامة[3] ، يبين أن المبالغة هى الخطوة التالية للمرحلة الوسطى فى التعبير ، هى المرحلة التى يضيف فيها الفنان من العناصر على صورته الفنية ، مايجعلها متفردة متميزة .

والمبالغة عند ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، زيادة فى المعنى تقتضى زيادة فى بناء اللفظ ، « فإذا أرادوا المبالغة فى جمال ووضاء رجل ، قالوا : وُضَّاء ، وجُمَّال ، فزادوا فى اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه »[4] .

أما العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، فقد أفرد فصلًا لدرس « الغلو » ، وآخر لدرس المبالغة ، وأبو هلال يمتح من رصيد ضخم قد صنعته جهود اللغويين والنقاد والبلاغيين والأدباء والمفسرين والمتكلمين ، بالاضافة إلى أبى أحمد العسكرى خاله وأستاذه ، الذى أكثر الأخذ عنه مشافهة »[5] .

وبالرغم من ذلك ، فللعسكرى شخصيته المتميزة[6] فقد توسع فى موضوع درسه ، وحاول أن يجمع له من الشواهد مالا نجده عند غيره ، مضيفا إليه من شعره هو ، حتى صار « الصناعتين » ، معلما جامعا لجهود من قبله ، ومؤثرا بارزاً فيمن بعده ، وقد عرف المبالغة بأنها « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد

(١) الدلاص من الدروع : اللينة الملساء ، سردها : نسجها ، وتداخل الحلق بعضها فى بعض ، وأذالها : أطال ذيلها ، والقتير : رءوس المسامير فى الدروع ، ويراد بها الدروع أيضا ، ويستضلع : يستقل .

(٢) المرزبانى — الموشح — ٢٣١ تحقيق البجاوى ، ط دار نهضة مصر — ١٩٦٥ م .

(٤) قدامة — نقد الشعر — ٧٤

(٤) ابن جنى — الخصائص — ٢/٢٦٦ تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية المصورة .

(٥) د. شوقى ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ١٤١ ط الأولى — ١٩٦٥ م .

(٦) انظر د. بدوى طبانة — أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية — ص ٧٣ « منابع بلاغته ونقده » وص ١٢١ ، « منهج أبى هلال » — ط الأنجلو الثانية — ١٩٦٠ م .

نهاياته ، ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه » ومثاله فى القرآن الكريم، قوله تعالى «يوم» ترونها تَذْهَل كلُّ مُرضِعَة عما أرضعت، وتَضَعُ كل ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، وترى الناس سُكَارى وما هم بِسُكَارى » [الحج ـــ ٢] ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها ، لكان بيانا حسنا ، وبلاغة كاملة ، وإنما خصَّ المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها ، لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ، ولزومه لها ، لا يفارقها ليلا ولا نهاراً ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف »[1] .

ثم أتى بتعريف قدامة للمبالغة ، دون أن يسنده إليه ، وهو « أن يذكر المتكلم حالًا لو وقف عليها أجزأه فى غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد فى المعنى زيادة تؤكده ، وتلحق به لاحقة تؤيده ، كقول عمير بن الأيهم :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ∴ وَنُتْبِعُه الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا[2]

والعسكرى هنا ، يدور فى دائرة تعريف قدامة للمبالغة ، وبالرغم من أن تعريفه له قد مزج فيه بين فهم قدامة للمبالغة ، والغلو معا ، ثم هو فى درس « الغلو » يضطرب به الأمر ، وسنوضح ذلك فى حينه إن شاء الله .

وللشريف الرَّضىّ (ت ٤٠٦ هـ) جهد كبير فى درس المبالغة فى تلخيصه « البيان فى مجازات القرآن » مثلما بذل أخوه المرتضى (ت ٥٣٦ هـ) فى أماليه ، وهما تلميذا القاضى عبد الجبار ، لذا تشابهت الآراء .

فالمبالغة عنده تعنى : الإبعاد فى الغاية ، ففى قوله تعالى « والشعراء يتَّبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون » [الشعراء ـــ ٢٢٤و٢٢٥] يقول « ... ووصف الشعراء بالهيمان فيه فرط مبالغة فى صفتهم بالذهاب فى أقطارها ، والإبعاد فى غاياتها ، لأن قوله سبحانه « يهيمون » ، أبلغ فى هذا المعنى من قوله : « يسعون ، ويسيرون »[3] والمبالغة تعنى أيضا الكثير فى الفعل »[4] .

(١) الصناعتين ـــ ٣٧٨

(٢) نفسه ـــ ٣٧٩

(٣) تلخيص البيان فى مجازات القرآن ـــ ٢٥٩ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبى ١٩٥٥ م .

(٤) انظر قوله فى آية « وما أبرىء نفسى ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلّا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم » [يوسف ـــ ٥٣] ص ١٧٢ .

ولم يعرّف القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) مصطلح « المبالغة » ، إنما هي عنده بمعنى التكثير والتوسع بالخروج عن دائرة الاقتصاد في أداء المعنى ، ومن ثمّ جعلها أداة للدفاع عن الدين من خلال الأصول الاعتزالية .

فمثلا يقول « قالوا : ثم ذكر تعالى ما يدل على أن المكان يجوز عليه ، فقال « وهو القاهر فوق عباده » [الأنعام ـــ ١٨] ، « وفوق » إنما يستعمل في اللغة بمعنى المكان إذا علا على مكان غيره ، والجواب عن ذلك : أنه تعالى قد نبه في الكلام على ما أراد بقوله « وهو القاهر » ، ثم ذكر ما يقتضي بيان حاله في ذلك فقال « فوق عباده » ، وهذا كقوله « يد الله فوق أيديهم » [الفتح ـــ ١٠] ، ومتى قيل هذا القول في بعض الأوصاف ، فالمراد به المبالغة في تلك الصفة ، لأنا إذا قلنا : زيد عالم فوق غيره ، فإنه يُفهم منه المبالغة فيما قدمناه من الصفة ، يبين ذلك أنا إذا حملنا الآية على ظاهرها ، وجب كونه في السماء فقط ، وينقض ما تقدم من استدلالهم على أنه في السموات ، والأرضين »[1] .

ويثبت عبد الجبار أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد حين يفسر قوله تعالى « بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء » [الأنعام ـــ ١٠١] ، قال : ثم ذكر تعالى ما يدل على أنه خلق أعمال العباد ، فقال « بديع السموات ... » ، وهذا مما تقدم مما لا ريب في عمومه فيجب دخول اكتساب العبد تحته ، والجواب عن ذلك : أن ظاهر « وخلق » يقتضي أنه قدر ودبر ، ولا يوجب في اللغة أنه فعل ذلك وأحدثه ، لذلك قال الشاعر :

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَاخَلَقْتَ وبَعْضُ ∴ القَوْمِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي[2]

ومتى حُمل الكلام على هذا الوجه ، كان حقيقته : أنه تعالى وإن لم يحدث أفعال العباد ، فقد قَدَّرها ، ودَبَّرها ، وبيَّن أصولها ، فهذا وجه ، وقد قال بعض

(١) عبد الجبار ـــ المتشابه ـــ ١/٢٣٧ تحقيق د. عدنان زرزور ط دار التراث القاهرة .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ومعناه : أنت إذا قدّرت أمراً قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدّر ولا يقطعه لأنه ليس بماضي العزم ، وأنت مضّاء على ما عزمت عليه .

العلماء : إن هذه اللفظة فى الاثبات ، ليس المقصد بها التعميم ، كما يقصد ذلك فى النفى ، لأن القائل يقول : أكلت كلّ شىء ، وتحدثنا بكل شىء ، وفعلت كل شىء ، وقال تعالى « تبيانا لكل شىء » [النحل ـــ ٨٩][1] وقال تعالى « تُدَمِّرُ كلَّ شىء بأمر ربها » [الأحقاف ـــ ٢٥] وقال « يُجْبَى إليه ثمرات كل شىء » [القصص ـــ ٥٧][2] .

وإنما المقصد بذلك « المبالغة » فى الكثير من ذلك النوع المذكور ، قال : ولا يعرف هذا الكلام فى باب الإخبار عما يفعل الإنسان عما يحدث من الأمور مستعملا إلّا على هذا الوجه ، فلا يصح أن يدعى فيه العموم ، فهذا وجه ثان[3] .

وفى كتابه « التنزيه » يفسر المبالغة ، بتفسير العسكرى ، أى أن يصل المتكلم بالمعنى إلى أقصى غاياته ، طالما أن من طبيعته ذلك . يقول « وربما قيل فى قوله تعالى « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يَرْتَدَّ إليك طَرْفُكَ » [النمل ـــ ٤٠] ، كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد فى هذا القدر من الأوقات ، وإن ذلك معلومة استحالته ؟ وجوابنا : إن سرعة الحركة والتحريك لا يعلم منتهى حده ، فلا سريع إلّا ويجوز أسرع منه فلا تمنع صحة ذلك ، إذا كان الله تعالى مَقَوِّياً له عليه ، ومعنى : « قَبْل أن يرتد إليك طَرْفُكَ » ـــ المبالغة فى الإسراع ، لأن ذلك قد يقال فى الأمر السريع الشديد السرعة »[4] .

وبالنسبة للحاكم الجُشَمِى (ت ٤٩٤ هـ) صاحب « تهذيب التفسير »[5] ، وأستاذ الزمخشرى ، فقد أثبت الدكتور عبد الفتاح لاشين أنه تأثر عبد الجبار فى درسه للمبالغة ، بأن أورد تعليقاته على الآيات التى أشار إلى المبالغة فيها[6] .

---

(١) قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » [النحل ـــ ٨٩] .

(٢) قال تعالى « أوَلَمْ نكن لهم حَرَماً آمنا يُجْبَى إليه ثمرات كل شىء » القصص ـــ ٥٧ .

(٣) عبد الجبار ـــ متشابه القرآن ـــ ٢٥/١

(٤) عبد الجبار ـــ التنزيه ـــ ٣٠١ ، نشر دار النهضة الحديثة ـــ بيروت

(٥) د. عبد الفتاح لاشين ـــ بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار ـــ ٦٣٨ ط دار الفكر العربى .

(٦) عن الدكتور عبد الفتاح لاشين ـــ بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار ـــ ٦٣٨ وما بعدها ط دار الفكر العربى .

والمبالغة عند الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) تعنى الكثرة والشدة ، يقول فى قوله تعالى « خُلق الإنسان من عَجَل ، سَأُوريكم آياتى فلا تستعجلون » [الأنبياء — ٣٧] أن معنى القول — فيما يعنى — المبالغة فى وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لَهِجٌ باستدنائه ما يجلب إليه نفعا ، أو يدفع عنه ضرراً ، ولهم عادة فى استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خُلقت إلّا من نوم ، وما خُلق فلان إلّا من شر ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ، وربما قالوا : ما أنت إلّا أكْلٌ وشُرْبٌ ... »[1] كما تعنى المبالغة عنده ، العِظَم والشدة[2] والقدرة[3] والكثرة فى الفعل[4] .

ويعتبر ابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) فى كتابه « العمدة » صَدَىً لكتاب « الصناعتين » ، إلّا أن العسكرى يمتاز عنه بالنزعة إلى الابتكار والجودة فى التصنيف ، والقرب من مواطن الإبداع ، وعصور النضارة ، حيث عاش فى بغداد والبصرة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، والأمر يختلف بالنسبة للقيروان ، ولمن عاش فيها حتى النصف الثانى من القرن الخامس ، والذى كان ينقل رأى القدماء فى المشرق ، ويتحرج أن ينقدهم أو يعارضهم ، أخذاً بقاعدة « كلام العقلاء مصون عن الخطأ » — وفى ابن رشيق للمبالغة يستعمل مصطلحات أخرى ، مثل « الغلو » و « الإيغال » و « الإغراق » ، وهو ينقل عن عبد الكريم النهشلى القيروانى ، أستاذه الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس[5] والذى كان يرى أن المبالغة فى صناعة الشعر « كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد

(١) أمالى المرتضى « غرر الفوائد ودرر القلائد » ١/٤٦٥

(٢) انظر قوله فى آية « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » [الإسراء — ٧٢] الأمالى — ١/٨٧ و ٨٨

(٣) انظر قوله فى حديث الرسول ﷺ « اللهم مُصرِّف القلوب ، صرِّف قلوبنا إلى طاعتك » الأمالى ١/٣١٨ و ٣٢٠

(٤) انظر شرحه السابق لآية « خلق الإنسان من عجل » ١/٤٦٥

(٥) انظر « الممتع فى صنعة الشعر » لعبد الكريم النهشلى — تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية

معنى حسن بالغ ، فشغل الأسماع بما هو محال ، ويُهَوِّل مع ذلك على السامعين — وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن تُمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه »[1] ويعلق ابن رشيق « بأن هذا الكلام فيه كفاية وبلاغة ، إلّا أنه فيما يظهر من فحواه — لم يرد إلّا ما كان فيه بُعْد ، وليس كل مبالغة كذلك »[2] .

ولا جديد عن ابن رشيق ، سوى أن الحاتمى « محمد بن الحسن بن المظفر — أبو على (ت ٣٨٨ هـ) صاحب « حلية المحاضرة » — نقل حديثه عن « الغلو » من قدامة بعد أن تصرف فيه » .

ويمزج ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) بين رأى ابن قتيبة ورأى قدامة ورأى العسكرى ، ويعتمد على جُلّ شواهدهم[3] .

أما عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) فللمبالغة عنده حديث آخر ، هو قد تأثر فيه على وجه الخصوص بالجرجانى (على بن عبد العزيز ، ت ٣٣٧ هـ) والرمانى (ت ٣٨٤ هـ) والعسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ، ولكنه طَعَّمَهُ بروحه ، وزوّده برحيقه ، وهو لم يفرد للمبالغة حديثا خاصاً . إنما تعرض لها فى أثناء تحليله للنصوص ، فربط بينهما وبين الغرض من التشبيه[4] والاستعارة[5] والحذف[6] والتعليل[7] والطباق[8] وفرق بينها وبين الإغراق[9] وأقامها على الإيهام والتجوز[10]

---

(١) العمدة — ٥٤/٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — ط دار الجيل — بيروت

(٢) نفسه — ٥٩/٢ ، ونقد الشعر — ٦٥

(٣) ابن سنان الخفاجي — سر الفصاحة — ٢٥٦ تحقيق محمد عبد المتعال الصعيدى ، ط صبيح ١٩٦٩ م

(٤) الأسرار — ٢٣ و ١٤٤ و ١٨٠ ، والتشبيه المعكوس ١٨١ و ٣٢٣ ، تحقيق محمد رشيد رضا — ط ٦ سنة ١٩٥٩ م ، والدلائل ٦٨ و ٢٦٢ و ٤٢٥ ، تحقيق الشيخ محمود شاكر ط الخانجى ١٩٨٤ م

(٥) الأسرار — ١٨٢ و ١٩٣ و ٢٠٠ ، والدلائل ٤٣٢ و ٤٣٧ و ٤٣٩ و ٤٤٩

(٦) الأسرار — ٢٠٠

(٧) الأسرار — ٢٣٩

(٨) الأسرار — ٢١٩

(٩) الأسرار — ١٧٧ و ٢٠٤

(١٠) الأسرار — ١٨٠ و ١٨٢

وجعل للبراعة فيها فضل السبق ، وميزة التفرد ، وعزة النبوغ ، وهي عنده تعنى « أن يبلغ الواصف فيما يصف غاية الكمال[1] وأن يكون على فرط الاستقصاء[2] حتى لا يحصل عليه مزيد »[3] والمبالغة عنده ، « درجة تأتى بعد درجة الاقتصاد فى الصفة[4] » ، والقول إذا بلغ هذه الدرجة « إذا شاء سحر ، وقلب الصور »[5] .

والمبالغة عند الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) « بلوغ الغاية فى المعنى » ففى قوله تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا ، لولا أُنزِلَ علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم ، وعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً » [الفرقان — ٢١] ، ويقول « وعَتَوْا : تجاوزوا الحد فى الظلم ...، وقد وُصِف العُتُوّ بالكبير ، فبالغ فى إفراطه ، يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم ، إلّا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار ، وأقصى العُتُوّ ... »[6]

والمبالغة عنده تنبيء عن قوة وقوع الحدث ، يقول فى قوله تعالى « إن الله يُدَافِعُ عن الذين آمنوا » [الحج — ٣٨] ، من قرأ « يدافع » فمعناه : يبالغ فى الدفع عنهم ، كما يبالغ من يُغَالب فيه ، لأن فِعْل المغالب يجيء أقوى وأبلغ »[7] ، وفى قوله تعالى « قال أرجئه وأخاه ، وابعث فى المدائن حاشرين ، ويأتون بكل سَحَّار عليم » [الشعراء — ٣٦ و ٣٧] يقول « عَارَضوا قوله تعالى « إنَّ هذا

(١) الأسرار — ٢٧٧
(٢) الأسرار — ١٤٤
(٣) الأسرار — ٥٤
(٤) الأسرار — ٢٠٢
(٥) الأسرار — ٢٧٧

(٦) الكشاف — ٨٨/٣ ط دار المعرفة — بيروت ، وبهامشه كتاب « الانتصاف فيما تضمنه من الاعتزال » لابن المنير السكندرى ، وبآخر الكتاب « تنزيل الآيات على الشواهد على الأبيات » لمحب الدين أفندى ، وانظر قوله فى آية « فتبسّم ضاحكا من قولها » [النمل — ١٩] ، الكشاف ١٤٢/٣
(٧) الكشاف — ١٥/٣ ، وذكر القرطبى فى تفسيره لهذه الآية « ... وقرأ نافع « يُدافع » و « لولا دِفاع » ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير « يَدْفَع » و « لولا دَفْع » ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى « يدافع » و « لولا دفع الله » ص ٤٤٥٩ ط الشعب

لساحر عليم » [الشعراء ـــ ٣٤] . بقولهم « بكل سَحَّار » فجاءوا بكلمة **الإحاطة ، وصفة المبالغة ، ليطامنوا من نفس فرعون ، ويُسَكِّتُوا بعض قلقه »**[1]

وبعد هذا العطاء الخصيب ، والجهد المبدع ، والذهن الوقاد ، والقلم الفنان ، ندع زمخشر ، إحدى قرى خوارزم ، وننطلق إلى الشام ، لنرى ما قاله ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) فى بديعه فى المبالغة[2] يقول ابن منقذ « اعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سُمِّى « مبالغة » ، وقد اختلفت ألفاظه فى كتبهم ، فَسَمَّاه قوم : الإفراط ، والغلو ، والإيغال ، والمبالغة ، وبعضه أرفع من بعض ، كما قال زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كُلِّ مَنْزِلٍ ∴ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحْطَمِ[3]

كأنه تم الكلام عند قوله : حَبُّ الفَنَا ، ثم قال : لم يُحْطَم ، لأنه أشد لحمرته » ثم يستمر ابن منقذ فى رصد الشواهد الأدبية بدون أن يتوقف ، ليقول لنا : أين المبالغة من الإفراط من الغلو من الإيغال ؟ وكيف يكونون شيئاً واحداً ؟

وقد سبق له أن أفرد باباً سَمَّاه « الإغراق » ، يقول فيه « وهو أن يبالغ فى الشيء بلفظه ومعناه ، كما قال المتنبى :

عَهْدِى بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلِهِ ∴ فى النَّقْعِ مُحْجِمَةً عنِ الإِحْجَامِ[4]

ولم يتحدث السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) عن المبالغة فى « المفتاح » بينما استرسل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فى حديث عن « الاقتصاد والتفريط والإفراط » ، ويعرف التفريط : بأن يكون المعنى المضمر فى العبارة دون ما تقتضيه منزلته المعبرة عنه ، والإفراط : أن يكون المعنى فوق منزلته ، ويقول : وقد ذمه قوم من أهل هذه

---

(١) الكشاف ـــ ١١٢/٣ ، وانظر قوله فى آية « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعُصبة أولى القوة » [القصص ـــ ٧٦] والكشاف ١٩٠/٣ ، وآية « فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون » [الشعراء ـــ ٤٥] والكشاف ـــ ١١٣/٣

(٢) البديع فى نقد الشعر ـــ ١٠٤ وما بعدها . تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ود. حامد عبد المجيد ط الحلبى

(٣) من قصيدته : أمن أم أوفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّم ، والعهن : الصوف ، أو المصبوغ ألوانا ، وحب الفنا : حب الثعلب

(٤) البديع فى نقد الشعر ـــ ٨٣ وما بعدها .

الصناعة ، وحمده آخرون ، والمذهب عندى استعماله ، فإنّ أحسن الشعر أكذبه ، بل أصدقه أكذبه ، لكنه تتفاوت درجاته ، فمنه المستحسن الذى عليه مدار الاستعمال ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذُكر من معاملات فى صفاته فإنه دون ما يستحقه ، ومما ورد من ذلك فى الشعر ، قول عنترة :

وَأَنَا المَنِيَّةُ فى المَوَاطِنِ كُلِّها ∴ وَالطعْنُ مِنِّى سَابِقُ الآجَالِ

ومنه ما يستهجن ، كقول النابغة الذبيانى :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الجَبَانُ رِعَاثَها ∴ وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّق يَفْرَقِ[1]

وهذا يصف طول قامتها ، لكنه من الأوصاف المنكرة ، التى خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان ، وكذلك قول أبى نواس :

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنه ∴ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ

وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة ...، ثم يعقد مقارنة بين قولى أبى الطيب المتنبى :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْها عِثْيَراً ∴ لو تَبْتَغِى عَنقاً عَلَيْه لأَمْكَنَا[2]

وقول قيس بن الخطيم :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ∴ يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا ما وَرَاءَهَا

يقول : إن قول المتنبى أكثر غلواً فى هذا المعنى ، لكن قول ابن الخطيم أحسن لأنه قريب من الممكن ، فإن الطعنة تنفذ ، حتى يتبين فيها الضوء ، وإما أن

---

(١) ارتعشت : لبست الرِّعاث وهو القرط

(٢) السنابك : جمع سُنْبك وهو طرف مقدم الحافر ، والعِثْيَرُ : الغبار ، والعَنَق : ضرب من السير شديد ، والمعنى : عقدت سنابك الخيل فوقها غباراً كثيفاً ، لو طُلب عليه السير لأمكن من كثافته . ديوان المتنبى ـــ ٤/٢٠٤ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ـــ نشر دار المعرفة ـــ بيروت .

يجعل المطعون مسلكا تُسْلَكُ ، فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بعيد[1]

وكما يتضح هنا ، لم يُضِيفْ ابن الأثير جديداً على تراث البحث البلاغى فى « المبالغة » ، وكان من الممكن أن يستلهم حِسَّه الفنى ، وأن يستمر فى المقارنات ؟ لنعرف أين حد « المبالغة » من حد الإغراق من واقع الشواهد التطبيقية ، وأحْسَبُ أنه لو فعل ذلك لاصطدم بمفهوم المصطلحات التى حبس نفسه فيها من أول الحديث ، وهو الأديب الفنان .

ويتأثر ابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) ما قاله الرُّمَّانى (ت ٣٨٤ هـ) صاحب رسالة « النكت » فى درس المبالغة ، التى يسميها — ابن أبى الإصبع : « الإفراط فى الصفة » ، ويشير إلى أنها تسمية ابن المعتز ، بينما سَمَّاها قدامة « المبالغة » وسَمَّاها من جاء بعدهما « التبليغ » ، ويقول ابن أبى الإصبع : إن الناس على تسمية قدامة ، ثم يضيف ابن أبى الإصبع على ما ذكره الرُّمَّانى من ضروب المبالغة ، ضربا سادساً وهو : ما بولغ فى صفته بطريق التشبيه[2] ، ويضيف كذلك أن « جميع مبالغات الكتَّاب على ضربين : ضرب غير ممكن لا يأتى إلَّا مقترنا ، كما فى قوله تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » [النور —٤٣] ، والممكن ، كقوله تعالى « سواء منكم من أسَرَّ القول ومَنْ جَهَر به » [الرعد — ١٠] ، ولما كانت ممكنة جاءت المبالغة فيها غير مقترنة ، لأنها فى هذه الآية عرفية ، معنى الكلام فيها « أنَّ عِلْمَ ذلك بالنسبة إلينا ، هو متعذر علينا ، وسَهْلٌ بالنسبة إلى علم الله سبحانه ، فالمبالغة فيها إذاً بالنسبة إلينا ، لا إلى الله عز وجل »[3] .

وهذه المعالجة ، سنراها عند الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) وابن الأثير — نجم الدين والقزوينى (ت ٧٣٩ هـ) ويحيى بن حمزة العلوى (ت ٧٤٩ هـ) ،

(١) المثل السائر — ٢/٣١٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) وذلك فى قوله تعالى « إنها ترمى بِشَرَرٍ كالقصر ، كأنه جِمَالَاتٌ صُفْرٌ » [المرسلات — ٣٢ و ٣٣]

(٣) بديع القرآن — ٥٤ ، تحقيق د. حفنى شرف ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر .

(٤) البرهان — ٣/٥١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثانية — دار المعرفة ، بيروت

(٥) جوهر الكنز — ١٣٥ و ١٣٩ ، تحقيق د. محمد زغلول سَلَّام ، ط منشأة المعارف بالاسكندرية .

(٦) الإيضاح — ٥١٤ ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، ط بيروت ، ١٩٨٠ م .

الذى أحسن الاستفادة من عبد الكريم النهشلى ، وابن الأثير ، والزمخشرى، بين إسهاب وتلخيص ، واجتهادات متواضعة[1] .

ولكن ، ثَمَّةَ معالجة أخرى ، تعتبر امتداداً لخط قدامة بن جعفر فى التأثير بالتراث اليونانى ، وتتمثل فى « حازم القرطاجنى » صاحب « المنهاج » و « السجلماسى » صاحب « المنزع البديع » ، والفرق بين الثلاثة ، أن قدامة تأثر بالاتجاه اليونانى العام فى المنهج ، بينما حاول حازم (ت ٦٨٤ هـ) — ولأول مرة — أن يطبق نظرية أرسطو على النقد والبلاغة فى العربية ، أما السجلماسى — معاصر حازم — فحاول أن يضع نظرية شاملة للنقد والبلاغة فى العربية من خلال نظرية المحاكاة الأرسطية ، مع التوسع فى الشواهد الشعرية ، وضرب الأمثلة .

يثير حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) فى درسه للمبالغة عدة آراء[2] منها :

١ — « أن أفضل الشعر ما حَسُنَت محاكاته وهيئته ، وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة ، واضح الكذب ، خليا من الغرابة ، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يُسَمَّى شعراً »[3] .

٢ — « المحاكاة التامة عنده فى الوصف هى « استقصاء الأجزاء التى بتوالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف ،...، ولو أخل بذكر بعض أجزاء هذه

---

(١) الطراز — ٣/١١٦ ط دار الكتب العلمية — بيروت

(٢) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى « ... وإذا كان قد ثبت ، أن قدامة لم يتأثر فى « نقد الشعر » بكتابى « الخطابة » و « فن الشعر » لأرسطو ، كما برهن على ذلك بُونِبَكَّار Bone bakkar ، ولم نر من ناحية أخرى كتابا من كتب علماء البلاغة فى القرون التالية حتى القرن السابع الهجرى ، قد عرض لنظريات أرسطو فى البلاغة وفى الشعر ، فإننا نستطيع أن نقول : إن حازما هو أول من أدخل نظريات أرسطو ، وتعرض لتطبيقها فى كتب البلاغة العربية الخالصة ، فلا عبد القاهر الجرجانى فى « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ولا الشهاب الخفاجى فى « سر الفصاحة » ولا « السكاكى » فى « المفتاح » ولا « ابن رشيق » فى « العمدة » ، قد تعرض لهذه النظريات ، وإن كانت لا تخلو من أثر أرسطو ، وفى هذا فضل عظيم لحازم القرطاجنى ، يدل على سعة أفقه العلمى ، ومدى فهمه الدقيق لأسرار البلاغة » — انظر « إلى طه حسين فى عيد ميلاده » — ص ٨٧ — دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه — إشراف د. عبد الرحمن بدوى — ط دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م

(٣) منهاج البلغاء — ٧١

الحكاية ، لكانت ناقصة ، ولو لم يورد ذكرها إلّا إجمالًا ، لم تكن محاكاة ، ولكن إحالة محضة »[1] .

٣ ــ « تتحقق المبالغة فى الشعر ، حين يتجاز الشاعر حدود الأوصاف الحقيقية لما يحاكيه ، ويقرنه بما هو أعظم منه حالًا ، أو أحقر ، ليزيد النفوس استمالة إليه ، أو تنفيراً منه »[2] .

٤ ــ « مدار الأوصاف ــ بالنظر إلى ما يُستَسَاغ ويؤثر ــ إنما هو على ما كان واجباً واقعا ، أو ممكنا معتاد الوقوع أو مقدَّرَهُ ، والممكن لا يخلو من أن يتوفر فيه دواعى الإمكان ، أو أن تقل ، وكلما توفرت دواعى الإمكان كان الوصف أوقع فى النفس ، وأدخل فى حيز الصحة ، ولهذا يقال : ممكن قريب وممكن بعيد ، أما المستحيل فهو الذى لا يمكن وقوعه ولا تصوره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلًا فى حال ، والممتنع هو الذى يُتصَوَّر وإن لم يقع ، كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر »[3] .

٥ ــ « وقد يستساغ الوصف بما يؤدى إلى الإحاطة ، حيث يقصد التهكم بالشيء ، أو الزراية عليه ، والإضحاك به ، كقول الطرمّاح :

لَوْ أنَّ بَرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمْلَةٍ ∴ يِكرُّ عَلَى صَفَّىْ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ »[4]

٦ ــ « إنما جرى الغلط على كثير من الناس فى هذا ــ حيث لم يفرقوا بين الوصف الذى لا يخرج عن حد الإمكان ، وإن لم يثبت وقوعه ، وبين الخارج إلى حيّز الاستحالة ، وغلّطهم فى ذلك أبيات وقعت فيها مبالغات ، خفيت عليهم فيها جهات الإمكان ، فظنوا أنها من الممتنعة أو المستحيلة ، ومثل ذلك ، المبالغات التى يمكن أن تُتصوَّر لها حقيقة ،

(١) منهاج البلغاء ــ ١٠٥

(٢) نفسه ــ ٧٣

(٣) نفسه ــ ١٣٣ وما بعدها

(٤) نفسه ــ ١٣٥

وأن تصرف إلى جهة الإمكان ، وإن كان مما يستندر وقوع مثله ، مثل قول المتنبي :

وَأَنَّى اهْتَدَى هذا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ ∴ وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا القَسَاطِلُ
وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كانَ يَسْقِي جِيَادَهُ وَلَمْ تَصْفُ من مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ »[1]

لهذا مستساغ من حيث يمكن أن يُتَصَوَّرَ له حقيقة ، وإن لم تكن واقعة إذ كانت كثرة الجيوش لا حَدَّ لها ، ومتى قُدِّرَت الزيادة في مقدار منها ، وان كَثُرَ — أمكنت ، فجائز أن يغزُوَ أرض قوم من الجيوش ما يصيِّر حَزَنَها سَهْلاً ، وخيارها وَعْثاً ، حتى يصيِّر صخرها رَهَجاً ، وترابها رهبا[2] فيثور نقعها بأقل حركة ، أو نَفَس ، فلا تسكن القساطل فيها مدة ، فأراد المبالغة في جيش ممدوحه ، فجعله بالغا إلى هذا المقدار ، وكذلك سفك الدماء ، ليس له حَدٌّ يَنْتَهِي إليه ... »[3] .

٧ — « ولا يلزم أبا الطيب أن يكون صادقا في ذلك ، لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب ، إلّا أنها لا تتعدى الممكن من ذلك ، أو الممتنع إلى المستحيل ، وإن كان الممتنع فيها أيضا دون الممكن في حسن الموقع من النفوس ،

فأما وصف قول أبي الطيب في وصف الأسد :

سبق التقاءكه بوثبة هاجم ∴ لو لم تصادمه لجازك ميلا

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند دخول رسول الروم ، والقساطل : جمع قسطل وهو الغبار الذى تثيره الخيل بحوافرها ، والمناهل جمع منهل ، وهى المياه التى يكون فيها النهل وهو أول الشرب ، والمنازل التى تكون فى المفاوز — وفيها الماء ، تسمى : مناهل ، يقول : كيف اهتدى إليك هذا الرسول ، وكيف سلك إليك الطريق وخيولك قد ملأتها بالغبار ، وماذا شربت جياده ، وكل الآبار مُلأَى بدماء أعدائك الذين هزمتهم ﷺ الديوان — ١٨٩/٣ بشرح أبى البقاء العكبرى — تحقيق السقا والإبيارى وعبد الحفيظ شلبى — ط بيروت .

(٢) الحزن : الخشونة والغلظة ، الخيار : الأمر المختار المنتقى ، الوَعْثُ : الخشونة ، الرهج : الغبار ، رهبا : صَعْباً فى السير فيه .

(٣) المنهاج — ١٣٥ و ١٣٦

فقبيح ، اذ لا يمكن فى جرم الأسد وقوته من الزيادة ، ما أمكن فى الجيوش والدماء ، وبهذا الاعتبار ، يتبين لك ما يحسن من المبالغة ، وما لا يحسن ، وما يُسَوِّغ .منها وما لا يُسَوَّغ »[1]

و « المبالغة » عند « السِّجِلمَاسِي » ــ من وفيات القرن الثامن الهجري بالمغرب ــ هى : الزيادة فى الوصف ، وهى توكيد معانى القول[2] ، وبعد أن يستعرض أبنية المبالغة التى صرح أن أحد متأخرى النحاة وصل بها إلى إحدى وعشرين صيغة[3] ينتقل إلى المبالغة فى اللفظ المركب ، أى فى الأقاويل ، ثم يقسمها إلى خمسة أجناس . الإغراق والتداخل والاستظهار والإطناب والسلب والإيجاب ، وتحت كل جنس أنواعه ، فتحت الإغراق يضع الغلو والتجاهل والتجريد والاستثناء ...، ويظل يحوّل الأنواع إلى أجناس ، والأجناس تحتها أنواع ، فى محاولة صارمة لضبط المعايير ، وضم الأشتات وتجميد الأطراف ، حتى استوت البلاغة على يديه إلى تمثال ضخم من الحديد ، هَمُّ كل فرع فيه أن يكون له أصل ، وكل أصل فيه أن يكون له دور ، فى «شجرة التركيب البنيوى» للبلاغة فى نظر السلجلماسى ، مما تضاءل معه صنيع الرازى ، والسكاكى والقزوينى وشراح تلخيصه .

وقد حاول السجلماسى أن يطعّم حديثه المنطقى بأمثلة من الشعر ،وبحديث عن الأصل اللغوى للمصطلح . ولم ينجح كل هذا فى إخفاء صرامة منطقه ، وصلادة تقسيمه ، وغياب اللمسة الجمالية من الكتاب كله .

---

(١) نفسه ــ ١٣٦

(٢) المنزع البديع ــ ٢٧١ تحقيق عَلَّال الغازى ــ ط المعارف بالرباط ــ ١٩٨٠ م

(٣) نفسه ــ ٢٧٢

ثانيا : مفهوم الغُلُو عند القدماء

فى باب « الاستقامة من الكلام ، والإحالة » يحدثنا سيبويه (ت ١٨٠ هـ) عن المحال الكذب ، فالكلام : منه المستقيم الحسن ، والمستقيم الكذب ، والمستقيم القبيح ، وما هو محال كذب ...، يقول : وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيك غداً ، وسآتيك أمس ...، وأما المحال الكذب : فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس »[١] .

فالإحالة هنا تعنى أن المسألة خرجت عن حدود الغاية وأقصى النهاية ، إلى مالا يخضع لأى مقاييس ، لا منطقية ولا فنية .

وبعد حديث المبرد (ت ٢٨٥ هـ) عن مجزأة بن ثور ، الذى هو أشجع من أسامة وسَمّى هذا : تشبيها مفرطا متجاوزاً ، قرن إليه شاهداً آخر ، وهو قول أبى دلف القاسم بن عيسى فى المدح :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهى لِكِبَارِهَا ∴ وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَو أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا ∴ عَلَى البَرِّ صَارَ البَرُّ أَنْدَى من البَحْرِ
وَلَو أَنَّ خَلْقَ اللهِ فى مِسْكِ فَارِسٍ ∴ وبَارَزَهُ كَانَ الخَلِيُّ من العُمْرِ[٢]

وفيما يبدو من الصور التى قدمها الشاعر ، أنه تعدى مرحلة المبالغة فى وصف الشجاعة ، إلى تقديم نموذج خرافى لشجاعة ممدوحه ، ولا عيب فى الخرافة ، إنما العيب ألّا يكون المستمع قد تربَّى ذوقه على إدخالها عنصراً من عناصر التصوير الفنى ، لذا ، فهو « غُلُو » من الشاعر ، ذلك لأنه أحالنا إلى المعميات لنقيس عليها المحسوسات ، فـ « همته الصغرى أجل من الدهر » كيف نتصور ذلك ؟ ، « ولو أن خلق الله فى مسك فارس وبارزه كان هذا الفارس محكوما عليه بالإعدام » ، كيف نتصور ذلك ؟

---

(١) الكتاب ـــ ٨/١

(٢) المبرد ـــ الكامل ـــ ١٢٨/٣ ، والمِسْك : الجلد ، والخلى من العمر : المقتول أو الميت .

وفى فصل تركه ابن طَبَاطَبَا (ت ٣٢٢ هـ) عن الأبيات التى أغرق قائلوها فى معانيها ، لم يشرح لنا مفهوم « الإغراق » عنده ، ولكنه ضمَّن الفصل أبياتا نص على احتوائها المبالغة فى الوصف ، ثم أردفها بقوله « وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل فى المعانى التى أغرقوا فيها ، وقال أبو نواس :

وَأَخفتَ أهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّهُ ∴ لَتخافُكَ النُّطَفُ التى لَمْ تُخْلَقِ

وقال بكر بنُ النطاح :[1]

قَالُوا وينظم فَارِسَيْن بِطَعْنَةٍ ∴ يَوْمَ الهِيَاجِ ولا يَرَاه جَلِيلًا
لَا تَعْجَبُوا فَلَو أنّ طُولَ قَنَاتِه ∴ مِيلٌ إذاً نَظَمَ الفَوارِسَ مِيلًا[2]

وأمام هذه المعارض التى يقدمها ابن طباطبا لفن من الفنون ، لا نستطيع أن نلم بمقصوده ، إلّا إذا نَصَّ هو عليه ، فالباحث عن مدلول مصطلح ، ومفهوم معين ، غير الباحث عن جماليات اختيار الشاهد ، وذوق المؤلف فيه .

أما قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، فهو الباحث عن الدقة والموضوعية بغض النظر عن النتائج ، فبعد أن حَدَّ « المبالغة » و « الغلو » ومال إلى « الغلو » بالرغم من تحرزه من أنه لا يكون فى الواقع ، وكأن هذا نقطة ضعف ، تحدث عن « الامتناع » ، والممتنع عنده : الذى يصعب تحقيقه لتنافيه مع النّواميس العامة ، فقول أبى نواس :

يا أَمِينَ اللّهِ عِشْ أَبَداً ∴ دُمْ عَلَى الأَيَّامِ والزَّمَنِ

يقول فيه « وليس من طباع الإنسان أن يعيش أبداً ، وإذاً « الغلو » إنما يقبل « يكاد » ، ويحسن فيه ذلك ، فليس فى « عِش أبداً » ، موضع يحسن فيه ، لأنه لا يحسن فى موضوع الدعاء أن يقال : يا أمين الله تكاد تعيش أبدا »[3] .

---

(١) بكر بن النطاح : من شعراء الدولة العباسية ، كان معاصراً للرشيد ، ومدح أبا دُلَف العجلى
(٢) عيار الشعر ـــ ٨٧ و ٨٨
(٣) نقد الشعر ـــ ٢٤٢ و ٢٤٣ .

وفى درس العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) « للغلو » يضطرب الأمر فى يده ، فيأخذ تعريف ابن قتيبة فى أن المبالغة هى « يكاد يفعل » ولكنه لا يستطيع أو لا يقدر ... الخ ، ويضعه عنوانا على « الغلو » ، يقول : تجاوز الحد فى المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ، كقوله تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » [الأحزاب ـــ ١٠][1] وقوله « وإن كان مكرهم لَتَزُولَ منه الجبال » [إبراهيم ـــ ٤٦] ، بمعنى : لتكاد تزول منه ، ويقال : إنها فى مصحف ابن مسعود مثبتة ، وقد جاءت فى القرآن مثبتة وغير مثبتة ... و « تكاد » إنما هى للمقاربة ، وهى أيضا مع إثباتها تَوَسُّع ، لأن الجبال لا تقارب الزوال ، والقلوب لا تقارب البلوغ إلى الحناجر ، وأصحابها أحياء »[2] .

وهذه الشواهد قد أوردها ابن قتيبة من قبل .

ثم هو يصف قول الخثعمى « يدلى يديه إلى القليب فيستقى » بأنه « إفراط وغلو » ثم بَيَّنَ أن « من الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه ، وإذا تحرز المُبَالِغ واستظهر فأورد شرطا ، أو جاء بـ « يكاد » ، وما جرى مجراها ، يَسْلَم من العيب ، وذلك كقول البحترى :

---

(١) الآية كاملة « إذ جاءوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » .

(٢) وانظر حديثه فى كتابه « الفروق اللغوية » عن « الفرق بين عَلّام وعَلّامة ، أن الصفة بـ « عَلّام » صفة مبالغة ، وكذلك كل ما كان على فَعّال وعَلّامة ، وإن كان للمبالغة ، فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه ، أن يقوم مقام جماعة علماء ، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التى هى فى معناه » ص ٦٨ ـــ وكذا الفرق بين القوة والشدة ص ٨٦ ، وبين القدرة والمُنَّة ص ٨٧ ، ويقول فى الفرق بين الشبه والشبيه ـــ أن الشبه أعم من الشبيه ، ألا تراهم يستعملون الشبه فى كل شىء ، وقلما يستعمل الشبيه إلا فى المتجانسين ، تقول : زيد يُشبه الأسد ، أو شِبْه الأسد ، ولا يكادون يقولون : شبيه الأسد ، وشبيه الكلب ، ويقولون : زيد شبيه عمرو ، لأن باب فعيل حكمه أن يكون اسم الفاعل الذى يأتى فعله على فعُل ، ولا يأتى ذلك فى الصفات ، فإذا قلت : زيد شبيه عمرو فقد بالغت فى تشبيهه به ، وأجريته مجرى ما ثبت لنفسه ، وأضفته إليه إضافة صحيحة ، وإذا قلت : زيد شبيه عمر ، وعمر شبه الأسد ، فهو على الانفصال ، أى شِبْهٌ لعمرو ، وشِبْهٌ للأسد . لأنه نكرة « الفروق اللغوية ـــ تحقيق حسام الدين القدسى ، ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا ... فى وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيكَ المِنْبَرُ

ثم ينتقل إلى عيب « الغلو » ، وهو « أن تخرج فيه إلى المحال ، وتُسَوِّيه بسوء الاستعارة وقبيح العبارة ، كقول أبى نواس :

تَوَهَّمْتُهَا فى كَأْسِهَا فَكَأَنَّمَا ... تَوَهَّمْتُ شَيْئاً لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ
وَصَفْرَاءَ ، أَبْقَى الدَّهْرُ مَكْنُونَ رُوحِهَا ... وَقَدْ مَاتَ مِنْ مَخْبُورِهَا جَوْهَرُ الكُلِّ

فجعلها لا تدرك بالعقل ، وجعلها لا أول لها ، وقوله « جوهر الكل » فى غاية التكليف ونهاية الضعف »[1] .

ونظر ابن رشيد القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) إلى « الغلو » ، نظرةً صحيحة ، بعيداً عن الخلط والنقول ، يقول : « وأصح الكلام عندى ، ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد ، من كتاب الله تعالى ، ونحن نجده قد قرن « الغلو » فيه بالخروج عن الحق ، فقال جل شأنه « يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ » [المائدة ــ ٧٧][1] » ، ولو استشهد بقوله تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله غير الحق » [النساء ــ ١٧١] لكان أظهر للمعنى ، فالغلو : الخروج عن الحق ، الغلو : هو ما بعد المبالغة ، فإذا كانت المبالغة « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته » فالغلو : أن تتجاوز هذه الغاية ، وتتعدى هذه النهاية ، وتكون قد غلوت ولم تَقُل الصدق .

وليت العسكرى قد تنبه إلى ما تنبه إليه ابن رشيق فى معنى الغلو ، الثابت فى القرآن الكريم ، فما قاله أهل الكتاب فى أمر المسيح عليه السلام ، ومريم البتول ، غلو ، يقول الله تعالى فى الآية نفسها « إِنَّمَا المسيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وكلمتُه ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه . فآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ، ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ، انتَهُوا خَيْراً لكم ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَه ، أَنْ يَكُونَ له وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وما فى الأَرْضِ ، وكفى باللهِ وكيلا » [النساء ــ ١٧١] .

---

(١) الصناعتين ــ ٣٦٩ وما بعدها .

(٢) العمدة ــ ٢ : ٧٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل ، بيروت .

وفصّل الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بين « المبالغة » التى هى عنده : البلوغ بالمعنى إلى منتهى غاياته ، وأقصى درجاته ، وبين « الإغراق » الذى جعله فى دائرة اللامعقول ، وقرن بينه وبين التخييل ، فالمبالغة لها أصل ، وتعتمد على التجوز فى الواقع المعروف ، أما التّخييل ، فهو : « أن يثبت الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلًا ، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولًا يخدع فيه نفسه ، ويريها مالا تراه ... » ويقول « وستَمُرُّ بك ضروب من التخييل هى أظهر أمراً فى البعد عن الحقيقة ، تكشف فى أنه خداع للعقل ، وضرب من التزويق »[1] « ... إن لك مع لزوم الصدق والثبوت على محض الحق ، الميدان الفسيح ، والمجال الواسع ، وأن ليس الأمر على ما ظنه ناصر الإغراق والتخييل الخارج على أن يكون الخبر على خلاف المخبر ...، إذا بسط من عِنان الدعوى ، فادَّعَى مالا يصح دعواه ، وأثبت ما ينفيه العقل ويأباه »[2] .

فالمبالغة لها أصل ، والإغراق لا أصل له .

يقول « ... ونوع آخر ، وهو أن يَدَّعى فى الصفة الثابتة للشىء ، أنه إنما كان لِعلّة يضعها الشاعر ويختلقها ، إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح ، أو تعظيم أمر من الأمور ، فمن الغريب فى ذلك ، معنى بيت فارسى ترجمته :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوْزَاءِ خِدْمَتَه ∴ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

فهذا ، ليس من جنس ما مضى ، أعنى ما أصله التشبيه ، ثم أريد التناهى فى المبالغة والإغراق والإغراء ، ويدخل فى هذا الفن ، قول المتنبى :

لَمْ يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وإنَّمَا ∴ حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

لأنه ، وإن كان أصله التشبيه ، من حيث يشبه الجواد بالغيث ، فإنه وضع المعنى وَضْعاً ، وصَوَّرَه فى صورة ، خرج معها إلى مالا أصل له فى التشبيه ، فهو كالواقع بين الضربين »[3] .

(١) الأسرار ـ ٢٢١ .
(٢) نفسه والصفحة .
(٣) الأسرار ـ ٢٢٣ .

ومعنى ذلك ، أن المبالغة ـــ عند الجرجانى ـــ مشروطة بأن يقبلها العقل ، أى أن تكون لها قاعدة تنطلق منها ، وأصل تعود إليه ، وأن الإغراق هو بداية خرق هذه القاعدة ، والخروج عن المنطق ، لأنها لا أصل لها ـــ فى الواقع ـــ تعود إليه .

أما « الغلو » عند الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فهو « مجاوزة الحد ، تجاوزاً غير مطلوب ، فمن قرأ آية « أَلَّا تَعْلُوا علىَّ وأْتُونِى مُسْلِمِين » [النمل ـــ ٣١] « أَلَّا تَغْلُوا عَلَىَّ » من « الغُلُو » وهو مجاوزة الحد ، والغلو : الإسراف أيضا ، « والَّذِين إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا ، وكان بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا » [الفرقان ـــ٦٧] ، فالتقتير : التضييق الذى هو نقيض الإسراف ، والإسراف : مجاوزة الحد فى النفقة ، ووصفهم بالقصد ، الذى هو بين الغلو والتقصير »[1] .

إذن ، المبالغة عند الزمخشرى : بلوغ الغاية فى المعنى ، مع إحداث الحدث بقوة ، والإحاطة بأركانه ، أما الغلو : فهو تجاوز حد المبالغة ، فهو إسراف .

التعقيب :

وبعد هذه الجولة التى طفت فيها ـــ قدر ما استطعت ـــ بما فى تراثنا البلاغى من درس للمبالغة والغلو ،

أقول :

أولا : إن البلاغيين العرب قد فهموا البلاغة على أنها « الكثرة فى إحداث الفعل » فسيبويه ، يحدد للمبالغة صيغها من « فَعَّال » وغيرها التى تدل على الكثرة ، وهى عند ابن قتيبة تعنى : الشدة فى إحداث الحدث ، فمن « المقلوب » من الألفاظ عنده « جونة » يقولون للشمس جونة لشدة ضوئها ، وللغراب أعور لحدة بصره ، وذلك للمبالغة فى الوصف »[2] وهذا هو التصور اللغوى .

---

(١) الكشاف ٣/١٠٠

(٢) ابن قتيبة ـــ تأويل مشكل القرآن ـــ ١٨٥ تحقيق السيد أحمد صقر .

ثانيـــا : ثَمّ تصور فنى آخر للمبالغة ، وهذا قد تعرض لمعالجتين ، أحدهما عربية فى ذوقها ، والأخرى يونانية فى فهمها ، فابن عباس يفسر غِنَى وحِلْم العلىّ القدير بأنه « الذى كمل فى غِناه ، والذى كمل فى حِلمه و « الغنىّ » و « الحليم » صيغتان من صيغ المبالغة ذكرهما سيبويه ، ويقول أيضا ، كل شيء فى القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » فإنه لا يكون ، ذلك لأنه قد جاوز الواقع المشاهد المحسوس ، وصور المعنى فى صورته المثلى والتى عادة مالا تكون ، فى الأقل ، فى لحظة التعبير عنها ، مع ملاحظة الصانع هنا ، فصنعة الله تعالى غير صنعة البشر ، أى أن النظم القرآنى غير الإبداع الشعرى .

وهذا التصور العربى النابع من واقع النظم القرآنى والإبداع العربى نجده عند ابن قتيبة والمبرد والأشناندانى وثعلب وابن طباطبا وغيرهم من أصحاب المنهج الأدبى ، ولكن يلاحظ أن المصطلح لم يستقر بين أيديهم استقراراً نهائيا ، فهو « الإفراط وتجاوز المقدار » و « المفرط المتجاوز » و « بلوغ الشيء غايته » وهو « الإفراط والغلو » و « الإفراط فى الصفة » ثم يأتى قدامة ويضع مصطلح « المبالغة » ويستقر على ذلك .

وهذا تَذَبْذُب لا يعنينا فى شيء إنما الذى يشغلنا موقف القدماء من تصور « مفهوم المصطلح » ، فقد ارتبطوا جميعا بتصوير الواقع ، أو بالبحث عن الواقع فى الصورة الفنية : البحث عن « الحقيقة » فى « المجاز » ، وبقدر وضوحها وقربها والتحام أجزائها تقبل الصورة المبالغ فيها ، ثم إن أراد الفنان الوصول إلى مَرْحَلَةٍ ما بعد الواقع ، فقد كذب ، ولكن كذبا مقبولًا عندهم .

ثالثـــا : وعند قدامة يتحدد الأمر اعتماداً على الفكر اليونانى ، فهناك « المبالغة » وهناك « الغلو » وهناك « الممتنع » ، والمقياس هنا أيضا « الواقع »

« الحقيقة » ، فالمبالغة مرحلة تأتى بعد تصور الواقع ، أو الحدث كما رآه الفنان .

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ∴ وَنُتبِعُه الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

فإكرامه للجار مادام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، واتباعهم إياه الكرامة حيث كان ، من المبالغة فى الجميل ، كما يقول قدامة — وكأن الفنان قد بلغ الغاية فى تصور الكرم المتعارف عليه ، المحمود بأسلوب ، المنضبط بقوانين ، المحدد له « فرض كفاية » : نكرم جارنا مادام فينا ، ومن تعداها فقد بالغ فى الأمر .

رابعــا : يظل مفهوم « المبالغة » عند قدامة ، ذلك المفهوم الذى سيطر على البلاغيين من بعده ، يظل محكوما بحدود ، بمراحل ، فهو مرحلة تالية لمرحلة الوصف التقليدى للحدث ، ويظل المبدع هنا موثوقا بالواقع المستقر للحدث نفسه ، أما اذا أراد أن يطير فى سماء الخيال ويُنشىء « واقعا » من خياله ، وحدثا من صنعه ، بأن يقول عن سيفه :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إنْ ضَرَبْتَ بِهِ ∴ بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهَادِى

فقد « غلا » ، وكان قدامة ذكيا حين أمسك بمنتصف العصا ، فقال إن هذه الصورة ليست خارجة عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادى ، وأن يؤثر بعد ذلك ، ويغوص فى الأرض ، ولكن ، هذا مما لا يكاد يكون . وبالرغم من ذلك فقد قبله ، وجَوَّده ، لأن فلاسفة اليونان يقولون : أحسن الشعر أكذبه ، وفى الصورة « المغالى » فيها ، نجد شخصية الشاعر وتفرده ، ونجد الإبداع النابض ، والفكر الثاقب ، والجمال الأخاذ ، ألم يقل القرآن الكريم « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخياط » [الأعراف — ٤٠] ، إذن ، فلا أمل للذين « كَذَّبُوا بآياتنا واستكبروا عنها » [الأعراف — ٤٠] ، وليس هناك نظم يستطيع تصوير عدم دخول

الذين كذّبوا واستكبروا للجنة ، غير هذه الصورة المبالغ فيها ، والتي تكذب تصورهم في « الغلو » بأنه « مما لا يكاد يكون » ، فأين هذا الجمل الذي يدخل في سَمِّ الخياط ، أو يُنتظر أن يدخل يوما ما ؟

إن فهم البلاغيين للغلو اليوناني ، أوقعهم في اللّبس ، فجعلوا المبالغة مرتبطة بالواقع ، والغلو متجاوز للواقع ، ولو رجعوا للقرآن الكريم لأدمجوا الغلو في المبالغة ، وجعلوها « البلوغ إلى الغاية وأقصى النهاية في المعنى المقصود » ، ولأبدلوا الواقع الحقيقي الذي شغلهم كثيراً بالواقع الفني الذي يبدعه الفنان ، فله حقيقته وله مقاييسه .

ويكون « الممتنع » و « الغالي » و « المُغْرِق » هو المحال الذي لا يستسيغه عقل ولا ذوق ولا فن رفيع ، فالصورة الفنية لابد أن ترضيني وتقنعني قبل أن تمتعني فتطلقني من عقالي الترابي إلى آفاق المجهول، ثم تعيدني مزوداً بفكرة أو بمتعة أو بهما معا .

خامسا : وإذا نحينا مرحلة الجمود البلاغي جانبا ، واستعرضنا معالجات القدماء من ابن عباس إلى الزمخشري ، نجد أن المبالغة قد سيطرت عليها دوائر ربطتها إليها ، فهناك « الكذب والمبالغة » و « الواقع والمبالغة » و « حدود الخيال والمبالغة » و « المحمود والمذموم من المبالغة » ، وكان الأَوْلى أن تربط المبالغة بالصدق الفني ، ونربطها بدرجة البراعة والغرابة والدقة في الاختيار ، ونربطها أيضا بالقدرة على التفكيك للجزئيات المتناثرة ثم تجميعها في صورة واحدة ، ونربطها أيضا بلصوقها بالمبدع نفسه ، وبالهدف نفسه ، وبدرجة ما فيها من نضج وبكارة وطرافة ، أما البحث عن الحقيقة في المجاز ، كما قال الرماني في رسالته « النكت » ، فأمر قد فوّت علينا وعلى الشعراء الفنَّ الكثيرَ .

وقد صَوَّر لنا القرآن الكريم « الغلو » وكيف يكون ، حين خاطب أهل الكتاب ، وقال لهم سبحانه : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في

دينكم ، ولا تقولوا على الله إلّا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ... » [النساء ـــ ١٧١] .

فالغلو : مرحلة ما بعد « الغاية وأقصى النهاية فى المعنى » ، و « الغلو » محال ، و « الغلو » كذب ، لأنه لا أصل له ينتسب إليه ؛ فبينما يتجلى أصل المبالغة فى ارتكاز الفنان على فكرة لها وجود ، وهدف يريد الوصول إليه ، ومتعة يريد إيصالها ، وفن يريد أن يوفره ، وتأثير يريد أن ينقله ... ، وهذا ما أقصده **بالحقيقة الفنية** ، **والواقع الفنى** ، وهى أوسع بكثير وأشمل من الحقيقة المتمثلة أمام أعيننا ، والواقع المتنفّس بين ظهرانينا ، لأنه لا فن فى الحقيقة والواقع ، انما الفن فى كيفية تناولهما وطريقة معالجتهما .

ثالثا : صيغ وزوائد للمبالغة :

(أ) الصيـــغ :

ذكر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فى باب « ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل ، كما يجرى فى غيره مجرى الفعل » صيغا عديدة للمبالغة بقوله « ... وقد جعل بعضهم .

١ ـــ فُعَّالا : بمنزلة « فواعل » ، فقالوا : قُطّان مكة ، وسكان البلد الحرام ، لأنه جمع كفواعل ، وأجروا اسم الفاعل اذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر ، مجراه إذا كان على بناء فاعل ، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلّا أنه يريد أن يحدِّث عن المبالغة ، فما هو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى :

٢ ـــ فَعُول[1] .

(١) عرض الزمخشرى لهذه الصيغة فى قوله تعالى « لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيؤوس قنوط » [فصلت ـــ ٤٩] ، يقول : يؤوس ، قنوط ، بولغ فيه من طريقين : من طريق بناء « فعول » ومن طريق التكرير ، والقنوط أن يظهر فيه أثر اليأس ، فيتضاءل ، وينكسر « الكشاف ٤٥٧/٣ .

٣ ـــ ومفعال[١] .

٤ ـــ وفعَّال[٢] .

٥ ـــ وفَعِل[٣] .

٦ ـــ قد جاء « فعيل » ، كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير ... »[٤] .

ولبعض هذه الصيغ ذِكْرٌ فى رسالة «النكت» للرمانى، (ت ٣٨٤ هـ)[٥]

٧ ـــ وصيغة « الافتعال » عند الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، من صيغ المبالغة ، يقول فى قوله تعالى « فمن حَاجَّك فيه » ـــ أى فى عيسى عليه السلام ـــ « من بعد ما جاءك من العلم » (آل عمران ـــ ٦١) ـــ قيل له هذا ، بعد أن أوحيت إليه البراهين والحجج القاطعة ، فى تثبيت أمر عيسى ، أنه عبد ، فأمر بالمباهلة[٦] ... ، ومعنى الابتهال فى اللغة المبالغة فى الدعاء[٧] .

٨ ـــ وكذا عرض لصيغة « فِعِّيل » فى قوله تعالى « وأمه صِدِّيقة » [المائدة ـــ ٧٥] : أى مبالغة فى الصدق والتصديق ،... وصِدِّيق ،فعيل، من

---

(١) عرض لهما الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، فى قوله تعالى « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً » [١ الأنعام] ، وقال « أى ذات غيث كثير ، ومفعال من أسماء المبالغة ، يقال : ليمة مدرار ، إذا كان مطرها غزيراً دائما ، وهذا كقولهم : امرأة مذكار ، إذا كانت كثيرة الولادة للذكور ، وكذا مئناث فى الإناث : معانى القرآن ٢٠/٢٥١ ، وانظر قول الزمخشرى فى الآية نفسها ـــ ٤/١٦٢ .

(٢) عرض لها الزمخشرى فى قوله تعالى « واتقوا الله إن الله تواب رحيم » [الحجرات ـــ ١٢] ، يقول : والمبالغة فى « التواب » للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عبادة ، الكشاف ٣/٥٦٩ ، وانظر قوله فى آية « وما أنا بظلام للعبيد » [ق ـــ ٢٩] والكشاف ٤/٩ .

(٣) ذكر الزجاج (ت ٣١١ هـ) فى قوله تعالى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نفسه » [البقرة ـــ ١٣٠] أن يونس بن حبيب النحوى (ت ١٨٢ أو ١٨٥ هـ) ، ذهب الى أن فَعِل ، للمبالغة ، كما أن « فَعَّل » للمبالغة ، معانى القرآن وإعرابه ـــ ١/١٨٩ و ١٩٠ .

(٤) الكتاب ١٠٨/١٠ ـــ١١٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب ـــ ١٩٧٧ ، ط الثانية .

(٥) النكت ـــ ٩٦

(٦) المباهلة ـــ الملاعنة ، بأن يدعو كل على الآخر أن تصيبه لعنة الله .

(٧) معانى القرآن ـــ ٢/٢١٦

أبنية المبالغة ، كما تقول : فلان سِكِّيت ، أى مبالغ فى السكوت »[1] .

٩ — ووجد الخطابى (ت ٣٨٨ هـ) فى صيغة « فاعلون » معنى للمبالغة ، وذلك فى قوله تعالى « والذين هم للزكاة فاعلون » [المؤمنون — ٤][2] .

١٠ — والزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) يقف أمام صيغة «فَعَلان» فى قوله تعالى «وما هذه الحياة الدنيا إلّا لهو ولعب ، وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » [العنكبوت — ٦٤] يقول : « والحيوان مصدر حَيِيَ ، وقياسه حييان ، فقلبت الياء الثانية واواً ... ، وفى بناء « الحيوان » زيادة معنى ليس فى بناء الحياة ، وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب ، كالنزوان ، والنغصان ، واللهبان »[3].

١١ — وصيغة « فَعْلان » فى قوله تعالى « الرحمن الرحيم » [الفاتحة — ٣] يقول الزمخشرى : « الرحمن : فيها من المبالغة ، ما ليس فى « الرحيم » » ، ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، ويقولون ، إن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى »[4] .

١٢ — وصيغة « يفاعلون » ، فى قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلّا أنفسهم » [البقرة — ٩] ، يقول : أى وما يخدعون ، فجيء به على لفظ « يفاعلون » للمبالغة »[5] .

وغير هذا كثير[6] .

---

(١) نفسه — ٤٢٩/١

(٢) بيان إعجاز القرآن — ٤١

(٦)) الكشاف — ٢١٢/٣

(٤) الكشاف — ٥٣/١

(٥) الكشاف — ١٧٤/١

(٦) يعرض منها السجلماسى (القرن الثامن) إحدى وعشرين صيغة ، فى كتابه « المنزع البديع » — ٢٧٢، ويعرض ابن يعقوب المغربى (ت ١١١٠ هـ) صيغ المبالغة المتعارف عليها عند السابقين عليه ثم يستأنف قائلًا : وزاد عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) صاحب كتاب « قوانين البلاغة » : مفعيل وفعيل

(ب) روائد للمبالغة :

١ ــ كاد ويكاد :

حدثنا الطبرى (ت ٣١٠ هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) ، رضى الله عنهما ، أنه قال فى آية « فذبحوها وما كادوا يفعلون » [البقرة ــ ٧١] : كادوا لا يفعلون ، ولم يكن الذى أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها ، وكل شىء فى القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » فإنه لا يكون ، وهو مثل قوله « أكاد أخفيها » [طه ــ ١٥][1] .

وردد هذا المعنى أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) فى كتابه « مجاز القرآن »[2] ، ويضيف ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) على استعمال « كاد » أن العرب حين تسمع كلاما لا سبيل إلى تحقيقه فى الواقع ، يفترضون أنه بمعنى « كاد يفعل » أو « كاد يكون » ، ففى قول الشاعر .

تركوا جارهم يأكله ضَبُعُ ∴ الوادى ويرميه الشجـــر

يقول « والشجر لا يرمى أحداً ، وهذا كله على المبالغة فى الوصف ، وينووى فى جميعه « يكاد يفعل » وكلهم يعلم المراد »[3] ويتبعه فى ذلك قدامة (ت ٣٣٧ هـ)[4] والآمدى (ت ٣٧٠ هـ)[5] ويضيف الزجاج (ت ٣١١ هـ) إضافة نفسية

ــ وفُعل وفَعال فى النداء ، مثل يا لكع ويألكاع ، قال الجاحظ : قالوا للفارس شجاع ، فإن زاد قليلا قالوا بطل ، فإن زاد قالوا همة ، فإن زاد قالوا : كمى ، فإن زاد قالوا : صنديد ، فإن بلغ الغاية قالوا : أليس ، وكذلك يجرى الحال فى سائر الطبقات ...، وذكر ابن الزمخشرى الأُمثلة المحولة للمبالغة : فعل وفعال ومفعال ، وذكر أيضا « مفعلان » فى النداء ، مثل : يا مكذبان ويا مكلمان ...، ومعنى كون هذه الألفاظ للمبالغة ، أن العرب وضعتها لذلك المعنى بقيد كونه كثيراً ... »، ومواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ٣٦٧/٤ ، ضمن شروح التلخيص .

(١) تفسير الطبرى ــ ٢١٩/٢ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ، ط دار المعارف ــ الثانية
(٢) أبو عبيدة ــ مجاز القرآن ــ ٦٧/٢ تحقيق فؤاد سزكين ، ط الأولى ١٩٥٤ م الخانجى
(٣) ابن قتيبة ــ تأويل مشكلة القرآن ــ ١٧٨
(٤) قدامة ــ نقد الشعر ــ ٢٤٣
(٥) الآمدى ــ الموازنة ــ ١٥٠

لآية « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » [القلم ٥١] ، يقول « وأما مذهب أهل اللغة ، فالتأويل أنهم من شدة إبغاض لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك ، وهذا مستعمل فى الكلام ، يقول القائل : نظر إلىّ فلانٌ نظراً يكاد يصرع عنى به ، ونظراً يكاد يأكلنى منه ، وتأويله كله ، أنه نظر إلى نظراً لو أمكنه أكلنى ، أو أن يصرعنى لفعل »[1] وقد اعتمد الزمخشرى (٥٣٨ هـ) المفسر الأشهر فى منهجه فى التفسير على الزجاج[2] .

وقد نقل المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) عن أحمد بن محمد الجوهرى أن ذا الرمة « قدم الكوفة ، فوقّف راحلته بالكُناسة يُنْشِدُ قصيدته الحائية ، فلما بلغ قوله :

إذَا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ∴ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[3]

قال ابن شُبرمة : ياذا الرُّمة ، أراه قد برح ، ففكر (ذو الرمة) ساعة ، ثم قال :

إذَا غَيَّرَ النَّأْى المحبين لم أجِدْ ∴ رسيس الهوى من حُب مية يبرح

فرجع غيلان بن الحكم ـــ وكان أحد المتجمهرين ـــ إلى أبى الحكم بن البخْتَرى بن المختار ، فأخبره ، فقال : أخطأ ابن شُبْرُمة حيث أنكر عليه ، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله ، إنما هذا كقول الله عز وجل «أو كظلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجّىٍّ ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِه مَوْجٌ من فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا » [النور ـــ ٤٠] أى لم يرها ولم يكد »[4] .

وقال الزمخشرى فى هذه الآية « لم يكد يراها » مبالغة فى « لم يرها » : أى لم

(١) الزجاج ـــ معانى القرآن ـــ ٣١٢/٢ تحقيق د. فايز فارس . ط الكويت ـــ ١٩٧٩ م ـــ الأولى
(٢) د. مصطفى الجوينى ـــ مناهج فى التفسير ـــ ١٠٣ ط منشأة المعارف بالاسكندرية .
(٣) رسيس الهوى ـــ أثره (اللسان)
(٤) المرزبانى ـــ الموشح ـــ ٢٨٣

يقرب أن يراها ، فضلا عن أن يراها ، ومثله قول ذى الرمة « إذا غَيَّر النأى المُحبِّينَ ... »[1]

٢ ـــ زيادة السين :

فى قوله تعالى « وإذا رَأَوْا آيةً يَسْتَسْخِرُون » [الصافات ـــ ١٤] يقول الزمخشري : يستسخرون : يبالغون فى السخرية ، أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها »[2] وكذلك فى قوله تعالى « يُوفُون بالنَّذْر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » [الانسان ـــ ٧] يقول : فمستطيرا : فاشيا منتشراً بالغا أقصى المبالغة ، من استطار الحريق ، واستطار الفجر »[3] .

٣ ـــ زيادة التاء :

يقول الأخفش الأوسط ـــ أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) فى قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » [البقرة ـــ ١٢٥] ... وألحقت الهاء فى المثابة لما كثر من يثوب إليه ، كما تقول : نسَّابة ، وسيَّارة لمن يكثر ذلك منه »[4] وإلى مثله التفت الزجاج (ت ٣١١ هـ) فى قوله تعالى (وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً) [سبأ ـــ ٢٨] يقول : « كافة » حال من الكاف فى « أرسلناك » ، ولحقت الهاء « كافة » للمبالغة فى الوصف بالكف ، أى أرسلناك كافا للناس ... »[5] . وذهب الزمخشرى فى أن الصواعق فى قوله تعالى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين » [البقرة ـــ ١٩] : جمع صاعقة ، والتاء للمبالغة ، كراوية ، أو

(١) الكشاف ـــ ٦٩/٣ ، وانظر قول الشريف المرتضى (ت ٤٠٦ هـ) فى آية « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » [النور ـــ ٣٥] تلخيص البيان فى مجازات القرآن ـــ ٢٤٥ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ـــ ط الحلبى ١٩٥٥ م .

(٢) الكشاف ـــ ٣٣٧/٣

(٣) الكشاف ـــ ١٩٦/٤

(٤) معانى القرآن ـــ ١٤٦/١

(٥) ابن الشجرى ـــ الأمالى الشجرية ـــ ٤٩/٢ ط دائرة المعارف العثمانية ـــ حيدر أباد الدكن ـــ ١٣٤٩ هـ

مصدراً كالكاذبة والعاقبة »[1] .

٤ ـــ زيادة الحرف بالتشديد :

وذلك فى قوله تعالى (يُصَهَّرُ به ما فى بُطُونِهِم والجُلُود) [الحج ـــ ٢٠] يقول الزمخشرى : وعن الحسن ، بتشديد الهاء للمبالغة ، أى إذا صُبَّ الحميم على رءوسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر ، فيذهب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله (وسُقُوا مَاءً حميماً ، فقطَّعَ أمعاءهم) [محمد ـــ ١٥][2] .

رابعا : وسائل للمبالغة :

المبالغة غاية ، أليست هى البلوغ بالمعنى أقصى نهاياته ، وتحقيق هذا الهدف قد يكون بإضافة زوائد ، أو صياغة الحدث فى شكل صيغة معينة من صيغ المبالغة ، وهناك مستوى آخر من المبالغة لا يعنى الكثرة ولا الشدة بقدر ما يعنى العمق ، والوصول إلى الجوهر ، وهذا المستوى تنوء به المستويات العادية من الصياغة ، ولابد من الخروج على مقتضى الظاهر ، ومستوى الشكل إلى صياغة

(١) الكشاف ـــ ٢١٨/١ ، وانظر قوله فى آية (وما من غائبة فى السماء والأرض إلّا فى كتاب مبين) [النمل ـــ ٧٥] والكشاف ـــ ١٥٨/٣ ، ويذكر ابن الشجرى أن الفراء وثعلب يرون أن « الهاء » للتأنيث لا للمبالغة ، مثل قولهم « علامة ونَسَّابَة وراوية » وكذلك قولهم : رجل مجذابة ومطرابة ومعزابة ، قال : وذلك إذا مدحوه ، كأنهم أرادوا به داهية ، كذلك إذا ذموه ، فقالوا : رجل لَحانة ورجل هِلْباجة جخابة فقاقة ، كأنهم أرادوا به « بهيمة » ـــ والذى ذهب إليه البصريون من أن المراد بتأنيث هذه الأوصاف المبالغة فى الوصف هو الوجه ـــ أمالى ابن الشجرى ٤٩/٢ ، وسبق أن ذكر هذا الرأى أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى تفسيره لآية (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) [البقرة ـــ ١٢٥] ، ولكنه لم يرجح رأيا على آخر ، انظر تفسير الطبرى ٢٥/٣ ـــ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٩ م .

(٢) الكشاف ـــ ٩/٣ وانظر قوله فى آية (ولا تحمّلنا مالا طاقة لّنا بِهِ) [البقرة ـــ ٢٨٦] والكشاف ـــ ٤٠٨/١ ، وفى آية (سورة أنزلناها وفرضناها ، وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذَّكَّرون) [النور ـــ ١] والكشاف ـــ ٤٦/٣ ، وفى آية (ولقد صَدَّقَ عليهم إبليس ظَنَّهُ فاتبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين) [سبأ ـــ ٢٠] والكشاف ـــ ٢٨٦/٣ ، وآية (وشددنا مُلْكَه وآتيناه الحكمة وفَصْلَ الخطاب) [ص ـــ ٢٠] والكشاف ـــ ٣٦٥/٣

أرق تتخذ الأنماط الفنية وسيلة للوصول إلى الهدف ، فالذى يبالغ ، لا يفعل ذلك لكى تتحقق له الاستعارة ، انما يستعير لكى تتحقق له المبالغة ، ولذلك لا نستطيع أن نقول : إن هناك أساليب محددة للمبالغة ، إنما نقول ، هناك وسائل محددة للمبالغة ، أما الأساليب فلا نهاية لها ، وكذا الأغراض .

فمن هذه الأساليب :

١ ـ التنكير للمبالغة :

يقول الزمخشري فى قوله تعالى (... أَعِزَّةٍ على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم) [المائدة ـــ ٥٤] : واللَّوْمة المرة من اللوم ، وفيها وفى التنكير مبالغتان ، كأنه قيل : لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام »[1] .

٢ ـــ الحذف للمبالغة :

يقول الجرجانى ، عبد القاهر فى قول النابغة :

فإنَّكَ كالَّليْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى ∴ وإنْ خِلْتُ أنّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

« ... واعلم أنه قد يجوز فيه أن تحذف الكاف ، وتجعل « الليل » خبراً ، فتقول : فإنك الليل الذى هو مدركى ، أو : أنت الليل الذى هو مدركى ، وتقول فى قول النبى ﷺ « مَثَلُ المؤمن مَثَلُ الخامة من الزرع »[2] : المسلم خامة من الزرع ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » : الناس إبل مائة ـــ ويكون تقديره على أنك قدرت مضافا محذوفا على حد (واسأل القرية) [يوسف ـــ ٨٢] ، تجعل الأصل : فإنك مثل الليل ثم تحذف مثلًا ـــ والنكتة فى الفرق بين هذا الضرب الذى لابد للمجرور بالكاف ونحوها ، من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها ، وبين الضرب الأول الذى هو نحو

(١) الكشاف ـــ ٦٢٣/١

(٢) الخامة : الغضة الرطبة من النبات ، والحديث « مَثَلُ المؤمن مَثَلُ الخامة من الزرع ، تميلها الريح مرة كذا ، ومرة كذا » رشيد رضا ـــ الهامش .

« زيد كالأسد » ، أنك إذا حذفت الكاف هناك ، فقلت : زيد الأسد ، فالقصد أن تبالغ فى التشبيه ، فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير إلى مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذفت ذكر المشبه أصلًا ، فقلت : رأيت أسداً ، أو الأسد ، فأما فى نحو « فإنك كالليل الذى هو مدركى » فلا يجوز أن تقصد جعل الممدوح الليل ، ولكنك تنوى أنك أردت أن تقول : فإنك مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من اللفظ ، وأبقيت المعنى على حاله ، إذا لم تحذف ، وأما هناك ، فإنه : وان كان يقال أيضا : إن الأصل زيد مثل الأسد ، ثم تحذف ، فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأنْ لم يكن لقصد المبالغة ، ألا تراهم يقولون : جعله الأسد ، وبعيد أن تقول : جعله الليل ، لأن القصد لم يقع إلى وصف الليل كالظلمة ونحوها ، وانما قصد الحكم الذى له من تعميمه الآفاق ، وامتناع أن يصير الانسان إلى مكان لا يدركه الليل فيه »[1] .

٣ ــ النفى للمبالغة :

ويشير الشريف المرتضى فى أماليه إلى قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق) [آل عمران ــ ٢١] ، وفى موضع آخر (وَقَتْلَهُمُ الأنبياء بغير حق) [آل عمران ــ ١٨١] ، يقول : وظاهر هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق ...، والجواب : أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ، ومذهبا مشهوراً ، عند من تصفح كلامهم ، وفَهِمَ عنهم ، ومرادهم بذلك المبالغة فى النفى وتأكيده» . فمن ذلك : فلان لا يُرْجى خيره ، ليس يريدون أن فيه خيراً لا يُرْجَى وانما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه ... »[2] .

---

(١) الأسرار ــ ١٩٩ و ٢٠٠ ، وانظر قول الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) فى آية (وَأُشْرِبُوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) [البقرة ــ ٩٣] ، تلخيص البيان فى مجازات القرآن ــ ١١٧ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبى ــ ١٩٥٥ م .

(٢) أمالى المرتضى ــ ٢٢٨/١

٣ ـــ وضع المصدر موضع الصفة للمبالغة :

فى قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا : سلاما) [الفرقان ـــ ٦٣] ، يقول الزمخشرى « هَوْناً : حال ، أو صفة للمشى ، بمعنى هَيِّنين ، أو مشيا هَيِّناً ، إلّا أن فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة »(١) .

٤ ـــ الالتفات للمبالغة :

وذلك فى قوله تعالى (لولا إذ سمعتموه ، ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا إفك مبين) [النور ـــ ١٢] ، يقول الزمخشرى : « فإن قلت : هَلّا قيل : لولا سمعتموه ، ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم ؟ ولِمَ عُدِل عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الضمير إلى الظاهر ؟ قلت : ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات(٢) .

٥ ـــ التشبيه الصريح للمبالغة :

يقول الجرجانى عبد القاهر « اعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف عن مُتَأَمِّله لى صحة ما قلناه ، من التشبيه ، فإنك تقول « زيد كالأسد » أو « مثل الأسد » أو « شبيهٌ بالأسد » فتجد ذلك كُلّه تشبيهاً غُفْلًا ساذجاً ـــ ثم تقول « كأن زيداً الأسد » فيكون تشبيهاً أيضا ، إلّا أنك ترى بينه

---

(١) الكشاف ـــ ٩٩/٣ ، وانظر قوله فى آية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهُون بما كانوا يكسبون) [فُصِّلت ـــ ١٧] ، وآية (هو الملك القُدُّوس السلام) [الحشر ـــ ٢٣] والكشاف ـــ ٧٣/٤ ، وآية (فلما استيأسوا منه خلصوا نَجِيًّا) [يوسف ـــ ٨٠] والكشاف ٣٣٦/٢ ، وآية (واستمع نَفَرٌ من الجِنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآنا عَجَباً) [الجن ـــ ١] والكشاف ـــ ٦٧/٤ ، وآية (ذلكم حُكْم الله يَحْكُم بينكم والله عليم حكيم) [الممتحنة ـــ ١٠] والكشاف ـــ ٩٤/٤ ، وانظر قول الشريف الرضى فى آية (وجاءوا على قميصه بدم كذب) [يوسف ـــ ١٨] تلخيص البيان ـــ ١٧٠ ، وفى آية (نحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك وإذْ هُمْ نجوى) [الإسراء ـــ ٤٧] تلخيص البيان ـــ ٢٠١ ، وقول السِّجِلْمَاسى فى آية (ومن تاب وعمل صالحاً ، فإنه يتوب إلى الله متابا) [الفرقان ـــ ٧١] ـــ المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع ـــ ٢٠٨ .

(٢) الكشاف ٥٣/٣ .

وبين الأول بَوْناً بعيداً ، لأنك ترى له صورة خاصة وتجدك قد فخّمْتَ المعنى ، وزدت فيه ، بأن أفدت أنه من الشجاعة وشدة البطش ، وأن قلبه قلب لا يخامره الذعر ، ولا يدخله الرَّوع ، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه ثم تقول « لئن لقيته لَيَلْقَيَنَّكَ منه الأسد » فتجده قد أفاد هذه المبالغة ، لكن فى صورة أحسن ، وصفة أخص ، ذلك أنك تجعله فى « كأن » يتوهم أنه الأسد ، وتجعله ههنا يُرى منه الأسد على القطع ، فيخرج الأمر عن حد التوهم إلى اليقين »[1] .

٨ ــ التشبيه المعكوس للمبالغة « تشبيه الألوان »

يقول الجرجانى فى الأسرار « ... ألا ترى إلى ابن الرومى حيث قال :

حِبْرٌ أبى حفص لُعَابُ اللَّيْلِ ∴ يَسِيلُ للإخوان أىَّ سَيْلِ[2]

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ... فإن قلت : فينبغى على هذا أن لا يجوز تشبيه الصبح بغرة الفرس[3] لأجل أن الصُّبْحَ بالوصف الذى لأجله شُبِّهَ الغُرَّةُ به ، أَخَصُّ ، وهو فيه أظهر وأبلغ ، والتفاوت بينهما كالتفاوت بين خافية الغراب والقار ، وبين ما يُشَبَّهُ بهما ، فالجواب : أن الأمر ، وإن كان كذلك ، فإن تشبيه غرة الفرس بالصبح حيث ذكرت ، لم يقع من جهة المبالغة فى وصفها بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ، وإنما قُصد أمرٌ آخر وهو وُقُوعُ مُنِيرٍ فى مُظْلِمٍ ، وحصولُ بياضٍ فى سوادٍ ، ثم البياض صغير قليل بالإضافة إلى السواد ، وأنت تجد هذا التشبيه على هذا الحد فى الأصل ، فإذا عكست فقلت كان الصبحُ عند ظهور أوَّله فى الليل غُرَّةً فى فرسٍ أَدْهَمَ لم تقع فى مناقَضَة ، كما أنك لو شبهت الصبح فى الظلام بعلم بياض على ديباج أسود ، ولم تخرج عن

---

(١) الدلائل ــ ٤٢٥ فقرة ــ ٥٠٠ .

(٢) نقل شارح شواهد الإيضاح عن ديوان ابن الرومى فى مدح جُرَد بن حَفْص الوراق :

حبر أبى حفص لعاب الليل ∴ كأنه ألوان دُهْمِ الخيل

يجرى إلى الإخوان جرى السيل ∴ بغير وزن وبغير كيل

هامش ١٧٩ تحقيق رشيد رضا

(٣) يقصد قول ابن المعتز :

والصبح فى طرة ليل مُسْفِرٍ ∴ كأنه غُرَّةُ مُهْرٍ أَشْقَرَ

(الأسرار ــ ١٦٩) .

الصواب ... وجملة القول ، أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة فى إثبات الصفة للشيء ، والقصد إلى إيهام فى الناقص أنه كالزائد ، واقْتُصر على الجمع بين الشيئين فى مطلق الصورة والشكل واللون ، أو جمع وصفين على وجه يوجد هو أو قريب منه فى الأصل — فإن العكس يستقيم فى التشبيه ، ومتى أريد شيء من ذلك — « أى إلى ضرب من المبالغة » — لم تستقم[1] .

٧ — الاستعارة للمبالغة

فى الدلائل ، يقول فى بيت الحماسة :

إذا هَزَّه فى عَظْمِ قِرْنٍ تَهَلَّلت ∴ نَواجِذُ أفْوَاهِ المنايا الضَّوَاحِكِ[2]

« فإنه لَمَّا جعل « المنايا » تضحك ، جعل لها « الأفواه والنواجذ » التى يكون الضحك فيها ... فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم فى بيت الحماسة أنه استعار لفظ « النواجذ » ولفظ « الأفواه » ، لأن ذلك يوجب المحال ، وهو أن يكون فى المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ ، وشيء قد شبهه بالأفواه ، وليس إلّا أن تقول : إنه لمَّا ادَّعى — أن المنايا تُسَرُّ وتستبشر ، إذا هو هَزَّ السيف ، وجعلها لسرورها بذلك تضحك — أراد أن يبالغ فى الأمر ، فجعلها فى صورة من يضحك حتى تبدو نواجذه من شدة السرور »[3]

ويقول « ... واعلم أنك تراهم لا يمتنعون إذا تكلموا فى « الاستعارة » من أن يقولوا : إنه أراد المبالغة فجعله أسداً ، بل هم يلجأون إلى القول به ...[4] ...

---

(١) الأسرار ، ١٧٩—١٨١ تحقيق محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٥٩ م — وانظر فى هذا قول الزجاج (ت ٣١١ هـ) فى آية (صفراء فاقع لونها) [البقرة — ٦٩] : فاقع : نعت للأصفرار الشديد الصفرة ، يقال : أصفر فاقع ، وأبيض ناصع ، وأحمر قانٍ ، قال الشاعر : ... الخ ، ويقال أحمر قاتم ، وأبيض يقق ، ولهق ولهاق ، وأسود حالك وحلوك وحلوكيّ ، ودجوجى ، فهذه كلها صفات مبالغة فى الألوان — معانى القرآن وإعرابه — ١٢٤/١ وانظر السجلماسى : المنزع البديع ص ٢٢٨ .

(٢) الشعر لتأبط شراً ، وهو فى شرح الحماسة للتبريزى ٤٩/١ ، والضمير فى « هزه » للسيف فى البيت السابق عليه .

(٣) الدلائل — ٤٣٦

(٤) الدلائل — ٤٣٦

فإذا ثبت أن ليست « الاستعارة » نقل الاسم ، ولكن إدعاء معنى الاسم ــ وكُنّا إذا عقلنا ــ من قول الرجل « رأيت أسداً » أنه أراد المبالغة فى وصفه بالشجاعة ، وأن يقول : إنه من قوة القلب ، ومن فرط البساطة ، وشدة البطش ، وفى أن الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له ، بحيث لا ينقص عن الأسد ــ لم نعقل ذلك من لفظ « أسد » ولكن من ادعائه معنى الأسد الذى رآه »[1] .

٨ ــ التفصيل بعد الإجمال للمبالغة

وذلك فى قوله تعالى (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) [الشعراء ــ ١٣٠] ، يقول الزمخشرى « وإذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظُلْماً وعُلُواً ، وقيل : الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب ، وعن الحسن : تبادرون تعجيل العذاب ، ولا تتثبتون متفكرين فى العواقب ، بالغ فى تنبيههم على نِعَم الله حيث أجملها ثم فصلها ، مستشهداً بعلمهم ، وذلك أن أيقظهم عن سِنَةِ غفلتهم عنها ، حيث قال (أمدكم بما تعلمون) [الشعراء ــ ١٣٢] ، ثم عَدَّدَها عليهم ، وعَرَّفَهم المُنْعِم بتعديد ما يعلمون من نعمته ، وأنه كما قَدَرَ أن يتفضل عليكم بهذه النعمة ، فهو قادر على الثواب والعقاب ، فاتقوه »[2] .

٩ ــ التكرار للمبالغة

كما سبق فى قول الزمخشرى فى آية (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مَسَّهُ الشَّرُّ فيَئُوس قَنُوط) [فُصِّلت ــ ٤٩][3] .

---

(١) الدلائل ــ ٤٣٧ ــ وانظر قول الشريف فى آية (مالهم به من علم إلّا إتباع الظن وما قتلوه يقينا) [النساء ــ ١٥٧] تلخيص البيان ــ ١٢٩ ، وفى آية (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) [إبراهيم ــ ٣٧] تلخيص البيان ــ ١٨٤ ، وانظر قول السلجماسى « إن حاصل الاستعارة : المبالغة فى التخييل والتشبيه مع الإيجاز غير المُخِلّ بالمعنى ، والتوسعة على المتكلم فى العبارة » ــ المنزع البديع ــ ٢٣٥

(٢) الكشاف ــ ١٢٢/٣

(٣) الكشاف ــ ٤٥٧/٣ ، وانظر قوله فى آية (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) [ص ، ١١ــ١٢] والكشاف ــ ٣٦٢/٣ ، وانظر جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ــ ص ٣ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

١٠ ـــ الطباق للمبالغة

فى قول ذى الرمة :

وبَيْضٍ رَفَعْنَا بالضُّحَى عَن مُتُونِها ∴ سِمَاوَةَ جَوْنٍ كالخِبَاءِ المُقَوَّضِ
هَجُومٌ عَلَيْها نَفْسَه غَيْرَ أنَّهُ ∴ مَتَى يُرْمَ فى عَيْنَيْه بالشَّبْحِ يَنْهَضِ

يقول الجرجانى « قالوا فى تفسيره ، يعنى بالبَيْض : بَيْض النعام ، و « رفعنا » أى : أثرنا عن ظهورها ، وسماوة جون أى شخص نعام جون ، وسماوة الشيء شخصه ، والجون الأسود ههنا ، لأنه قَابَل بين البياض والسواد ، ثم شبه النعام فى حال إثارته عن البيض بالخباء المقوض ، وهو الذى نُزِعَت أطنابه للتحويل ، والبيت الثانى من أبيات الكتاب[1] أنشده شاهداً على إعمال فعول عمل الفعل ، وذلك قوله : هَجُوم عليها نفسه » و « نفسه » منصوب بـ « هجوم » على أنه من هَجَمَ متعديا ، نحو : هجم عليها نَفْسَه ، أى طرحها عليه ، وكأنه أراد أن يصف الظليم فى خوفه ، بأمرين متضادين : بأن يبالغ فى الانكباب على البيض ، فِعل من شأنه اللزوم والثبات ، وأن يثيره عنها الشيء اليسير ، نحو أن يقع بصره على الشخص من بُعْد ، فِعل من كان مستوفزاً فى مكانه غير مطمئن ، ولا موطنٌ نفسه على السكون ، وقوله « يُرْمَ فى عينيه بالشَّبْح » كلام ليس لحسنه نهاية »[2].

١١ ـــ التعليل للمبالغة

وذلك فى قول المتنبى :

---

(١) الكتاب ـــ ١/١١٠ ، تحقيق هارون ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧ م ، ويقول المحقق « يصف ظليما ، وهو ذكر النعام ، يقول : يهجم نفسه على البيض أى يلقيها عليها حاضنا لها ، فإذا فوجيء بشبح أى شخص ، فارق بيضه ونهض هاربا ، والشَّبْحُ بسكون الباء ، لغة فى الشَّبَح بفتحها » ومثال المبالغة عن طريق الجمع بين النقيضين ما ذكره ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أن من المبالغة قولهم : لا شَوْبَ ولا رَوْبَ ، ولا شَيْبَ ولا عَيْبَ ـــ ابن الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) : ما عنده شَوْبٌ ولا رَوْبٌ ، والروب : اللبن ، والشوب : العسل ،... ويقول الميدانى : لا شوب ولا روب عند البيع والشراء فى السلعة تبيعها ، أى أنك برىء من عيوبها ـــ ابن فارس ـــ الاتباع والمزاوجة ـــ ٣١ تحقيق كمال مصطفى ط الخانجى والمثنى ـــ ١٩٤٧ م .

(٢) الأسرار ـــ ١٧٧

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ ∴ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

يقول الجرجاني في الأسرار « ... الذي يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه . فلإرادته إهلاكهم ، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ، وليَسْلَمَ ملكُهُ ويَصْفُو من منازعاتهم ، وقد ادعى المتنبي — كما ترى — أن العلة في قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك ، واعلم أن هذا لا يكون حتى في استئناف هذه العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح ، أو يكون لها تأثير في الذم ، كقصد المتنبي ههنا في أن يبالغ في وصفه بالسخاء والجود ، وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين ، وأن يجنبهم الخيبة في آمالهم ، قد بلغت به هذا الحد ، فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها رزقها ، ويخصب لها القوت من قتلى عِدَاه ، كره أن يُخْلِفَها ، وأن يخيب رجاءها ولا يسعفها »(1) .

١٢ — التجريد للمبالغة

ذكر القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في الإيضاح « التجريد » : أن يُنْتَزَع من أمر ذي صفة ، أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه .

وهو أقسام : منها ، نحو قولهم « لي من فلان صديق حميم » أي : بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يُسْتَخْلَصَ منه صديق آخر .

ومنها ، نحو قولهم « لئن سألتَ فلانا ، لَتَسْأَلَنَّ به البحر »

ومنها ، قول الشاعر :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الوَغَى ∴ بِمُسْتَلْئِمٍ مِثْلِ الفَنِيقِ المُرَحَّلِ(2)

أي تعدو بي ، ومعي من نفسي — لكمال استعدادها للحرب ، مستلئم أي لابس لأمة . ومنها ، نحو قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) [فصلت — ٢٨] ،

---

(1) الأسرار — ٢٣٨ و ٢٣٩

(2) شوهاء : وصف لفرسه ، يعني أنها مشوهة قبيحة المنظر ، الوغى : الحرب ، وصارخها : المستغيث فيها أو بسببها ، مستلئم : لابس اللأمة وهي الدروع ، الفنيق : فحل الإبل الكريم يُخَلّى من العمل للفحلة ، المُرَحَّل : المطلق المُرْسَل ، يشبه نفسه بهذا الفحل .

فإن جهنم ــ أعاذنا الله منها ــ هي دار الخلد ، لكن انْتُزِعَ منها مثلها ، وجعل مُعَداً فيها للكفار ، تهويلا لأمرها ... ومنها : مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ∴ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

... الخ »[1] .

ومفهوم مصطلح التجريد أسبق من القزويني بكثير[2] وشواهده هذه قد سبقه إليها ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في الخصائص ، وهي الشواهد التي تتكرر في كتب

---

(١) الإيضاح ــ ٥١٢ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ــ ط بيروت ــ ١٩٨٠ م ، الخامسة .

(٢) ذكر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في باب « ما يختار فيه الرفع ، ويكون فيه الوجه في جميع اللغات » أنه ... « ولو قال أما أبوك فَلَكَ أَبٌ ، لكان على قوله : فَلَكَ به أَبٌ ، أو فيه أب ، وإنما يريد بقوله : فيه أب ، مجرى الأب على سَعَة الكلام . الكتاب ــ ٣٩٠/١ تحقيق هارون ــ الثانية ١٩٧٧ م ، وأفرد ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) بَاباً في الخصائص باسم « التجريد » يقول فيه « رأيت أبا على ــ (يقصد : أبا على الفارسى ، الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ هـ) ، صاحب الإيضاح والحجة وغيرهما) ــ رحمه الله ــ به غَرِيًّا مَعْنِيًّا، ولم يفرد له باباً ، ولكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السِّمة ، فاستقريتها منه ، وأَنِقْتُ لها ، ومعناه : أن العرب قد تعتقد في الشيء من نفسه معنىً آخر ، كأنه حقيقته ، وقد يجرى ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها ، وذلك نحو قولهم : « لئن لقيت زيداً لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته ، لتسألن منه البحر » ، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً ، وهو عينه هو الأسد والبحر ، لا أن هناك شيئاً منفصلا عنه ، وممتازاً منه » ثم أتى على الشواهد التي تنوقلت عنه ــ فيما أظن ــ إلى مَن أتى مِن بعده ، ولكنه لم يعقد بين التجريد والمبالغة ، الخصائص ــ ٤٧٣/٢ وما بعدها ، ويقول الدكتور عبد القادر حسين : « ويبدو أن الفارسى هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد ، كما يشير إلى ذلك ابن أبى الحديد في « الفلك الدائر على المثل السائر ــ ٢٢٠/٤ » انظر ، أثر النحاة في البحث البلاغى ــ ٣٢٣ ، ط دار نهضة مصر ــ وقد رَدَّد صاحب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج [وصاحبه : مكى بن أبى طالب حَمُّوش القيروانى] (ت ٤٣٧ هـ) كلام أبى على الفارسى في « التجريد » . انظر إعراب القرآن ــ ٦٦٤/٢ ، وفي اثبات نسبة الكتاب إلى مكى القيروانى ، انظر بحث الأستاذ أحمد راتب النفاخ « كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ــ تحقيق نسبته واسمه وتعريف بمؤلفه واستكمال لتحقيق بعض أبوابه ــ ص ٥ ، فِصْلَة من مجلة مجمع اللغة العربية ــ دمشق ١٩٧٣ م ، وقد حَوَّمَ الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) حول معنى « التجريد » في تفسيره لآية (لهم فيها دار الخلد) [فصلت ــ ٢٨] ، ولكنه لم يقع ، (الكشاف ــ ٤٥٢/٣) ، وجادل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) أبا على الفارسى في حديثه عن « التجريد » ، ولكنه لم يذكر علاقة « التجريد » بـ « المبالغة » ــ انظر المثل السائر ــ ٤٢٣/١ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ــ ١٩٣٩ م ط الحلبى .

البلاغيين فى حديثهم عن التجريد ، لكنى لم أجد ـ حسب علمى ـ عند غير القزوينى من قرن التجريد إلى المبالغة وجعلها وسيلة من وسائلها ، وتبعه فى ذلك شراحه[1] .

١٥ ـ المزاوجة بين الشرط والجزاء للمبالغة

ذكرها ابن يعقوب المغربى فى شرحة « مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح » فى أثناء حديثه عن قول البحترى المشهور :

إِذَا مَانَهَى النَّاهِى فَلَجَّ بِى الهَوَى ∴ أَصَاخَتْ إِلى الوَاشِى فَلَجَّ بِى الهَجْرُ

يقول « المزاوجة ، أن يقرن بين معنيين ، وقع أحدهما فى الشرط والآخر فى الجزاء ، فى معنى واحد ،... ولا يخفى ما فى ترتيب لَجَاج الهوى على النُّهىَ من المبالغة فى الحب لاقتضائها أنّ ذِكْرَهَا ولو على وجه العتب يزيد حبها ويثيره ، كما قال :

أَجِدُ المَلَامَةَ فِى هَوَاكِ لَذِيذَةً ∴ حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وما فى ترتيب لزوم الهجران على وشى الواشى من المبالغة ، فى إدعاء كون حبها على شفا إذْ يزيله مطلق الواشى ، فكيف يكون الأمر لو سمعت أو رأيت عيبا ... والمبالغتان مما يستحسن فى باب كل منهما .. »[2] .

٥ ـ من أغراض المبالغة

ما مَرَّ بنا من وسائل للمبالغة ، لم تكن مقصودة لذاتها ، إنما كانت تهدف إلى تحقيق غرض أبعد منها ، وقد رصد القدماء من هذه الأغراض ، غرض تقريب الصورة ، وتمكين الحدث وتوكيده ، والتهكم ، والتمثيل ... الخ .

١ ـ المبالغة لتقريب الصورة

يقول الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) فى قول امرىء القيس :

---

(١) انظر ، شروح التلخيص ـ للسبكى والتفتازانى والمغربى ـ ٣٤٨/٤ ط الحلبى .

(٢) مواهب الفتاح ـ ٣١٧/٤ و ٣١٨ ضمن شروح التلخيص .

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فى قَدَارّان ظَلْتُه ∴ كأنى وأصحابى عَلى قَرْنٍ أعْفَرا[1]

أنه أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ، ومفارقة السكون والاستقرار ، وإنما خصَّ الظبى ، لأنه قرنه أكثر تحريكا واضطرابا ولنشاطه ومرحه وسرعته[2] وفى القرآن الكريم يرى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) أن معنى قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) [الأنفال ـــ ٢٤] ، والمبالغة فى الإخبار عن قربه من عباده ، وعلمه بما يبطنون ويخفون ، وأن الضمائر المكنونة ، له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق ـــ ١٦] : ونحن نعلم أنه لم يُرِدْ بذلك قرب المسافة بل المعنى الذى ذكرناه[3] ويقول الزمخشرى فى قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) [آل عمران ـــ ١٣٣] : أن « عرضها عرض السموات والأرض » كقوله « عرضها كعرض السموات والأرض » (الحديد ـــ ٢١) والمراد : وصفها بالسعة والبسطة ، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه ، وخَصَّ العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول ، للمبالغة ، كقوله « بطائنها من إستبرق » (الرحمن ـــ ٥٤)[4] .

٢ ـــ المبالغة تمكين الحدث وتوكيده

يقول الزمخشرى فى قوله تعالى « وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبْصَارِهِنَّ ، ويحفظن فروجهن ، ولا يُبْدين زينتهن إلّا ما ظهر منها » (النور ـــ ٣١) :... وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الأمر بالتصون والتستر ، لأن هذه الزِّيَن[5] واقعة على مواضع من الجسد ، لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء ، وهى الذراع والساق والعضد والعنق والصدر والأذن ، فنهى عن إبداء الزِّيَن نفسها، ليُعْلمِأن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع ـــ بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها ـــ لا مقالة فى حِلِّهِ ـــ كان النظر إلى المواقع أنفسها ، متمكنا فى الحظر ، ثابت القدم فى الحرمة

(١) قدارات : قرية بالشام ، وأعفر : أراد قرن ظبى أعفر ـــ ديوانه : ١٠٦ ، هامش الأمالى .

(٢) الشريف المرتضى ـــ الأمالى ـــ ٣٢٩/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الحلبى ١٩٥٤ م .

(٣) نفسه ـــ ٥٢٧/١

(٤) الكشاف ـــ ٤٦٣/١

(٥) الزين : جمع زينة ـــ أساس البلاغة للزمخشرى ـــ ٢٨٠ بيروت

شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن فى سترها ، ويتقين فى الكشف عنها »[1] .

٣ ـــ المبالغة للتهكم

يقول الزمخشرى فى قوله تعالى « فلما جاءهم رُسُلُهم بالبينات فَرِحُوا بما عندهم من العِلم ، وحاق بهم ما كانوا يستهزئون » (غافر ـــ ٨٣) ، فرحوا بما عندهم : مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرّة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء »[2] .

٤ ـــ المبالغة على سبيل التمثيل

يقول الشريف المرتضى فى قول الرسول ﷺ « لَعَنَ الله السارق ، يَسْرِقُ البيضة فَتُقْطع يده ، وَيَسْرِقُ الحبل فتقطع يده »[3] : وأما الحبل فذكر على سبيل المثل ، والمراد المبالغة فى التحقير والتقليل ، كما يقول القائل : ما أعطانى فلان عقالاً ، وما ذهب من فلان عقال ، ولا يساوى كذا نقيراً ، كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة فى التقليل[4] وكذا ذهب الزمخشرى فى قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا مُنْظَرين » (الدخان ـــ ٢٩) ...، وهذا الكلام وارد على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه[5] وكذا فى قوله تعالى « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » (الزخرف ـــ ٨١) ... على سبيل الفرض والتمثيل[6] .

٥ ـــ المبالغة بغرض الدفاع عن الدين

لم يتخلف أحد من المسلمين العلماء عن الذود عن دينه ، سُنّياً كان أو أشعريا أو معتزليا ، وسنكتفى هنا بمثالين ، أحدهما للخطابى السنى (ت ٣٨٨

(١) الكشاف ـــ ٦١/٣

(٢) نفسه ـــ ٤٣٩/٣

(٣) البيضة ـــ يعنى بها الكثير الجليل ، والحبل : يعنى به الحقير القليل ، هامش الأمالى .

(٤) الأمالى ـــ ٢/ من ٥ إلى ٩

(٥) الكشاف ـــ ٥٠٤/٣

(٦) نفسه ـــ ٤٩٧/٣

هـ) والآخر معتزلى شيعى هو الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) ، فالخطابى ، أبو سليمان حَمْد بن محمد ، قد أفرد رسالته « بيان إعجاز القرآن » للرد على المعترضين والمغرضين ، يذكر رأيهم ثم يتولى تفنيده ، فمثلا يقولون فى قوله تعالى « والذين هم للزكاة فاعلون » (المؤمنون — ٤) : إن المستعمَل فى الزكاة المعروض لها من الألفاظ ، الأداء والإيتاء ، ونحوها ، كقولك : أدَّى فلان زكاة ماله ، وآتاها ، وأعطاها ، أو زكَّى ماله ، ولا يقال : فعل فلان الزكاة ، ولا يعرف ذلك فى كلام أحد — الجواب : أن هذه العبارات لا تستوى فى مراد هذه الآية ، وإنما تفيد حصول الاسم فقط ، ولا تزيد على أكثر من الإخبار على أدائها فحسب ، ومعنى الكلام ومراده « المبالغة » فى أدائها ، والمواظبة عليه ، حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم ، فيصير أداء الزكاة فعلا لهم ، مضافا إليهم ، يُعْرَفون به ، فهم له فاعلون ، وهذا المعنى لا يُسْتَفاد على الكمال ، إلّا بهذه العبارة ، فهى أَوْلى العبارات ، وأبلغها فى هذا المعنى ... »[1] .

والشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) ينفى التشبيه عن الله سبحانه ، ويرى فى آية « يد الله مغلولة » تجوزاً وبقصد المبالغة ، يقول : وفى قوله تعالى « وقالت اليهود يَدُ الله مغلولة ، غُلّت أيديهم ، ولُعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء » (المائدة — ٦٤) ، فهذه استعارة ، ومعناها أن اليهود ، أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه ، فكذَّبهم تعالى بقوله « بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء » ، وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة ، إنما المراد به المبالغة فى وصف النعمة ، كما يقول القائل ، ليس لى بهذا الأمر يدان ، وليس يريد به الجارحتين ، وإنما يريد المبالغة فى نفى القوة على ذلك الأمر ، وربما قيل : إن المراد نعمة الدنيا ، ونعمة الآخرة »[2] .

والعدل الإلهى يتجلى فى عطاء الله للإنسان على حسب ما يعلمه من مصالحه ، لا على حسب ما يسنح به مآربه ، يقول الشريف الرضى فى قوله

---

(١) الخطابى — بيان إعجاز القرآن — ٤١ ، ضمن « ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن » تحقيق د. محمد زغلول سلام — ط دار المعارف ، الطبعة الثالثة .

(٢) تلخيص البيان — ١٣٣ ، وانظر قوله فى آية « سَنَفْرُغُ لكم أيها الثقلان » ، وقوله « ذَرْنى ومن خلقت وحيدا » (المدثر — ١١) ، تلخيص البيان — ٣٢٢ وما بعدها .

سبحانه « خلق الإنسان من عجل » (الأنبياء ــ ٣٧) ، إن المراد أن الإنسان خلق مستعجلا بطلب ما يؤثره ، واستطراف ما يحذره ، والله سبحانه إنما يعطيه ما طلب ، ويصرف عنه ما رهب : على حسب ما يعلمه من مصالحه ، لا على حسب ما يسنح من مآربه ، وقيل ذلك على طريق المبالغة فى وصف الإنسان بالعجلة ، كما يقال فى الرجل الذكى : إنما هو نار تتوقد ، وللانسان البليد : إنما هو حجر جلمد »[1] .

(١) تلخيص البيان ــ ٢٣٠

ثالثا : التعليل وطرافة التعليل

التعليل وطرافة التعليل

لكل موجود علة ، ولكل كائن سبب فى وجوده ، وكلما كانت العلة مقنعة ، كان المعلول مُقْنعاً ، قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدونِ » (الذاريات ـــ ٥٦) ، وقال المصطفى ﷺ « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسِّوَاك عند كل صلاة » .

فالعلة هى المبرر لإحداث الحدث .

والقضية هنا تبدو فلسفية ، فالعلة تحدد قيمة المعلوم ، والمعلوم يحدد قدر العلة وطبيعتها ، فثمة علاقة ...، وإذا طرقنا ميدان الشريعة أو القوانين الوضعية ، أو أى مجال من مجالات الدراسات الإسلامية أو الفن أو العلوم ، سنجد العلة والسببية عاملًا هاماً تنجذب إليه عوامل عديدة ، وتدور فى فلكه عوامل أخرى .

أما فى البلاغة ، فالأمر يختلف ، هى لا تسأل عن جوهر العلّة وغايتها ، إنما تسأل عن « التعليل » ، أى عن كيفية صوغ العلة ، عن أسلوب عرض هذه العلة ، وطريقة اكتشافها ، والربط بينها وبين المعلول ، البلاغة تسأل عن كيفية توصيل مفهوم العلة إلى المخاطب ، وعن البراعة فى تصوير العلة والمعلول فى إطارٍ من التناسب .

إذن « التعليل » هو الطريقة الفنية التى يُعرض بها العلة فى إحداث الحدث من خلال ذات الفنان فى إطارٍ من التناسب .

و « طرافة التعليل » درجة من الإغراب اللطيف الذى يتوصل إليه الفنان لقطع رتابة وجود العلة مقترنة بالمعلول ، ونوعٌ من لفت الانتباه والإثارة وضرب من « خفة الدم » والفنان هنا معرّض للوقوع فى السخف أو فى الردىء من أنواع التعليل .

وقد أسهم القرآن الكريم بصورة من « التعليل » يعلل فيها بطريقة بليغة ومعجزة ، فيها الفن ، وفيها المنطق ، وفيها التشريع ، وفيها الجدية ...، وكذا علل

المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فالتعليل هنا تشريع ، وتعليل جاد لا هزل فيه .

فالشاعر الذى يقول :

أَرَى بَدْرَ السَّمَاءِ يَلُوحُ حِيناً ∴ وَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا
وَذَاكَ ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى وَأَبْصَرَ ∴ وَجْهَكَ اسْتَحْيَا وغَابَــا

قد علل تعليلا طريفا . أما ذلك الشاعر الذى يقول لصاحبته :

ولقد هَمَمْتُ بقتلها من حبها ∴ كيما تكون خصيمتى فى المحشر
حَتَّى يَطُولَ عَلَى الصِّرَاطِ وُقُوفُنَا ∴ فَيَلَذَّ عَيْنِى من لَذِيذِ المَنْظَرِ

قد فشل فى الاهتداء إلى تعليل طريف ، وأوقع نفسه فى السخف والبرودة . كما فشل الصلاح الإربلى معللا عدم نزول المطر بأرض مصر وبطء جريان النيل : بقوله :

ما قَصَّرَ الغَيْثُ عن مصر وتربتها ∴ ولكن تَعَدَّاكُمُ من الخَجَلِ
وما جرى النيل إلّا وهو معترف ∴ بِسَبْقِكُم ، فَلِذَا يَجْرِى على مَهَلِ

لأن من الطريف: المقبول والممجوج، ومن الطريف: الخفيف والسخيف، ومن الطريف:المليح والقبيح ، أما تعليل القرآن فهو تعليل جاد ، لا طرافة فيه ولا عبث مستظرف ، وإنما فيه الجودة،والاتقان فى الصنعة،والجدة فى الغاية .

ونستطيع أن نفرق بين المصطلحين ، فنقول :

التعليل :

كل صياغة فنية تُبَرِّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها .

وطرافة التعليل :

كل صياغة فنية تُبَرِّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها تبريراً يهدف إلى الاستظراف والمَلَاحَة .

وقد شارك الشعراء القرآن الكريم فى « التعليل » ، ولم يشارك القرآن الكريم الشعراء فى « طرافة التعليل » .

« التعليل » و « طرافة التعليل » فى التراث :

ليس من المتوقع أن يطلق سيبويه (ت ١٨٠ هـ) مصطلح « التعليل » على المفعول لأجله ، الذى ذكره فى باب « ما ينتصب من المصادر ، لأنه عذر لوقوع الأمر » يقول «... وذلك قولك « فعلت ذاك حِذَار الشر ، وفعلت ذاك مخافة فلان ، وادخار فلان ، كقول الحارث بن هشام :

فَصَفَحْتُ عَنْهُم والأَحِبَّةُ فِيهِم ... طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ[1]

وكقول حاتم الطائى ... والنابغة ... والعجاج ...، ثم يكمل ما قاله قبل الشواهد « وفَعَلْتُ ذاك أَجْلَ كذا وكذا ، كله ينتصب لأنه مفعول له ، كأنه قيل له : لم فعلت كذا وكذا ، فقال : لكذا وكذا ... »[2] .

وبهذا يكون لدينا موضوع من الموضوعات النحوية البلاغية وهو « المفعول لأجله » أى « التعليل » ، ولعل هذا ما دفع بالبلاغيين أن يتركوا « فن التعليل » ميراثا خالصاً للنحاة ، وكأنهم خلطوا بين « فن التعليل » و « العلل النحوية » التى أشبعها ابن جنى درساً »[3] إلى أن جاء ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) ، وذكر « الاستدلال بالتعليل »[4] ويقصد بالاستدلال : الاستشهاد.[5] وفيه ذكر الخفاجى اجتهادات طريفة للشعراء — من مثل قول الشاعر أبى الحسن التِّهامى :

---

(١) من أبيات قالها معتذراً من فراره يوم بدر ، وقد قُتل أخوه أبو جهل فيها ولم يأخذ بثأره ، عنهم : عن أعدائه . يقول : لم يترك القتال جبنا ، ولم يَعْفُ عنهم ويصفح إلّا طمعا فى أن يعد لهم ويعاقبهم بيوم يوقع بهم فيه ، فيفسد أحوالهم ، هامش ص ٣٦٩ من الجزء الأول من الكتاب .

(٢) الكتاب — ٣٦٧/١ وما بعدها ، وانظر بحث الدكتور محمد بدرى عبد الجليل « حسن التعليل والقرآن » بحث بمجلة كلية الآداب بالاسكندرية ، عام ١٩٨٠ م .

(٣) انظر الخصائص ٤٨/١—٩٦ ، باب « ذكر علل العربية أكلامية هى أم فقهية ؟ » وباب « فى تخصيص العلل » — ١٤٤/١—١٦٤ ، وغيرها ، وانظر الدكتورة خديجة الحديثى — دراسات فى كتاب سيبويه — فصل العلة النحوية ص ١٥٥ وما بعدها ط الكويت .

(٤) سر الفصاحة — ٢٦٩

(٥) أبو هلال العسكرى — الصناعتين — فصل الاستشهاد والاحتجاج — ٤٣٤

لَوْ لَمْ تكن رِيقَتُه خَمْرة ∴ لَمَّا تَثَنَّى عِطْفُه وهو صَاحٍ

وقول البحترى :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً لَمْ أَكُنْ ∴ أَذُمُّ الزَّمَانَ وأَشْكُو الخُطُوبَا

ولكنه يخلط ـــ ويضيف إلى هذا الهزل ، قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لَفَسَدَتَا » (الأنبياء ـــ ٢٢)[1] ، ومن المستبعد أن يظل الدرس البلاغى مفتقداً إلى الإشارة لفن التعليل طوال هذه القرون فى انتظار ظهور ابن سنان الخفاجى ،فحديثه لا يدل على أنه افترع القول فيه ، ولكن ليس بين أيدينا غير هذا ـــ حسب علمى .

ولا نقول ما قاله الدكتور أحمد موسى فى « الصِّبْغ البديعى » ... « ... ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن ابن سنان الخفاجى أول من عَرَض لحُسْن التعليل من المؤلفين فى البديع بعد أبى هلال ثم تلاهما عبد القاهر ، فسماه التخييل »[2] هذا بالإضافة إلى أن أبا هلال لم يذكر شيئاً من « التعليل » إنما ذكر « المذهب الكلامى »[3] والبون بينهما شاسع .

أما عبد القاهرة الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) ، فقد نظر إلى « التعليل » نظرة فنان ، فالتعليل « محاولة الإقناع » التى يقوم بها الفنان لتحظى صورته بالقبول لدى المخاطب ، لذا يعتمد التعليل على التخييل والإيهام ، وتتخذ من التشبيه مادة لتشكيل صورته ، والتعليل عنده نوعان :

١ ـــ نوع يعلل وجود الصفة الثابتة بعلة مُتَخَيَّلَة ، وذلك لتعظيم الممدوح ، أو تعظيم أمر من الأمور ، ومنه قول المتنبى :

لَم يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابَ وإنما ∴ حُمَّتْ بِه فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

لأنه وإن كان أصله التشبيه من حيث يُشَبَّه الجواد بالغيث ، فإنه وضع المعنى

(١) سر الفصاحة ٢٧٠

(٢) د. أحمد موسى ـــ الصبغ البديعى ـــ ٢١٧ ط دار الكتاب العربى ـــ ١٩٦٩ م .

(٣) الصناعتين ـــ ٤٢٦

وضعا ، وصُوِّر فى صورة خرج معها إلى ما لا أصل له فى التشبيه »[1] فالسحابة لم تحك نائله ، لأنها لا تقدر على ذلك لكثرة عطائه ، وما يسقط منها عَرَقُ الحُمَّى التى أصابتها لحسدها إياك ؛ « فسقوط الغيث » صفة ثابتة ، أما علة السقوط فهى عِلّة متخيَّلة .

٢ ـــ ونوع آخر يعلل وجود صفة مُتخيَّلة ، بعلة ثابتة ، كقول ابن المعتز :

قَالُوا اشْتَكَتْ عَيْنُه فَقُلْتُ لَهُمْ ∴ مِنْ كَثْرَةِ القَتْلِ نَالَها الوَصَبُ
حُمْرَتُهَا مِن دِمَاءِ مَنْ قَتَلَتْ ∴ والدَّمُ فِى النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ[2]

يقول الجرجانى « وبين هذا الجنس وبين نحو :

الرِّيحُ تَحْسِدُنِى عَلَيْكَ ∴ ولم أَخِلْهَا فى العِدَا
لَمَّا هَمَمْتُ بِقُبْلَةٍ ∴ رَدَّتْ عَلَى الوَجْهِ الرِّدَا

وذلك أن لك هناك فعلا هو ثابت واجب فى الريح ، وهو رد الرداء على الوجه ، ثم أحببت أن تتطرَّف ، فادعيت لذلك عِلّةً من عند نفسك ، وأما ههنا فنظرت إلى صفة موجودة ، فتأولت فيها ، أنها صارت إلى العين من غيرها ، وليست هى من شأنها أن تكون فى العين ، فليس هنا معك إلّا معنى واحد ، وأما هناك فعندك معنيان ، أحدهما موجود معلوم والآخر مُدَّعَى موهوم »[3] .

ونلحظ أن الجرجانى لم يستشهد بآية قرآنية واحدة ، فالمجال الذى يتحدث فيه تحت فصل بعنوان « فى الأخذ والسرقة وما فى ذلك من التعليل وضروب الحقيقة والتخييل » وقد قسمه إلى قسمين « قسم عقلى » وآخر « تخييلى » ، والتعليل الطريف هو التخييلى ، فلا مجال للقرآن فيه »[4] .

(١) الأسرار ـــ ٢٢٣ تحقيق رشيد رضا ، الطبعة السادسة ـــ ١٩٦٠ م .
(٢) يقول رشيد رضا فى الهامش : أحفظ المصراع الثانى من البيت الأول « من كثرة الفتك نالها وصب » وكلمة « الفتك » أطرف وأبلغ من كلمة « القتل » ،ومن البيت الثانى بإبدال كلمة « السيف » بكلمة « النصل » .
(٣) الأسرار ـــ ٢٢٦ .
(٤) نفسه ـــ ٢١١ وما بعدها .

أما الزمخشري ، فيقف أمام آيات التعليل ، ويصرح بها ، ولكنه لا يعطى الصورة حقها كما عوّدنا ، ويبدو أنه كان متحرجا ، أو حذراً من الوقوع فى دائرة التعليل « الطريف » ، وسنرى الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) يستشهد له ببيت له عِلّة طريفة ، ولكن بعد الوقوف مع الزمخشري فى آية « ... خذوه فَغُلّوه ثم الجحيم صَلّوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فَاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم » (الحاقة ، ٣٠ــ٣٣) يقول « إنه » تعليل على طريق الاستئناف ، وهو أبلغ ، كأنه قيل : ماله يعذب هذا العذاب الشديد ، فأجيب بذلك »[1]..

ويعرّف رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) « حسن التعليل » بأن يذكر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ، ويجعل الواحدة منهما عِلّة للأخرى ، وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين ، ولكنه بذكرهما بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه ، وابداع عباراته ، ومثاله من قول فخر خوارزم ، الزمخشري :

وإنَّ غَادَرَ الغُدْرَانَ فى صَحْنِ وَجْنَتِي ... فَلَا غَرْوَ مِنْهُ لَمْ يَزَلْ وَابِلًا يَهْمِي

فقد أثبت الغدران صحن وجنته ، بعلة أن الممدوح وابل يهمى ، والوابل الهامى عِلّة كذلك فى الغدران »[2] .

ثم أتى ابن أبى الإصبع المصرى (ت ٦٥٤ هـ) ليعالج « التعليل » و « طرافة التعليل » ، الأول فى كتابه « بديع القرآن » وهما معا فى كتابه « تحرير التحبير » ، يقول فى تعليل القرآن « التعليل : هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو مُتوقّع ، فيقدم قبل ذكره ، لكون رتبة العلة التقدم على المعلول ، كقوله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لَمَسَّكُم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ » [الأنفال ــ ٦٨] ، فسبق

(١) الكشاف ــ ١٥٤/٤ ، وانظر قوله فى آية « ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً » (المائدة ــ ٤٨) والكشاف ــ ٦١٨/١ ، وقوله فى آية « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالًا ، وَدُّوا ما عنتم ، قد بدت البغضاءُ من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بيّنا لكم الآيات ، إن كنتم تعقلون » (آل عمران ــ ١١٨) والكشاف ــ ٤٥٨/١

(٢) حدائق السحر فى دقائق الشعر ــ ١٨٩ ، نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربى ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٩٤٥ م .

الكتاب من الله تعالى هو العلة فى النجاة من العذاب »[1] ، وفى « تحرير التحبير » يفرد باباً للتعليل ، يقدمه بالمقدمة السابقة ، وذلك لأن كتابه « بديع القرآن » مستخلص من كتاب « التحبير » ...، ثم يقول ، ومن الأمثلة الشعرية فى ذلك قول البحترى :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً لَمْ أَكُنْ ∴ أَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الخُطُوبَا

فوجد سخط الممدوح ، هو العلة فى شكوى الشاعر الزمان »[2] ، فالصفة ثابتة والعلة متخيلة ، ولكن ابن أبى الإصبع هنا يأتى على شاهد من الشواهد التى جنحت إلى التظرف غير الموفق ، وهو قول أبى القاسم ابن هانىء الأندلسى :

وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلُهَا صَفْحَةَ الثَّرى ∴ لَما كُنْتُ أَدْرِى عِلَّةً للتَّيَمُّمِ

ويحسّ ابن أبى الإصبع بانزلاقه إلى هذا الشاهد ، وكأنه ينقل الموضوع من مصدر سبقه إليه ، فيعتذر عنه قائلا « ... وهذا من غُلُو ابن هانىء المعروف ، فَلَحَى الله غُلُوَّه ...، ويسترسل فى نقض البيت ...، وهو فى تقسيمه لموضوع التعليل يقسمه قسمين ، أحدهما : ما تقدمت فيه عِلَّه الحكم على الحكم نفسه ، والقسم الآخر ، وهو ما تقدم الحكم على العلة نفسها ، يقول فيها : وأما ما جاء منه متقدم المعلول على العلة ، إغرابا وطرافة ، فكقول مسلم بن الوليد :

يا وَاشِيًا حَسُنَتْ فينا إسَاءَتُه ∴ نَجَّى حِذَارُك إنْسَانِى من الغَرَقِ

فإن هذا البيت لم يُسْمع فى هذا الباب مِثْلُه ، لأن مُسْلِماً أغرب فى معنَاه بتلطفه فى تحسين إساءة الواشى ، لإنجائه إنسان عينه من الغرق بالدمع ، لامتناعه عن البكاء لحذره منه ، فغاير فى ذلك الناس ، أعنى استحسان الإساءة ، وكأنه سُئل عن استحسانه إساءة الواشى ، ففسر ذلك بنجاة إنسانه من الغرق ، وأدمج فى هذا معنى الإعتذار عن عدم البكاء ، وتبيين العلة فى ذلك من جهة حذره من الواشى بحبه ، وفى ذلك فضيحة محبوبه ...، وجاء فى ضمن ذلك الإدماج

(١) بديع القرآن ـــ ١٠٩

(٢) تحرير التحبير ـــ ٣٠٩

بالمبالغة ، إذ مفهوم كلامه وملزومه ، أنه لولا حذره من الواشى لبكى بدمع يُغرق إنسانه ، بحيث لا ينحسر[1] عنه الماء[2] ".

وعَرَّف محمود بن سليمان الحلبى (ت ٧٢٥ هـ) صاحب « حُسْن التَّوَسُّل فى صناعة التَّرسُّل » عَرَّف « حسن التعليل » بأنه « يُدَّعى لوصف عِلَّة مناسبة له ، باعتبار لطيف » ، ولم يستشهد فيه بآية قرآنية»[3] .

أما القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) ، فيتوقف عند « حُسْن التعليل » طويلا ، جامعا شتات الموضوع ، مقسما إيّاه أربعة أقسام ، ذلك ، لأن الوصف : إما ثابت قُصِد بيان علته ، أو غير ثابت أُريد إثباته ، والأول : إما أن لا يظهر له فى العادة عِلَّة ، أو يظهر له عِلَّة غير المذكورة ، والثانى : إما ممكن أو غير ممكن ، ثم يأتى على الشواهد ، وقد اعتمد القزوينى فيما عرضه على ما سبقه إليه الجرجانى وابن أبى الإصبع وغيرهما[4] ولم يأت شُرَّاحه بجديد على ما قال[5] .

ومن واقع جهد السابقين فى التعليل نرى :

١ ــ أن المفعول لأجله شارك فن التعليل فى درس البلاغيين للتعليل .

٢ ــ أنهم مالوا إلى إطلاق مصطلح « حُسْن التعليل » بمعنى البراعة فيه ، لأن النّتاجَ الذى كان بين أيديهم لم يكن فيه ميل إلى التظرف والملاحة بالصورة المسرفة التى ظهرت فيما بعد . ولما اتسعت ابتكارات الشعراء فى « حُسْن التعليل » صار لزاما على البلاغيين أن يرفضوا منه ما تجاوز المقدار وهبط إلى السخف .

٣ ــ ولم يحاول البلاغيون فصل تعليل القرآن عن تعليل الشعراء ، الذى احتوى على العلة الفنية البارعة ، والعلة الرديئة .

---

(١) لا ينزاح عنه الماء

(٢) تحرير التحبير ــ ٣١١

(٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل ــ ٥٥ ط دمشق المطبعة الوهبية ١٢٩٨ هـ

(٤) الإيضاح ــ ٥١٨ وما بعدها

(٥) شروح التلخيص ــ ٣٧٣/٤

لذا ، آثرت أن يكون « التعليل » كل صياغة فنية تُبرِّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها ، أما التعليل الآخر ، فهو التعليل الطريف ، ذلك الذى يُبرِّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها تبريراً يهدف إلى الملاحة والاستظراف ، وناصره « خفة ظل صاحبه » على ألّا يهبط به الأمر إلى السخف ، وصدم الأذواق .

رابعا : التورية

١ ـــ المصطلح
٢ ـــ التورية عند القدماء .

رابعا : التورية

أولا : المصطلح

التورية أو التوجيه أو الإيهام أو التخييل أو التخيير أو المغالطة ، هى : أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد اعتماداً على قرينة ، وإليه قَصَد المتكلم ، أما القريب الظاهر وله قرينته أيضا فقد ذكره المتكلم للإيهام ، وفيها ما فيها من المفاجأة والإثارة ، وفيها ما فيها من الحرية فى التعبير حيال ضغط الرقيب ، وفيها ما فيها من الطرافة والرشاقة ، وروح الفكاهة ، وبراعة الفن .

انظر إلى ابن سناءالملك المصرى (ت ٦٠٨ هـ) يقول متغزلًا :

أَمَا واللهِ لَوْلَا خَوْفُ سَخْطِكْ ... لَهَانَ عَلَىَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكْ
مَلَكْتَ الخَافِقَيْنِ فَتِهْتَ عُجْباً ... وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِى وقِرْطِكْ

فكلمة « الخافقيْن » لها معنيان ، قريب وهما المشرق والمغرب ، وقرينتهما « ملكت » أى حكمت ، وتحكمت فى ، ويؤيده لفظ « التيه » وهذا غير مقصود ، ومعنى آخر بعيد — مقصود ، وهو « القلب والقرط » ، وقرينتهما أن القلب والقرط من طبيعتهما الخفقان ، قلبه يخفق كلما رآها ، وقرطها يخفق كلما تحركت ، وكأن القرط موكل بسرعة خفقان القلب ، ويدّعى أنه لا يدرى ، بينما هو يدرى ، فصاحبته تعلم ما يصنعه القرط فى هذا القلب ...

وقد وردت التورية فى القرآن الكريم ، حكاها القرآن على ألسنة البشر ، ولا تورية فيما وصف به الله تعالى نفسه[1] يقول تعالى حكاية عن أخوة يوسف

(١) ما ذهب إليه البلاغيون من أن « استوى » فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (طه — ٥) فيها تورية ، وأن قوله تعالى (والسماء بنيناها بأَيْدٍ) [الذاريات — ٤٧] فيها تورية فى « أيد » بمعنى الجارحة وبمعنى القدرة ، ليس فيه شىء مقنع، فهما ليسا من التورية فى شىء ، وقد أحس بذلك سعد الدين التفتازانى بالنسبة لقوله تعالى « بنيناها بأيد » يقول : وهذا (أى القول بالتورية) مبنى على ما اشْتُهِر بين أهل الظاهر من المفسرين ، وإلّا فالتحقيق أن هذا تمثيل وتصوير لعظمته ، وتوقيف على كنه جلاله ، من غير أن يُتمحل للمفردات حقيقة أو مجاز » (شرح السعد — ضمن شروح التلخيص — =

« قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم » (يوسف ـــ ٩٥) ، فكلمة « الضلال » تحتمل معنيين : ضلال ضد الهوى ، وقرينته قول يعقوب عليه السلام « ... إنى لأجد ريح يوسف لولا تُفَنِّدُون » (يوسف ـــ ٩٤) ، ومعنى آخر بعيد ، وهو حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف ، وقرينته « ... لَيُوسُفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا منا ونحن عُصْبَة » (يوسف ـــ ٨) .

ومن التورية نوع آخر يطلق عليه « الاستخدام » وهو : أن يُرَادَ بلفظٍ أحَدُ معنييه ، ثم يُراد بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ معناه الآخر ، كقوله تعالى « لكل أجَلٍ كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب » (الرعد ـــ ٣٨ و ٣٩) ، فلفظة « كتاب » تحتمل الأجل المحتوم ، ومعنى الكتاب المكتوب ، وقد توسطت كلمتى أجل ويمحو ، فلفظة « أجَل » تخدم المعنى الأول ، ولفظة « يمحو » تخدم المعنى الثانى . ومنه قول البحترى :

فَسَقَى الغَضَاء والسَّاكِنِيه وإنْ هُمُو ∴ شَبُّوهُ بين جوانحٍ وضُلُوعِ

يدعو الله أن يسقى الغَضَا وساكنيه ، وإن عَذَّبُوه وأوقدوا النار فى قلبه ، فقد أطلق «الغَضَا» بمعنى ذلك النوع من الشجر الذى لا ينطفىء جمره بسرعة ، وواحدته غضاة ، ثم أعاد عليه الضمير فى « الساكنيه » ولم يقصد إلى « الشجر » هنا ، إنما قصد ذاك الوادى المعروف بنَجْد فى المملكة العربية السعودية ، ثم عاد وأعاد الضمير فى « شبُّوه » إلى الشجر ذى النار الموقدةَ ، وقرينة معنى « الوادى » فى « الغضا » ، « الساكنيه » ، وقرينة معنى النار الموقدة فى « الغضا » شبوه بين جوانحٍ وقلوب .

= ٤/٣٢٥) ويقول السبكى عن « استوى » و « بأيد » : فكأن البناء بالأيدى جُعل هنا مرادفا لنهاية القوة فى البناء ، ونهاية العظيمة فى تركيب الشىء ، وكذا « على العرش استوى » يجعل تمثيلًا بالتشبيه أو بالكناية ، للدلالة على مُلكه كل شىء ، كأنه جعل مرادفا للملك من غير أن يتمحل حقيقة أو مجازاً لمفرد من المفردات ، بل التجوز باعتبار التركيب » (عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ـــ ٤/٢٦) ويقول ابن يعقوب المغربى فى كلام طويل « ... ولكن لا نُسَلِّم أن المراد بقوله تعالى « بأيد » ذلك ، بل المراد القوة ، وإذا كان الأيد : القوة ، فما الضرورة إلى تأويل « بأيد » على الأيدى المتجوز بها عن القوة ، وقد جزم الزمخشرى وغيره بأن المراد فى الآية الأيد المفرد وهو القوة» (مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ـــ ٤/٣٢٥) ، وانظر الكشاف ٤/٢٠ .

أى أنه فى التورية ، يُرَاد أحد المعنيين فى اللفظ ، وفى الاستخدام يراد المعنيين كليهما .

وعادة ما يكون المعنى البعيد هو المقصود ، وهو المورَّى ، وفى « التورية » ويكون المعنى القريب للإيهام .

وفى الاستخدام ما فى التورية من جمال ورشاقة ، فالبحترى يدعو للغضا، ويدعو لساكنيه بالسقيا والنماء والسعادة ، لأن صاحبته أحد الساكنين ، ولأن الغضا يضم جناحيه فى حنو عليهم ، ولأنهم اكتسبوا من اسم واديهم القدرة على التعذيب اللذيذ ، والقدرة على امتلاك الجوانح ، فالصلة بين الوادى وبينهم لا تنقطع ، وهو كان أحد الضحايا ، ولكنه لا يشكو ، فقط يدعو ، ولعلهم يَرِقّون له فيواصلون .

ومسألة المعنى القريب المُوهِم ، والمعنى البعيد المقصود ، قد وسعت الدائرة وجعلتها تحتمل فنونا عديدة ، فالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يحدثنا عن « اللغز فى الجواب » ويسجل لنا هذا الحوار ، يقول : « وقال خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، أَخْرِجُوا إلىَّ رجلا من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور ، فأَخْرَجُوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟

قال : من صُلْب أبى .
قال : فمن أين خرجت ؟
قال : من بطن أمى .
فقال : فَعَلامَ أنت ؟
قال : على الأرض .
قال : ففيم أنت ؟
قال : فى ثيابى .
قال : ما سنُّك ؟
قال : عَظْم ... الخ .

ومثل ما دار بين الحجاج (ت ٩٥ هـ) لرجل من الخوارج :

رمل وحنظلة ، يريد : جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك »(1) .

ولا تزعجنا كل هذه المصطلحات (اللغز فى الجواب — اللحن — الأحاجى — الكناية) ، فالأساس واحد ، والمصطلحات لم تستقر بعد ، الأساس : لفظة لها معنيان ، واستُعْمل أحدهما والمقصود الآخر ، وقد نستعملهما معاً ، ولابد من القرينة ، تورية كانت أم استخداما ، وما اللغز فى الجواب ، أو اللحن فى القول أو الأحاجى ، إلّا مسميات لشيء واحد ، هو « اسورية » لأغراض بلاغية ، طالما بَعُدت عن التكلف والصنعة والمهارة واللفظية .

والآن إلى استعراض جهود القدماء فى التورية .

ثانيا : التورية عند القدماء

من النصوص المبكرة فى فن التورية ، ما ورد فى « معانى القرآن » للفراء (ت ٢٠٧ هـ) فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ، وقولوا انظرنا » [البقرة — ١٠٤] لأن « راعنا » تعنى راقبنا وانتظرنا وتأنّ حتى نفهم القرآن الكريم ونحفظه ، وتعنى كذلك كلمة باليهودية »(2) .

ولم يصرح الجاحظ بمصطلح التورية ، إنما أورد ما يدخل فى باب التورية وهو « اللغز فى الجواب » كما مَرَّ بنا(3) .

وَرَدَّد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) شرح الفراء لمعنيى « راعنا »(4) وقال الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) فى بيت المتنبى :

نَهَبْتَ من الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ∴ لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنكَ وَاحِـدُ

« هذا مدح مُوَجَّهُ »(5) ومَرَّ بنا كيف قرن أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ)

(1) الصناعتين — ٣٨٦

(2) معانى القرآن — ٦٩/١ و ٧٠

(3) البيان — ١٤٧/٢

(4) تفسير غريب القرآن — ٦٠ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط دار الكتب العلمية .

(5) ديوان المتنبى — ٢٧٧/١ ، ويعلق الثعالبى عبد الملك بن محمد — (ت ٤٢٩ هـ) على نفس البيت

بين الكناية والتورية ، بالرغم من أنه لم يتوقف أمام التورية ، بعد أن أطلق عليها المصطلح الشائع « تورية »[1] ولا تشترك الكناية مع التورية إلّا فى إخفاء أحد المعنيين ، ثم تختلف الطرق بهما[2] .

ويتخذ القاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) التورية ، وسيلة من وسائل الدفاع عن الوحدانية ، ودفع قول المجسمة فى الله تبارك وتعالى . وذلك فى قوله سبحانه « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا ، ثم استوى إلى السماء » (البقرة ـــ ٢٩)[3] ويبذل القاضى جهداً كبيراً لاثبات أن الاستواء هنا ليس على حقيقته بل على معناه الآخر : الاستيلاء والاقتدار ، وكرر هذا الجهد مع كل الآيات التى ورد فيها لفظ « استوى »[4] .

= قائلاً وهذا هو المدح الموجه ، أى كالثوب له وجهان ، ما منهما إلاّ حسن « يتيمه الدهر ـــ ١/٢٠٠ ط ، وبشرح الواحدى ـــ على بن أحمد ـــ (ت ٤٦٨ هـ) البيت والمقصود من مصطلح « التوجيه » يقول : هذا من أحسن ما مُدِحَ به مَلِك ، وهو مديح مُوَجَّه ، ذو وجهين ، وذلك لأنه مُدح فى المصراع الأول بالشجاعة ، وكثرة قتل الأعداء ، فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ، ما لو عشته لكانت الدنيا مُهَنَّأة ببقائك فيها خالداً ، وهذا الوجه الثانى من المديح ، جعله جمالًا للدنيا ، فهنأ الدنيا ببقائه فيهما ، ولو قال « مَا لَوْ عِشْتُه لبقيت خالداً » لم يكن المدح موجهاً » ديوان المتنبى ـــ ١/٢٧٧ .

(١) الصناعتين ـــ ٣٨١ .

(٢) والدليل على ذلك ما عُرِف « بطباق التدبيج » يقول عنه القزوينى « من الناس من سمى ما ذكرناه تدبيجا ، وفَسَّره بأن يُذْكر فى معنى من المدح أو غيره ألوانٌ بقصد الكناية أو التورية »... وأما تدبيج التورية ، فكقول الحريرى « فمذ ازْوَرَّ المحبوب الأصفر ، واغْبَرّ العيش الأخضر ، اسوَدَّ يومى الأبيض ، وابيض فَوْدِى الأسود ، حتى رَثى لى العدو الأزرق ، فياحبذا الموت الأحمر » ـــ (ازورَّ : انصرف وانحرف ، المحبوب الأصفر : هو المحبوب الذى به صُفْرةٌ من المرض ، وهو أيضا الدينار الذهبى ، واخضرار العيش : كناية عن طيبه ونعومته ، والاغبرار : كناية عن ضيقه أو نقصانه ، واسود : كنايه عن الحزن ، وابيض الفَوْدُ : كنايه عن الضعف ، وزرقة العدو : كناية عن شدة عداوته ، والموت الأحمر : كناية عن شدة نوعه كأن يسيل فيه الدم بالقتل) ـــ الإيضاح ـــ ٤٨٢ و ٤٨٣ ، وسماه ابن سنان الخفاجى « المخالف » ـــ ١٩٦ ، وانظر ابن أبى الإصبع ـــ باب التدبيج من كتابه ـــ بديع القرآن ـــ ٢٤٢ .

(٣) المتشابه ـــ ٧٤

(٤) انظر قوله فى آية ٣ من سورة يونس ـــ المتشابه ـــ ٣٥١ ، وآية ٢ من سورة الرعد ـــ المتشابه ٤٠٣ ، وآية ٥ من سورة طه ـــ التنزيه ـــ ٢٥٣ وانظر «شرح الأصول الخمسة له ـــ ص ٢٦٦ تحقيق د. عبد الكريم عثمان ـــ ط الأولى ـــ ١٩٦٥ م القاهرة .

ولم يشرح الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ما في لفظ « راعنا » من التورية في قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » (البقرة ـــ ١٠٤)[1] ولكنه يقول في آية « ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسْمَع ، وراعنا ، ليًّا بألسنتهم » (النساء ـــ ٤٦) : « غير مُسْمَع » حال من المخاطب ، أي أسمع وأنت غير مُسْمَع » وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم ـــ أي اسمع مدعوا عليك بـ « لا سمعت » ، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكان أصم غير مسمع ،... ويحتمل المدح ، أي اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك : أسْمَعَ فلان فلاناً اذا سَبَّه ، كذلك قوله : راعنا ، يحتمل راعنا نكلمك : أي راقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية ، كانوا يتسابون بها وهي « راعينا » ... »[2]

وفي الرسالة التي كتبها ابن مُنْجِب ـــ علي بن منجب بن سليمان ، ابن الصيرفي (ت ٥٤٢ هـ)[3] وأهداها للأفضل ابن بدر الجمالي الوزير المصري (ت ٥١٥ هـ) ، وسماها « لَمَح المُلَح » ، وفيها يعرض لما يسمى بتجنيس التورية ، يقول ممهداً لشواهده « ومما وَلّدَ المحدثون ، « تجنيس التورية » ، كقول مِهْيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) .

ومُدِيرٍ سِيَّانُ عَيْنَاهُ والإبريقِ ∴ فتكـــا وريقُـــه والرَّحيـــقُ

و « الإبريق » ههنا : السيف ، وهو من أسمائه ، قال أهل اللغة : إذا كان في السيف بريق ، فهو إبريق ، ووجه التورية ، أنه لما قال « ومدير » ثم ذكر « الإبريق » ، حَسُنَ أن يُعتقد فيه أنه إله الخمر ، ولما كان المعنى على السيف ، صار مُوَرِّياً عن غرضه بهذه اللفظة المشتركة ، وهذا غرور في التجنيس ،

ومثله قوله أيضا :

فَتًى لا يُرِيدُ المَجْدَ إِلّا لِنَفْسِهِ ∴ وَلَا المَالَ إِلّا قِسْمَةً وَمَنَائِحَا
يُنَازِعُ أَرْبَابَ الزَّمَانِ بِأَنْمُلٍ ∴ جَوائِزُ لِلأَمْوَالِ تُسَمَّى جَوارِحَا

---

(١) الكشاف ـــ ٣٠٢/١
(٢) نفسه ـــ ٥٣٠/١ ، وانظر قوله في آية ٧٩ من سورة يوسف ـــ الكشاف جـ ٣٣٦/٢
(٣) الأعلام ـــ ٢٤/٥

فورّى بـ « جوارح » بعد جوائز عن الجوارح ، التى هى الأعضاء ، وقصد بها هنا « الأيدى »[1] .

والتورية عند رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) : هى « الإيهام » ، يقول « وهى تعنى فى اللغة « التخييل » ، ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخييل أيضا ... »[2] .

وتكلم ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) عن مصطلح « التورية » وعرّفه التعريف المشهور ، واختار له من الشواهد الأدبية الطيبة ما عَنّ له[3] كما عرف الاستخدام : بأنه « تكون الكلمة لها معنيان ، فتحتاج إليهما ، فتذكرها وحدها ، فتخدم المعنيين ، كما قال سبحانه وتعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى » [النساء ــ ٤٣] ، والصلاة ههنا تحتمل أن تكون فعل الصلاة ، وموضع الصلاة ، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد ، لأنه قال « إلّا عابرى سبيل » ، فدل على أنه أراد موضع الصلاة ، وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه فعل الصلاة »[4] .

وهذا السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) يسمى التورية « التوجيه » وعرّفها بإيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين ...، ويقول : وللمتشابهات من القرآن مدخل فى هذا النوع باعتبار[5] .

ويعتبر ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) التورية من « المغالطات المعنوية » ، ويقول عنها « وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام ، وألطفه ، لما فيه من

(١) « لُمَح المُلَح » لابن منجب ، ورقة ٢١٩ ميكروفلم ، صورته الجامعة العربية ١٩٤٩ م ، عن مكتبة الاسكوريال ، ضمن مجموعة مخطوطة تحمل رقم ٤٤٢ ، بدون تاريخ ، أو ذِكْر لناسخها ، موسومة بمجموعة مختارات شعرية لجماعة من الشعراء المصريين فى القرن السادس مع نقد أدبى ، واستطرادات كثيرة لمؤلف مجهول ــ كتبه لأمير الجيوش أبى عبد الله محمد الدمرى ــ عن كتاب « ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى » للدكتور مصطفى الجوينى ــ ص ٣٣٩ ط الهيئة المصرية العامة ــ ١٩٧٠ م .

(٢) حدائق السحر ــ ١٣٥

(٣) البديع ــ ٦٠ و ٦١

(٤) نفسه ــ ٨٢

(٥) المفتاح ــ ١٨٠

التورية ، وحقيقته : أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شيء آخر ، ونقيض ، « النقيض أحسن موقعا وألطف مأخذاً ، فالأول الذى يكون له مثل ، يقع فى الألفاظ المشتركة ، فمن ذلك قول بعضهم من أبيات يهجو بها شاعراً ، فجاء من جملتها قوله :

وخَلَطْتُمْ بَعْضَ القرآنِ بِبَعْضِهِ ∴ فَجَعَلْتُمْ الشُّعَراءَ فى الأنعام

ومعنى ذلك أن « الشعراء » اسم سورة من القرآن الكريم ، « والأنعام » اسم سورة أيضا ، و « الشعراء » جمع شاعر ، و « الأنعام » ما كان من الإبل والبقر ...، وأما القسم الآخر وهو النقيض : فإنه أقل استعمالا من القسم الأول الذى قبله ، لأنه لا يتهيأ استعماله كثيراً ، فمن جملته ما ورد شعراً لبعضهم ، وهو قوله :

ومَا أشْيَاءُ نَشْتَرِيهَا بِمَالٍ ∴ فإن نَفَقَتْ ، فأكْسَدُ مَا تَكُون

يقال : نفقت السلعة اذا راجت ، وكان لها سوق ، ونفقت الدابة اذا ماتت ، وموضع المناقضة ههنا ، فى قوله : إنها إذا نفقت كسدت ، فجاء بالشيء ونقيضه ، وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المغالطة الحسنة ،...، ويفرق ابن الأثير بين الجناس والتورية (المغالطة) أن التجنيس فيه يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين فهو يستوى فى الصورة ، ويختلف فى المعنى ، كقول أبى تمام :

بكُلِّ فَتَى ضَرْبٍ يُعَرِّضُ لِلْقَنَا ∴ مُحَيًّا مُحَلًّى حَلْيُهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ

فالضرب الرجل الخفيف ، والضرب هو الضرب بالسيف فى القتال ، فاللفظ لابد من ذكره مرتين « والمعنى مختلف ، والمغالطة ليست كذلك ، بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ، ويدل به على مثله بمذكور »[1] .

أما ابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) فيُطْلِق على التورية ، التوجية أيضاً ، ويستشهد بقوله تعالى « قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم » (يوسف ـــ ٩٥) ، وغيرها من الآيات »[2] ويعرّف الاستخدام التعريف المشهور[3] .

(١) المثل السائر

(٢) بديع القرآن ـــ ١٠٢ ، وتحرير التحبير ـــ ٢٦٨

(٣) بديع القرآن ـــ ١٠٤ ، وتحرير التحبير ـــ ٢٧٥

وهكذا نرى أن مصطلح « التورية » من المصطلحات التي استقرت سريعا ، بالرغم من اضطراب دائرتها بين السعة المفرطة حتى تُدْخِلَ الكناية ، والضيق المناسب ، حتى يحتويها هى والاستخدام .

وتظل الشواهد هى هى تتردد ومعها بعض الإضافات ، حتى يأتى القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) ، ويطلق عليها التورية والإيهام أيضا ، ويقسمها إلى ضربين ، أو قل يقسم الشواهد إلى ضربين ، تورية مجردة ، وأخرى مرشحة[١] وتابَعَهُ شراحه[٢] ثم يؤلف صلاح الدين الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) كتابه « فض الختام عن التورية والاستخدام[٣] ويرد عليه ابن حجة الحموى (ت ٨٣٧ هـ) بكتاب « كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام »[٤] وكلها قريب من قريب .

وقد اهتم ابن حجة فى كتابه « خزانة الأَدَب وغاية الأَدَب » بالتورية ، وأعاد فيه حديثه السابق عن التورية فى فصل يؤرخ فيه لها ، وسأحاول أن أُقتبس بعض الإضافات التى تفيدنا فى عرضنا هذا .

يقول أبو بكر ابن حجة الحموى :

« التورية يقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير ، والتورية أولى فى التسمية ، لقربها من مطابقة المُسَمّى . لأنها مصدر وَرَّيت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعله وراءه حيث لا يظهر ....، وسُمّى « إيهاما » لأن المستمع يتوهم لأول مرة أن المتكلم يريد المعنى القريب وليس كذلك ....، والتورية من أغلى فنون الأدب ، وأعلاها رتبة ، وسحرها ينفث فى القلوب ويفتح بها أبواب عطف ومحبة ....، ومما يؤيد قولى هذا — الشيخ صلاح الدين الصَّفَدى فى ديباجة كتابه المسمى بـ« فض الختام عن التورية والاستخدام » : ومن البديع ما هو نادر الوقوع ، ملحق بالمستحيل الممنوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ....، وقال

(١) الإيضاح — ٤٩٩

(٢) شروح التلخيص — ٣٢٢/٤

(٣) انظر د. محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربى ٣٣٢/٢ ، يقول عنه « منه نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة ١٨ ش رقم ١٦٨٦

(٤) طبعة بيروت — المطبعة الأنسية — ١٣١٢ هـ

الزمخشري ، وهو حجة في هذا العلم : ولا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أعون على تعاطى المشتبهات من كلام الله ، وكلام نبيه ﷺ ، وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين[1] ، فمن ذلك قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » [طه ـــ ٥] ...، ومنه قول النبي ﷺ ، حين سئل في مجيئه عند خروجه إلى بدر ، فقيل لهم : من أنتم ؟ فلم يُرد أن يعلم السائل ، فقال : من ماء ، أراد إنَّا مخلوقون من ماء ، فورَّى عنه بقبيلة يقال لها ماء ،...، ومنه قول أبي بكر رضى الله عنه في الهجرة ، وقد سئل عن النبي ﷺ : من هذا ؟ فقال : هادٍ يهديني ، أراد أبو بكر رضى الله عنه : هادياً يهديني إلى الاسلام . فورَّى عنه بهادى الطريق ، وهو الدليل في السفر ...، وكان من قال أن أبا الطيب المتنبى أوَّل من كشف غطاء التورية ، ما لَمَحَ قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فيها ∴ إذَا المَاءُ خَالَطَها سَخِينَا

الشاهد هنا في « سخينا » ، فإن العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة بَرْدِه ، ثم يمزجونها به ، فـ « سخينا » ، على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف ، والمعنى : فأضحى شرابا سخينا ، وهذا هو المعنى القريب ، المورَّى به ، ويحتمل « السخاء » الذى عبارة عن الكرم ، وهذا هو المعنى البعيد ، المورَّى عنه ، ومراد الناظم ...، وكشف أيضا عن قناع التورية في شعره ، النابغة الذبيانى ، بقوله :

خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ ∴ تَحْتَ العَجَاجِ وأُخرَى تَعْلِكُ اللُّجُمَا

أراد بالصيام ، هذا القيام ، وورَّى بقوله « تعلك اللجما » عن الصيام ...، وبعد أن يستعرض شواهد لأبى نواس والبحترى ، ويهاجم توريات أبى العلاء المعرى ...، يقول : أين هذا من قول الشيخ تقى الدين السروجى (ت ٦٩٣ هـ) :

فِي الجَانِبِ الأَيْمَنِ من خَدِّهَا ∴ نُقْطَـــةُ أشْتَهِـــى شَمَّهـــا
حَسِبْتُه لَمَّا بَدَا خَالَهـــا ∴ وَجَدْتُه مِنْ حُسْنِه عَمَّهَا

(١) لم أتمكن من الوقوف على هذا النص في الكشاف الذى بين يَدَىَّ ، ط دار المعرفة بيروت .

ومثله فى اللطف والظرافة ، قول الشيخ عز الدين الموصلى (ت ٧٨٩ هـ) :

لَحَظْتُ مِنْ وَجْنَتِهَا شَامَةً ∴ فابْتَسَمَتْ تَعْجَبُ من حَالَى
قَالَت : قِفُوا واسْمَعُوا مَا جَرَىَ ∴ قَد هَامَ عَمِّى الشَّيخُ مِن خَالِى

ولهذا ، وقع الإجماع على أن المتأخرين ، هم الذين سَمَوْا إلى أفق التورية ، وطلعوا شموسها ، وما زجوا بها أهل الذوق السليم ...،[1] قيل : إن الفاضل القاضى الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) ، هو الذى عصر سلافة التورية لأهل عصره ، وتقدم على المتقدين ، بما أودع منها فى نظمه ونثره ، فإنه رحمه الله تعالى ، كشف بعد طول التحجب ستر حجابها ...، ومَنْ شرب من سلافة عصره ، وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دُرِّه ، القاضى السعيد ابن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ) ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دَوْر كأسها ، و ...، إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها ، والواسطة فى عقد جمانها ، كالسراج الوراق (ت ٦٩٥ هـ) ، وأبى الحسين الجزار (ت ٦٧٢ هـ) ، والنصر الحمامى (ت ٧١٢ هـ) ، وناصر الدين حسن بن النقيب (ت ٦٨٧ هـ) ، والحكيم شمس الدين بن دانيال (ت ٧١٠ هـ) ، والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) ...، ثم يقول :وقدطال الشرح وأوردت فى باب التورية من المحاسن ما يكفى قديما وحديثا ، وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفواً وتكليفا ، وقد تعين علىَّ إيراد ما وعدت به فى ديباجة هذا الباب من فقه التورية ، والكلام على أنواعها وأقسامها ...، والتورية على أربعة أقسام ، مجردة ومرشحة ومُبَيِّنَة ومُهَيَّأة ... »[1] .

ولا داعى للاستمرار معه فى تقسيماته الشكلية لشواهد التورية التى بدأها القزوينى بقسمين ، فأبى ابن حجة الّا أن يجعلها أربعاً ، اذ لا طائل من ورائه .

وأخيراً أقول : إن التورية قد استغلت استغلالاً واسعا فى السخرية ، وفى أداء

(١و٢) يقول الدكتور الجوينى « اصطفى الذوق المصرى اللفظ الرقيق فى تعبيره ، وقد مضت شواهد فى الشعر المصرى كلها آيات على هذه الرقة اللفظية ...، وقد انتقل الذوق المصرى بالبديع نقلة جديدة ، إذْ اتسم فيه بخاصتين تفرداته ، ١ ــ التورية ، ٢ ــ التضمين من القرآن ، « ملامح الشخصية المصرية ــ ١٥٨ وما بعدها » .

المعانى المحظورة وغير المباحة ، وفى النكتة ، وفى التعبير عن الآراء الخاصة فى المحيط الذى لا يسمح بحرية الرأى ، التورية أول ما تعتمد على الذوق الفنى المُرَفّه والحضارة ، وهى من أهم الفنون التى تكشف عن ذوق المجتمع فى أى عصر .

لذا ، حينما تدهورت الحضارة ، تدهور فن التورية معها ، وتحول إلى مهارة لفظية ، فألغاز وأحاجٍ ، وتلفيق أبعد الفن عن روحه وحوّله إلى معادلة رياضية سخيفة .

ثالثا : الفهارس الفنية

١ ــ فهرست المصادر والمراجع .
٢ ــ فهرست الآيات القرآنية .
٣ ــ فهرست الأبيات الشعرية .
٤ ــ فهرست المصطلحات البلاغية .
٥ ــ فهرست الأعلام .
٦ ــ الفهرست التفصيلى .

١ ــ فهرست المصادر والمراجع

أولا : المصادر

١ ــ القرآن الكريم ٢٠٣.

٢ ــ الآمدى ــ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى (ت ٣٧١ هـ).
« الموازنة » ــ تحقيق السيد أحمد صقر ــ ط دار المعارف.
١٤ و ١٥ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٦٢.

٣ ــ ابن الأثير ــ ضياء الدين بن الأثير الجزرى (ت ٦٣٧ هـ).
(أ) « الجامع الكبير » ــ تحقيق د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد ط المجمع العلمى العراق ــ ١٩٥٦ م.
(ب) « المثل السائر » تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط الحلبى ١٩٣٩، وتحقيق ط الحوفى و د. بدوى طبانه.
٣٧ و ٧٤ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤٥ و ١٧٤ و ٢٠٤.

٤ ــ ابن الأثير ــ نجم الدين بن أحمد بن إسماعيل (ت ٨٣٧ هـ)
« جوهر الكنز » ــ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، ط منشأة المعارف بالإسكندرية.
٣٨ و ٧٤ و ١٠٠ و ١٤٥.

٥ ــ الأخفش الأوسط ــ سعيد بن مسعدة (٢١٥ هـ)
« المعانى القرآن » تحقيق د. فايز فارس ط الكويت ــ ١٩٧٩ م الطبعة الأولى.
٢٩ و ١٢٣ و ١٦٤.

٦ ــ الأُشنانداني ــ أبو عثمان سعيد بن هارون (ت ٢٨٨ هـ)
معانى الشعر ــ تحقيق عز الدين التنوخى ــ مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ــ دمشق ١٩٦٩ م.
١٢٧ و ١٢٨.

٧ ــ ابن أبى الإصبع المصرى ــ أبو محمد زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤ هـ).

(أ) « بديع القرآن » تحقيق د. حفنى شرف ـــ ط دار النهضة ـــ مصر ، الثانية .
١٩ و ٣٨ و ٩٩ و ١٤٥ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٤ .
(ب) « تحرير التحبير » تحقيق د. حفنى شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
١٣ و ١٩ و ٣٨ و ٨٤ و ١٨٩ و ١٩٠ و ٢٠٤ .

٨ ـــ الأصفهانى (أبو الفرج) على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)
« الأغانى » ط دار الكتب ، وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة العامة للتأليف والنشر ـــ ١٩٧٠ م .
٥٧ و ١٩٩

٩ ـــ الباقلانى ـــ أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ)
« إعجاز القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف ١٩٦٣ م
١٦ و ٢٧ و ٩٦ .

١٠ ـــ بدر الدين بن مالك ـــ محمد بن جمال الدين بن مالك الطائى الأندلسى (ت ٦٨٦ هـ).
« المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع » ط القاهرة ١٣٤١ هـ
١٢ .

١١ ـــ التفتازانى ـــ سعد الدين ، مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٣ هـ)
« شرح السعد » ـــ ضمن شروح التلخيص ـــ ط الحلبى ١٩٣٧ م
١٩٥ .

١٢ ـــ الجرجانى ـــ على بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) .
« الوساطة » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى الطبعة الثالثة ـــ الحلبى .
١٥ و ٦٦ و ١١٢ و ١٣٢ .

١٣ ـــ الجرجانى ـــ محمد بن على بن محمد (ت ٧٢٩ هـ) .

الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة » تحقيق د. عبد القادر حسين ـــ ط دار نهضة مصر ـــ القاهرة
٧٤ .

١٤ ـــ ابن جنى ـــ أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) .
« الخصائص » تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية المصورة .
٣٣ و ٤٨ و ٧٦ و ١٣٦ و ١٧٤ و ١٨٥ .

١٥ ـــ الحلبى ـــ محمود بن سليمان الحلبى (ت ٧٢٥ هـ) .
«حسن التوسُّل فى صناعة الترسُّل» ط دمشق المطبعة الوهبية ١٢٩٨ هـ
١٩٠

١٦ ـــ الحموى ـــ تقى الدين أبو بكر ابن حجة (ت ١٣٧ هـ)
« كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » ط بيروت المطبعة الأنسية ـــ ١٣١٢ هـ
٢٠٥.

١٧ ـــ الخطابى ـــ سليمان حَمْد بن محمد إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ).
« بيان إعجاز القرآن » ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ـــ ط دار المعارف الثالثة .
١٦١ و ١٧٨ .

١٨ ـــ الثعالبى ـــ عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)
« يتيمة الدهر » .
٢٠١

١٩ ـــ ثعلب ـــ أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى (ت ٢٩١ هـ) .
« قواعد الشعر » تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ـــ ١٩٤٨ م ط الحلبى .
٦٣ و ١٠٩ و ١٢٨.

٢٠ ــ الجاحظ ــ أبو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
(أ) « البيان والتبيين » تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ــ الخانجى .
١٢ و ٢١ و ٢٧ و ٣٠ و ٥٣ و ٩٣ و ١٢٥ و ١٩٨ و ٢٠٠ .
(ب) « رسائل الجاحظ » تحقيق هارون ــ الطبعة الأولى ــ الخانجى ١٩٧٩ م
١٢٥ ــ

٢١ ــ الجرجانى ــ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ) تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ، ط مكتبة القاهرة ، السادسة ١٣٧٩ــ١٩٥٩ م
(أ) « الأسرار »
١٧ و ١٨ و ٢١ و ٣٤ و ٧٠ و ٧١ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٥٤ و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٨٧ .
(ب) « الدلائل » تحقيق الشيخ محمود شاكر الخانجى ١٩٨٤ م
٢١ و ٥٨ و ٩٧ و ١٤١ و ١٦٩ و ١٧٠ .

٢٢ ــ الخفاجى ــ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان (ت ٤٦٦ هـ)
« سر الفصاحة » تحقيق عبد المتعال الصعيدى ط صبيح ١٩٦٩ م
٣٣ و ٥٥ و ٧٠ و ٩٣ و ١١٣ و ١٤١ و ١٨٦ و ٢٠١

٢٣ ــ الخليل ــ ابن أحمد (ت ١٧٥ هـ)
« العين » تحقيق د. عبد الله درويش ط العانى بغداد ١٩٦٧ م
٢٧ .

٢٤ ــ الرازى ــ فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) .
« نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز » ط بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣١٧ هـ
٣٥ و ٧٣ .

٢٥ — ابن رشيق — أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)
« العمدة » تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط — دار الجيل ، بيروت — الرابعة — ١٩٧٢ م .
١٦ و ١٩ و ٦٩ و ٩٧ و ١٠٩ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١٤١ و ١٥٣ و ١٩٩ .

٢٦ — الرماني — أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هـ)
« النكت في إعجاز القرآن » وتحقيق د. محمد زغلول سلام ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ط دار المعارف الثالثة .
١٥ و ١٨ و ٣٢ و ٦٧ و ٨٢ و ٩٥ و ١٣٤ .

٢٧ — الزجاج — أبو إسحاق — إبراهيم بن السَّرِيّ (ت ٣١١ هـ)
« معاني القرآن » تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط بيروت .
٣١ و ٩٥ و ١٢٩ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧٠ .

٢٨ — الزركشي — بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ)
« البرهان في علوم القرآن » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثانية — دار المعرفة — بيروت .
٢٨ و ٤٤ و ١٤٥ .

٢٩ — الزمخشري — أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .
(أ) « أساس البلاغة » ط بيروت .
١٠٣ و ١٧٦
(ب) « الكشاف » ط دار المعرفة — بيروت .
١٩ و ٢١ و ٣٥ و ٥٦ و ٧١ و ٧٢ و ٩٨ و ٩٩ و ١١٣ و ١١٧ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٥٥ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٨ و ١٩٦ و ٢٠٢ .

٣٠ — ابن الزَّمِلِكَاني — عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف (ت ٦٥١ هـ) .

« التبيان فى علم البيان » تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثى ، ط بغداد ، مطبعة العانى ١٩٦٤ م

٣٨ و ٧٤

٣١ ـــ السبكى ـــ بهاء الدين أحمد بن تقى الدين (ت ٧٧٣ هـ)

« عروس الأفراح » ضمن شروح التلخيص ط الحلبى ١٩٣٧ م

٣٨ و ١٧٥ و ١٩٠ و ١٩٦ و ٢٠٥ .

٣٢ ـــ السِّجِلْمَاسى ـــ أبو محمد القاسم ـــ وفيات القرن الثامن الهجرى .

« المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع » تحقيق علال الغازى ، مكتب المعارف ـــ الرباط ١٩٨٠ م

٦٣ و ١٤٩ و ١٦١ و ١٦٨ و ١٧٠ .

٣٣ ـــ السكاكى ـــ أبو يعقوب يوسف (ت ٦٢٦ هـ)

« المفتاح » ط التقدم العلمية ـــ ١٣٤٨ هـ .

١٢ و ٣٦ و ٥٨ و ٨٣ و ٩٩ و ١١٤ و ٢٠٣ .

٣٤ ـــ سيبويه ـــ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) .

« الكتاب » تحقيق عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب الثانية ـــ ١٩٧٧ م وط الأميرية .

٢٨ و ٧٥ و ١٢٣ و ١٥٠ و ١٦٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٨٥ .

٣٥ ـــ ابن سيدة ـــ على بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)

« المحكم » ط بيروت

٤٨ .

٣٦ ـــ السيوطى ـــ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ) .

(أ) « الإتقان فى علوم القرآن » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الثالثة ـــ دار التراث بالقاهرة ـــ ١٩٨٥ م .

٢٨ و ٢٩ و ٤٨ .

(ب) « المزهر » تحقيق محمد أحمد جاد المولى والبجاوى وأبو الفضل إبراهيم ـــ الحلبى .

٧٥ .

٣٧ ـــ ابن الشجري ـــ هبة الله بن على (ت ٥٤٢ هـ) .
« أمالى ابن الشجري » ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الركن ـــ ١٣٤٩ هـ .
١١٥ و ١٦٣ .

٣٨ ـــ الشريف الرضي ـــ محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ)
« تلخيص البيان فى مجازات القرآن » تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبى ١٩٥٥ م .
١٧ و ١٣٧ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٨ و ١٧٩ .

٣٩ ـــ الشريف المرتضى ـــ على بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ) .
أمالى المرتضى ـــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبى ١٩٥١ م وط بولاق الأولى ١٣٢٤ هـ .
٩٧ و ١٦٧ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٤٠ و ١٧٦ و ١٧٧ .

٤٠ ـــ ابن الصائغ ـــ محمد بن عبد الرحمن بن شمس الدين الحنفى من علماء مصر فى القرن الثامن الهجرى .
(أ) « إحكام الراى فى أحكام الآى » .
٢٩ و ٤٨ .

٤١ ـــ ابن طباطبا ـــ محمد بن أحمد (ت ٣٢٢ هـ) .
« عيار الشعر » تحقيق محمد زغلول سلام ، ط منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٥ م .
١٤ و ٩٣ و ١٣٠ و ١٥١ .

٤٢ ـــ الطبرى ـــ محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
« تفسير الطبرى » تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ـــ ط دار المعارف
١٢٣ و ١٦٢ و ١٦٥ .

٤٣ ـــ الطوف ـــ سليمان بن عبد القوى الصرصرى (ت ٧١٦ هـ)
« الإكسير فى تفسير القرآن » تحقيق د. عبد القادر حسين .
٣٨ .

٤٤ ـــ القاضي عبد الجبار الأسَدَاباذي (ت ٤١٥ هـ) .

(أ) «تنزيه القرآن عن المطاعن» ط بيروت ـــ دار النهضة الحديثة .

٩٦ و ١٣٤ و ١٣٩.

(ب) «شروح الأصول الخمسة» ـــ تحقيق د. عبد الكريم عثمان ط الأولى سنة ١٩٦٥ م القاهرة .

٢٠١.

(جـ) «متشابه القرآن» تحقيق د. عدنان زرزور ـــ ط دار التراث ـــ بالقاهرة .

٩٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٠١ .

٤٥ ـــ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) .

«مجاز القرآن» تحقيق فؤاد سَزْجين ـــ الأولى ١٩٥٤ م الخانجي ١٦٢.

٤٦ ـــ أبو العميثل الأعرابي (ت ٢٤٠ هـ) .

«ما اتفق لفظه واختلف معناه» نشر كرنكور ـــ ١٩٢٥ م

٧٥ .

٤٧ ـــ العسكري ـــ أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) .

(أ) «الصناعتين» تحقيق البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ط الحلبي

١٥ و ١٦ و ١٩ و ٣٣ و ٤٣ و ٥٥ و ٦٨ و ٨٠ و ٩٦ و ١١٣ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٥٣ و ١٨٥ و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠١.

(ب) «الفروق اللغوية» تحقيق حسام الدين القدسي ـــ ط دار الكتب

١٥٢ .

٤٨ ـــ العلوي ـــ يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ)

«الطراز» ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

١٣٨ و ١٤٦ .

٤٩ ــ ابن فارس ــ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)
الإتباع والمزاوجة ــ تحقيق كمال مصطفى ط الخانجى والمتنبى ١٩٤٧ م
١٧٢ .

٥٠ ــ الفراء ــ أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)
« معانى القرآن » تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار سنة ١٩٥٥ م ط دار الكتب .
٢٨ و ٩٤ و ٢٠٠.

٥١ ــ ابن قتيبة ــ أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
(أ) « تأويل مشكل القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر ــ الطبعة الثالثة ــ سنة ١٩٧٣ م .
١٠٩ و ١٢٦ و ١٣٣ و ١٥٥.
(ب) « تفسير غريب القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر ــ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٨ م .
٢٩ و ٢٠٠.
(جـ) « الشعر والشعراء » تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الثالثة ــ ١٩٧٧ م .
١٣ و ١٢٧.

٥٢ ــ قدامة بن جعفر ــ أبو الفرج (ت ٣٣٧ هـ) .
(أ) « جواهر الألفاظ » تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
١٧١ .
(ب) « نقد الشعر » تحقيق كمال مصطفى سنة ١٩٦٢ م
٣١ و ٦٤ و ١١١ و ١١٦ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٦ و ١٥٢ و ١٦٢ .

٥٣ ــ القرطاجنى ــ حازم بن محمد (ت ٦٨٤ هـ)
« منهاج البلغاء وسراج الأدباء » تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ــ تونس ١٩٦٦ م

٥٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨

٥٤ ـــ الطبرى ـــ أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
« تفسير الطبرى » ط دار الشعب .
٨٨ و ١٤٢ .

٥٥ ـــ القزوينى ـــ محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) .
(أ) « الايضاح » تحقيق عبد المنعم خفاجى ـــ الطبعة الخامسة ـــ ١٩٨٠ م بيروت .
٣٨ و ٥٨ و ٧٣ و ٨٣ و ٨٤ و ١٤٥ و ١٦٩ و ١٧٤ و ١٩٠ و ٢٠١ .
(ب) « المختصر ضمن شروح التلخيص » ـــ ط الحلبى سنة ١٩٣٧ م .
٥٨ .

٥٦ ـــ المبرد ـــ أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)
(أ) « الكامل » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
١٣ و ٩٣ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٥٠ .
(ب) «ما اتفق لفظه واختلف معناه» ط السلفية بمصر ١٣٥٠ هـ. تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجَكُوتِى .
٧٥ و ١٩٤ .

٥٧ ـــ المتنبى ـــ أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤ هـ)
« ديوان المتنبى » تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ـــ نشر دار المعرفة ، بيروت .
١٤٤ و ١٤٨ و ٢٠٠ .

٥٨ ـــ محب الدين أفندى
تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات فى الكشاف ـــ على هامش الكشاف ط دار المعرفة .
١٤٢ .

٥٩ ـــ المرزبانى ـــ أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) .
« الموشح » تحقيق محمد على البجاوى ـــ ط دار نهضة مصر ـــ ١٩٦٥ م .
١١٧ و ١٢٤ و ١٣٦ و ١٦٣ .

٦٠ ـــ ابن المعتز ـــ عبد الله (ت ٢٩٦ هـ)
« البديع » تحقيق كراتشكوفسكى .
١٣ و ١٩ و ٥٦ و ٦٣ و ٩٥ و ١٢٨ و ٢٠٣ .

٦١ ـــ ابن المغربى ـــ ابن يعقوب (ت ١١١٠ هـ)
مواهب الفتاح ـــ ضمن شروح التلخيص ، ط الحلبى ١٩٣٧ م .
٣٨ و ٥٨ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٦ و ١٧٥ .

٦٢ ـــ ابن منقذ ـــ أسامة (ت ٥٨٤ هـ) .
« البديع فى نقد الشعر » .
١٩ و ٣٨ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٩٩ و ١١٤ و ١٤٣ .

٦٣ ـــ ابن المنيِّر السكندرى ـــ أحمد بن محمد بن منصور (ت ٦٨٣ هـ) .
الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال على هامش الكشاف ط دار المعرفة .
١٤٢ .

٦٤ ـــ النهشلى ـــ عبد الكريم القيروانى (عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى) .
الممتع فى صنعة الشعر ـــ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالاسكندرية .
١٤٠ .

٦٥ ـــ الوطواط ـــ رشيد الدين (ت ٥٧٣ هـ)
« حدائق السحر فى دقائق الشعر » نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربى ـــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ ١٩٤٥ م .
٣٥ و ٣٦ و ١٨٨ و ٢٠٣ .

ثانيا : المراجع

١ ـــ إبراهيم سلامة (دكتور) .
« بلاغة أرسطو عند العرب »
٧١ .

٢ ـــ إحسان عباس (دكتور)
« تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ط بيروت الرابعة ـــ ١٩٨٣ م .
١٢٥ .

٣ ـــ أحمد إبراهيم موسى (دكتور) .
« الصبغ البديعي » ط دار الكتاب العربي ـــ ١٩٨٦ م
٢٢ و ١٨٦ .

٤ ـــ أحمد راتب النَّفاخ .
« كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج » فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية ـــ دمشق ١٩٧٣ م .
١٧٤ .

٥ ـــ أحمد مطلوب (دكتور) .
« البلاغة عند السكاكي » ط النهضة ـــ بغداد ـــ ١٩٦٤ م .
٣٧ .

٦ ـــ بدوي طبانة (دكتور)
« أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » ط الأنجلو الثانية ـــ ١٩٦٠ م .
١٣٦ .

٧ ـــ حامد عبد القادر .
« دراسات في علم النفس الأدبي » ط القاهرة
٤٤ .

٨ ــ خديجة الحديثى (دكتورة)

« دراسات فى كتاب سيبويه » ط الكويت .

١٨٥ .

٩ ــ الزركلى ــ خير الدين .

« الأعلام » .

٥٦ و ٦٦ و ٦٩ و ٧٨ و ٨٤ و ١٢٤ و ٢٠٢ .

١٠ ــ شوقى ضيف (دكتور)

(أ) البلاغة تطور وتاريخ ط دار المعارف ١٩٦٥ م

١٣٦ .

(ب) الفن ومذاهبه ــ الطبعة الأولى ١٩٤٣ م .

١١٨ .

١١ ــ عبد الرحمن بدوى (دكتور) .

« إلى طه حسين فى عيد ميلاده » ط دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٢ م .

١٢ ــ عبد السلام فوزى .

« السجع وأطوار استعماله فى أدب العرب » ط بغداد ١٩٦٦ م .

٤٤ .

١٣ ــ عبد الفتاح لاشين (دكتور)

(أ) بلاغة القرآن فى آثار عبد الجبار ط دار الفكر العربى .

٩٨ و ١٣٩ .

(ب) الفاصلة القرآنية ــ ط دار المريخ بالرياض .

٤٨ .

١٤ ــ عبد القادر حسين (دكتور)

« أثر النحاة فى البحث البلاغى » ط دار نهضة مصر .

١٧٤ .

١٥ ـــ فتحي عبد القادر فريد (دكتور) .
« لمحات بلاغية فى معانى القرآن للأخفش ـــ ط النهضة المصرية ١٩٨٣ م
٢٩٠
١٦ ـــ فؤاد زكريا (دكتور) .
التعبير الموسيقى ـــ ط مكتبة مصر ـــ الثانية ١٩٨٠ م
٨٣ .

١٧ ـــ محمد بدرى عبد الجليل (دكتور) .
« حسن التعليل والقرآن » بحث بمجلة كلية الآداب بالاسكندرية ـــ ١٩٨٠ م .
١٨٥ .

١٨ ـــ محمد الحسناوى
« الفاصلة فى القرآن » ط دار الأصيل ـــ سوريا
٤٥ .

١٩ ـــ محمد زغلول سلام (دكتور) .
(أ) « أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى » ط دار المعارف .
٧٥ .
(ب) "تاريخ النقد العربى" ط دار المعارف .
٢٠٥ .

٢٠ ـــ مصطفى الجوينى (دكتور)
(أ) « ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى » ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠ م .
٢٠٣ و ٢٠٧ .
(ب) « مناهج فى التفسير » ط منشأة المعارف بالإسكندرية .
١٦٣ .

٢١ ــ منير سلطان (دكتور)
(١) « الفصل والوصل فى القرآن الكريم » ط دار المعارف ١٩٨٣ م .
٤٠ .
(٢) البديع فى شعر شوقى ــ ط منشأة المعارف بالاسكندرية ــ ١٩٨٦ م .
٨٦ .

٢٢ ــ يوسف خليف (دكتور)
الروائع فى الأدب العربى ــ ط الهيئة العامة للكتاب ــ ١٩٨٣ م
٧٨ .

٢٣ ــ يوهان فك .
« العربية » تحقيق د. عبد الحليم النجار ــ ط دار الكتاب العربى ــ ١٩٥١ م
١٩٩ .

٢ ــ فهرست الآيات القرآنية[1]

١ ــ الفاتحة .

٢ ــ البقرة .

(١) أرقام الصفحات هنا تشمل المتن والهامش . وما بين القوسين رقم الآية أو الآيات فى السورة الكريمة مع ملاحظة أن الآيات مرتبة حسب تسلسلها فى السورة الكريمة وقد وضعت بجوارها رقمها فى المصحف الشريف .

* ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه (١٣٠) ص ١٦٠ ،
* قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .. (١٣٦) ص ١١٠ ،
* صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون (١٣٨) ص ٩٩ و ١٠٠ ،
* ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون (١٧٩) ص ١١٠ .
* ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه (١٩١) ص ٩٤ .
* فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (١٩٤) ص ٥٦ و ٦٦ و ٨٢ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٩ و ١٢٣ و ١٦٥ .

٣ ــ آل عمران

* الم (١) ص ٤٥
* وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ص ٩٨
* إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق (٢١) ص ١٦٧
* ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) ص ٨٢
* فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم .. (٦١) ص ١٦٠
* يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا (١١٨) ص ١٨٨
* وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض (١٣٣) ص ١٧٦
* وقتلهم الأنبياء بغير حق (١٨١) ص ١٦٧

٤ ــ النساء .

* يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى (٤٣) ص ٢٠٣ .
* ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم (٤٦) ص ٢٠٢ .
* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (٦٥) ص ٧٨ .

* يخادعون الله وهو خادعهم (١٤٢) ص ٦٦.
* مالهم به من علم إلّا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا (١٥٧) ص ١٧٠.
* وكَلَّمَ الله موسى تكليما (١٦٤) ص ٧٨ .
* أنزلَه بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً (١٦٦) ص ٩٨ و ١٠٢ .
* يأهل الكتاب لا تَغْلُوا فى دينكم ولا تقولوا على الله غير الحق (١٧١) ص ١٥٣ و ١٥٨ .

٥ ــ المائدة .

* ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض (٤٠) ص ١٢٩ .
* ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات (٤٨) ص ١٨٨ .
* أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله (٥٤) ص ١٦٦ .
* وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان (٦٤) ص ١٧٨
* ... وأمة صديقة ... (٧٥) ص ١٦٠ .
* يا أهل الكتاب لا تَغْلُو فى دينكم غير الحق .. (٧٧) ص ١٥٣ .

٦ ــ الأنعام .

* الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور (١) ص ٥٤ .
* وأرسلنا السماء عليهم مدرارا (٦) ص ١٦٠ .
* وهو القاهر فوق عباده (١٨) ص ١٣٨.
* وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلّا أنفسهم وما يشعرون (٢٦) ص ٦٩ و ٧٢ و ٧٧ .
* بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبةٌ (١٠١) ص ٧ و ١٣٨.
* خالق كل شيء (١٠٢) ص ١٣٤ .

٧ ـــ الأعراف .

* إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخِيَاط (٤٠) ص ١٣٥ و ١٥٧ .
* هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها (١٨٩) ص ١١٣ .

٨ ـــ الأنفال .

* واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه (٢٤) ص ١٧٦ .
* لولا كتاب من الله سبق لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم (٦٨) ص ١٨٨ .

٩ ـــ التوبـة .

* يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثَّاقَلْتُم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (٣٨) ص ٧٢ و ٧٦ .
* ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم .. (١٢٧) ص ٦٧ .

١١ ـــ هـــود .

* الَر كتاب أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير (١) ص ١١٣ .
* مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع هل يستويان مثلاً .. (٢٤) ص ١١٣ .

١٢ ـــ يوسف

* لَيُوسُفُ وأخوه أحب إلى أبينا منَّا ونحن عُصْبة (٨) ص ١٩٦ .
* وجاءوا على قميصه بدم كذب (١٨) ص ١٦٨ .
* وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء (٥٣) ص ١٣٧ .
* فلما استيأسوا منه خَلَصُوا نجيًّا (٨٠) ص ١٦٨ .

* واسأل القرية التى كنا فيها (٨٢) ص ١٣٢ و ١٦٦ .
* وقال يا أسفىٰ على يوسف (٨٤) ص ٧١ .
* قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم (٩٥) ص ١٩٦ و ٢٠٤ .

١٣ ـــ الرعـد .

* الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٨ و ٩) ص ٢٨ و ٤٨ .
* لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٨ و ٣٩) ص ١٩٦ .
* وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا (٤٢) ص ٩٦ .

١٤ ـــ إبراهيم .

* فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم (٣٧) ص ١٧٠ .
* وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦) ص ١٥٢ .

١٦ ـــ النحل .

* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشق الأنفس (٧) ١١٣ .
* ثم كُلى من كُلِّ الثمرات (٦٩) ص ٨٥ .
* وَنزّلنَا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء (٨٩) ص ١٣٩ .
* وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به (١٢٦) ص ٩٧ .

١٧ ـــ الإسـراء .

* إن أحسنتم أحسنتم إلى أنفسكم (٧) ص ٩٧ .
* انظر كيف فَضَّلْنا بعضَهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (٢١) ص ٩٥ .
* نحن أعلم بما يستمعون به إذْ يستمعون إليك وإذْ هم نجوى (٤٧) ص ١٦٨ .

* من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا (٧٢) ص ١٤٠ .

١٨ ــ الكهف .

* بئس للظالمين بدلا ، ... وما كنت متخذا المضلين عَضُداً ، (٥٠ و ٥١) ص ٤٨ .
* قال ذلك ما كُنَّا نَبْغِ (٦٤) ص ٢٨ .
* وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) ص ٧٢ .

١٩ ــ مريم .

* وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا وَرِئْياً (٧٤) ص ٢٩ .

٢٠ ــ طه .

* طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (١ و ٢) ص ٣٢ .
* الرحمن على العرش استوى (٥) ص ١٩٥ و ٢٠٦ .
* إن الساعة آتية أكاد أخفيها .. (١٥) ص ١٦٢ .
* وألْقِ ما فى يمينك تلقف ما صنعوا .. (٧٠ و ٧١) ص ٤٨ .
* لا يموت فيها ولا يحيا (٧٤) ص ١٠٩ .
* إنى خشيت أن تقول فَرَّقْتَ بين بنى إسرائيل (٩٤) ص ٧٣ و ٨٥ .
* وإذْ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس .. (١١٦ و ١١٧) ص ٤٩ .
* أفلم يَهْدِ لكم كم أهلكنا قبلهم من القرون .. (١٢٨ و ١٢٩) ص ٥٠ .

٢١ ــ الأنبياء .

* خُلِقَ الإنسان من عجل سأوريكم آياتى فى الآفاق . (٣٧) ص ١٤٠ .
* لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا (٢٢) ص ١٨٦ .

٢٢ ـــ الحـــج .

- يوم ترونها تَذْهَلُ كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ..، (٢) ص ١٣٧.
- يصهر به ما فى بطونهم والجلود (٢٠) ص ١٦٥ .
- إن الله يدافع عن الذين آمنوا ..، (٣٨) ص ١٤٢ .
- يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ..، (٦١) ص ١١٧ .
- والذين هم للزكاة فاعلون (٤) ص ١٦١ و ١٧٨ ،

٢٣ ـــ المؤمنون والذين هم للزكاة فاعلون (٤) ص ١٦١ و ١٧٨

٢٤ ـــ النـــور .

- سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١) ص ١٦٥.
- وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..، (٣١) ص ١٧٦.
- يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار (٣٥) ص ١٦٤.
- أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب (٤٠) ص ١٦٣.
- ألم ترَ أن الله يزجي سحابا ، ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (٤٣) ص ٨٥ و ٨٦ و ١٤٥ .

٢٥ ـــ الفرقان .

- وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنْزِلَ علينا الملائكة ..، (٢١) ص ١٤٢ .
- والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (٦٧) ص ١٥٥ .
- ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) ص ١٦٨ .

٢٦ ـــ الشعراء .

- طسٓمٓ (١) ص ٤٥

* ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى (١٣) ص ١٢٥.
* إنَّ هذا لساحر عليم (٣٤) ص ١٤٢
* قال لهم موسى ألقوا ما أنتم مُلقون ، فألقوا حبالهم ..، فألقى موسى عصاه ، فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين (٤٣ــ٤٦) ص ٩٩ و ١٤٣.
* وإذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) ص ٩٧ و ١٧١.
* واتقوا الذين أمدكم بما تعلمون (١٣٢) ص ١٧١ .
* والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون (٢٢٤ و ٢٢٥) ص ١٣٧ .

٢٧ ــ النمل .

* وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين (٢٢) ص ١٩ و ٧٢ .
* ألّا تعلوا علىَّ وائتونى مسلمين (٣١) ص ١٥٥.
* قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به .. (٤٠) ص ١٣٩ .
* ... وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٤٤) ص ٧٢ .
* وما من غائبة فى السماء والأرض إلّا فى كتاب مبين (٧٥) ص ١٦٥.

٢٨ ــ القصص .

* طسٓمٓ (١) ص ٤٥
* وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسِلْه معى رِدْءاً يُصَدِّقُنِى ... (٣٤) ص ١٢٥
* ... ولكنا كنا مرسلين (٤٥) ص ٧٧ .
* ... يُجْبَىَ إليه ثمرات كل شىء .. (٥٧) ص ١٣٩ .
* ... وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة (٧٦) ص ١٤٣ .

٢٩ ــ العنكبوت .

* الٓمٓ (١) ص ٤٥

* أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا .. ولقد فَتَنَّا الذين من قبلهم .. (٢ و ٣) ص ٤٩ .
* وما هذه الحياة الدنيا إلّا لهو ولعب .. (٦٤) ص ١٦١ .

٣٠ ـ الـروم .

* فأقم وجهك للدين القيم (٤٣) ص ٧٦ .
* ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة .. (٥٥) ص ٨٧ و ٨٥ .

٣١ ـ لقمـان .

* الٓمٓ (١) ص ٤٥ .

٣٢ ـ السـجدة .

* الٓمٓ (١) ص ٤٥ .

٣٣ ـ الأحزاب .

* ... وإذْ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) ص ٢٩ و ١٥٢ .
* وقالوا ربنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ص ٢٩ و ٣٥ .
* إن الله وملائكته يصلون على النبى ... (٥٦) ص ٧٨ .

٣٤ ـ سـبأ .

* فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين .. (١٦) ص ٩٨ و ١٠٢ .
* ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلّا فريقا من المؤمنين (٢٠) ص ١٦٥ .
* وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (٢٤) ص ١٣٥ .
* وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً (٢٨) ص ١٦٤ .

* وقالوا قلوبنا فى أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر .. (٥) ص ١١٣ .
* ... فأخذتم صاعقة العذاب الهُونِ بما كانوا يكسبون (١٧) ص ١٦٨ .
* ... لهم فيها دار الخلد جزاءً (٢٨) ص ١٧٣ .
* لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مَسَّه الشر فيئوس قنوط (٤٩) ص ١٥٩ و ١٧١ .

٤٢ ـ الشـورى .

* وجزاء سيئة سيئة مثلها (٤٠) ص ٨١ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨ .

٤٣ ـ الزخـرف .

* حٰم (١) ص ٤٥ .
* قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (٨١) ص ١٣٥ و ١٧٧ .

٤٤ ـ الدخـان .

* حٰم (١) ص ٤٥ .
* فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (٢٩) ص ١٧٧ .

٤٦ ـ الأحقـاف .

* حٰم (١) ص ٤٥ .
* قل ما كنت بِدْعا من الرسل .. (٩) ص ٧ .
* تدمِّر كل شيء بأمر ربها .. (٢٥) ص ١٣٩ .

٤٧ ـ محمـد .

* كمن هو خالد فى النار وسُقُوا ماءً حميما (١٥) ص ١٦٥ .
* ولتعرفهم فى لحن القول .. (٣٠) ص ١٩٨ .

٤٨ ـ الفتـح .

* يد الله فوق أيديهم (١٠) ص ١٣٨ .

٤٩ ــ الحجرات .

* واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ص ١٦٠

٥٠ ــ ق .

* ق ، والقرآن المجيد .. هذا شيء عجيب » (١ و ٢) ص ٣٢ .
* وما أنا بظلّام للعبيد (٢٩) ص ١٦٠ .
* ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) ص ١٧٦ .

٥١ ــ الذاريات .

* والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٣٧) ص ١٩٥ .

٥٢ ــ الطور .

* والطّور وكتاب مسطور (١ و ٢) ص ٣٢ و ٤٥ .

٥٣ ــ النجم .

* والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى.. (١-٣) ص ٤٦ .
* أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى .. (١٩ــ٢٢) ص ٤٩ .

٥٤ ــ القمر .

* ولقد جاء آل فرعون النذُر ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذَ عزيز مقتدر (٤١ و ٤٢) ص ٧٩ .

٥٥ ــ الرحمن .

* الرحمن (١) ص ٤٥ .
* فبأى آلاء ربكما تكذبان (فى مواطن متفرقة من سورة الرحمن) ص ٤٦ .
* والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العَصْف والريحان .. (١٠ــ١٨) ص ٤٦ .
* ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) ص ٢٨ .

* متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤) ص ٧٢ و ١٧٦ .

٥٧ ـ الحديد .

* وجنة عرضها كعرض السماء والأرض (٢١) ص ١٧٦ .

٥٩ ـ الحشر .

* وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن .. (٢٣) ص ١٦٨ .

٦٠ ـ الممتحنة .

* ... ذلكم حُكْم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠) ص ١٦٨ .

٦٨ ـ القلم .

* وإن يكاد الذين كفروا لَيُزلِقُونك بأبصارهم لما سَمِعُوا الذِّكْرَ .. (٥١) ص ١٦٣

٦٩ ـ الحاقة .

* الحاقة (١) ص ٤٦ .
* فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابِيَهْ، إنى ظننت أنى مُلاقٍ حسابِيَهْ.. (١٩ـ٢١) ص ٥٠ .
* خذوه فَغُلُّوهُ ثم الجحيم صَلُّوهُ .. (٣٠ـ٣٣) ص ١٨٨ .

٧٠ ـ المعارج .

* كلا إنها لظَى ، نَزَّاعَة للشَّوى (١٥ و ١٦) ص ٤٩ .
* إن الإنسان خُلق هلوعا ، إذا مسه الشر جَزُوعا .. (١٩ـ٢١) ص ٤٦ .

٧١ ـ نوح .

* وقالوا : لاَ تَذَرُنَّ آلهتكم ولاَ تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً (٢٣) ص ٥٦ .

٧٢ ـــ الجـــن .

* ... استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عَجَبا (١) ص ١٦٨ .

٧٣ ـــ المزمل .

* إنا سنلقى عليك قولًا ثقيلا .. (٥ـــ٧) ص ٤٦ .
* واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا (٨) ص ٣٥ .

٧٤ ـــ المدثـر .

* ذرنى ومَنْ خلقت وحيداً (١١) ص ١٧٨
* فقال إنْ هذا إلّا سحر يؤثر ، إن هذا إلّا قول بشر .. (٢٤ـــ٢٨) ص ٤٩ .

٧٥ ـــ القيامـة .

* وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٢٢ و ٢٣) ص ٨٥ .
* والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق (٢٩ و ٣٠) ص ٤٣ .

٧٦ ـــ الإنسان .

* يوفون بالنَّذْرِ ويخافون يوما كان شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) ص ١٦٤ .
* وُيَطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً ، قواريرا قدروها تقديراً (١٥ و ١٦) .

٧٧ ـــ المرسـلات .

* فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقا .. (٢ـــ٥) ص ٤٥ .
* إنها ترمى بِشَرَرٍ كالقَصْرِ ، كأنه جِمالَاتٌ صُفْرٌ (٣٢ و٣٣) ص ١٤٥

٧٩ ـــ النازعات .

* رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (٢٨ و ٢٩) ص ٥٦ .

٨٢ ــ الانفطار .

* إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم . (ص ١٣ و ١٤)
ص ٤١ و ٥٣ .

٨٦ ــ الطارق .

* إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عليها حافظ . (٤) ص ٥٠ .
* إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ، فمهِّل الكافرين أمهلهم رويداً .
(١٥ــ١٧) . ص ٩٦ .

٨٧ ــ الأعلى .

* ثم لا يموت فيها ولا يحيا (١٣) ص ١٠٩ .

٨٨ ــ الغاشية .

* فيها سُرُرٌ مرفوعة ، وأكواب موضوعة (١٣ و ١٤) ص ٤٥ .
* ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة (٢٦) ص ٤٣ و ٥٤ .

٨٩ ــ الفجــر .

* والليل إذا يَسْرِ (٤) ص ٢٨ و ٢٩ .
* وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) ص ١٣٤ .

٩١ ــ الشــمس .

* والشمس وضحاها . (١) ص ٥٦ .
* إذ انبعث أشقاها . (١٢) ص ٢٨ .

٩٢ ــ الليــل .

* إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى وصَدَّق
بالحسنى ... (٥ــ٧) ص ٤٩ .

٩٣ ـــ الضحى .

* والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلَى . (١ـــ٣) ص ٤٩ .

٧٣ ـــ الشـــرح .

* ألَمْ نشرح لك صدرك ... (١ـــ٤) ص ٤٥ .
* فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب . (٧ و ٨) ص ٥٤ .

١٠٠ ـــ العاديات .

* وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد (٧ و ٨) ص ٨٥ .
* إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير (١١) ض ٧٣ و ٧٧ .

١٠١ ـــ القارعـة .

* وأما من خَفَّتْ موازينُه فأمه هاوية .. (٨ـــ١١) ص ٤٩ .
* وما أدراك ما هيه . (١٠) ص ٢٩ .

٣ ـــ فهرست الأبيات الشعرية

(م)

٤ ـــ فهرست المصطلحات البلاغية

(أ)

٥ ــ فهرست الأعلام

(أ)

(خ)

(د)

(ذ)

(ط)

(ع)

صفحة

أولا : الفهرس التفصيلي .

رقم الإيداع ٨٦/٧١٧٧
الترقيم الدولى ٣ ــ ٣١٢ ــ ١٠٣ ــ ٩٧٧



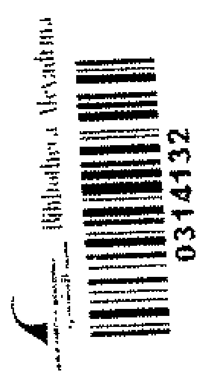
مركز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا ــ اسبورتنج
تليفون ٥٩٧٠١٤١



مكتبة
لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com


مكتبة
لسان العرب


مكتبة
لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com


0314132